عقيدة المصريين القدماء بين الحقيقة والافتراء

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م
جميع حقوق الطبع محفوظة
الناشر : دار نوبل للنشر والتوزيع

سلسلة حضارات مصر عبر التاريخ

عقيدة المصريين القدماء بين الحقيقة والافتراء

محمد يونس هاشم

دار نوبل للنشر والتوزيع

المقدمة

كثيرة تلك الأوهام والمغالطات التي أحاطت بالحضارة المصرية القديمة فهي من حيث نشأتها مُتَأَخِّرة مَسْبُوقة (١) ومن حيث الاعتقاد وثنية مُعَدِّدة (٢) ومن حيث الأخلاق متجبرة طاغية .

كل هذه المزاعم عارية من الصحة والذي أوقع الناس فيها :

أولاً : الجهل باللغة المصرية القديمة التي كتب بها المصريون القدماء تاريخهم وترجمتها ترجمة غير صحيحة .

ثانياً : عدم استخدام التقنيات العلمية الحديثة في دراسة الآثار المصرية القديمة .

فقد اكتفي علماء المصريات والمؤرخون فقط بمحاولة فك طلاسم اللغة الهيروغليفية ولم يستخدموا أيٍ من التقنيات الحديثة في معرفة تاريخ هذه الآثار .

ثالثاً : حقد كثير من الغربيين على المصريين – أصحاب أقدم حضارة عرفها الإنسان – مما حدا بهم إلى سلب المصريين والعرب عموما كل مَحْمَدَة ورميهم بكل مَثْلَبَة وما لم يستطيعوا جحد عظمته

(١) فهم يؤرخون لتاريخ مصر بعام ٣٢٠٠ ق. م ، ويجعلون الحضارة المصرية القديمة تالية للحضارة السومارية والصينية والإغريقية القديمة .
(٢) تعبد آلهة متعددة .

نسبوه لأنفسهم كادعاء اليهود بأنهم هم الذين بنوا الأهرام ، أو نسبوه لكائنات جاءت من كواكب أخرى !!

رابعاً : الاعتماد على ما كتبه المؤرخون القدماء – الجاهلون باللغة المصرية القديمة – الذين اعتمدوا على الأساطير ، وما شاع على ألسنة العامة ولم يتلقُّوا العلم من العلماء الحقيقيين . مثل هيرودوت المؤرخ الإغريقي الشهير الذي قضى بمصر سبع سنوات يجمع ما شاع على ألسنة عامة المصريين من خرافات وأساطير .

خامساً : وهذا السبب يرجع للمصريين القدماء أنفسهم الذين جعلوا " تاريخ مصر الحضاري والزمني سراً من الأسرار المقدسة التي يحتفظ بها الكهنة في أحرازهم وخزائن معابدهم وضمن مقدساتهم حتى تقاوم الزمن في مواجهة العناصر الهدامة من ثورات وانقلابات كانت تعمل كل موجة من موجاتها التي تجتاح البلاد على محو تراث الحضارة ونهب وثائقها وتشويه معالم تاريخها "(١) فقد قصروا أسرار علومهم وتاريخهم على الكهان الكبار، وأشاعوا أن ما وصلوا إليه من تقدم علمي مذهل إنما كان عن طريق السحر ليس إلا كما فعلوا مع هيرودوت . (٢)

يقول سيرج سونيرون : " إن الكهنة لم يكونوا كرماء فيما فعلوا – مع السائحين الأجانب – إذ كيف يعرضون ببساطة على الأجنبي السائح فروعاً مختلفة لعلم ارتبطت قواعده ارتباطاً وثيقاً بالأفكار الدينية لمصر؟

---

(١) د. سيد كريم " لغز الحضارة المصرية " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٨ .

(٢) كتب هيرودوت ٩ كتب خصص الكتاب الثاني منها وجزءاً من الكتاب الثالث عن مصر ورغم غزارة مادته العلمية ودقة تفاصيله في سرد الأحداث والوقائع إلا أن الصواب قد جانبه في الكثير من التحقيقات الخاصة بتتابع الملوك والأحداث ويرجع بعض المؤرخين ذلك على جهله باللغة المصرية القديمة ، وأنه اعتمد على جمع معلوماته عن طريق الترجمة وصغار الكهان والأساطير الشعبية المتداولة . نفسه ص ٩

كيف يستطيعون أن يقدموا في إطار واضح مجموعة أفكار ومعتقدات راسخة لم توصلوا هم أنفسهم إليها إلا بعد تأمل دقيق ، وبعد تجميع وتراكم من تقاليد الكهنوت والمخطوطات والأساليب الفنية الروحية جيلاً بعد جيل ؟ ولقد كانت معرفة لغة مقدسة ، وإتقان الكتابة فضلاً عن تعمق دراسة النصوص والإدراك المتصل لقوة الأصوات والكلمات التي لا حد لها من الشروط الأساسية المؤهلة لدرجات العلم لدى الكهان المصريين . " (١)

سادساً : تعميم أصحاب الرسالات السماوية – قديماً وحديثاً – صورة فرعون موسى على كل المصريين القدماء ، فجعلوا كل حكام مصر فرعون موسى والحقيقة غير ذلك.

وفي هذا الكتاب بحث في عقيدة المصريين القدماء الحقيقية التي أنشأت على هداها حضارتها أول حضارة عرفتها البشرية ورد على كل المزاعم الباطلة التي شوهت هذه الحضارة العظيمة .

***

(١) سيرج سونيرون " كهَّان مصر القديمة " ترجمة زينب الكردي ، مراجعة د. أحمد بدوي الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٤٧ .

لغز نشأة الحضارة المصرية القديمة

الحضارة المصرية أصل الحضارات

من كمال تكريم الله تعالى الإنسان أن علمه كيف ينشئ حضارة مبنية على العلم والإيمان ، ولقد شاءت حكمة الله تعالى أن يجعل مصر أُمّاً لهذه الحضارة ، ومَهْداً لها ؛ فعلى أرض مصر أنشأ أنبياء الله ورسله عليهم السلام أوَّل حضارة عرفتها البشرية ، ومن هديها اقتبست الأمم .

يقول العلامة د. سليم حسن : " إن مصر هي المنبع الأوَّل الذي ظهر لنا منه كتابات مدوَّنة في الوقت الذي كانت كل ممالك العالم تقريباً تهيم على وجوهها في الغابات ، وتتيه في المجاهل والأحراش ومن هذه المَدَنيِّة المصرية اغترف العبرانيون والإغريق والآسيويون ، ومن ثمَّ تسربت إلى أوربا " (١)

ويقول د. جمال حمدان تحت عنوان السَّبْق الحضاري " مصر أم الدنيا "

" أول ما نرى حضارة مصر الزراعية الراقية نراها مع بداية عصر الأسرات (٣٢٠٠ ق. م) حين تبرز لنا في صورتها المتطورة الكاملة التي ترتبط في أذهاننا بمصر الفرعونية عموماً ، وبديهي أن وراء هذه اللوحة التامة تاريخاً تطوريّاً سحيقاً وتبدأ الجرثومة الأولى في هذا التاريخ في نهاية العصر الحجري القديم ، غير أن هنا بالضبط تبدأ

(١) د. سليم حسن " مصر القديمة " ج١ ص (أ) الهيئة المصرية العامة للكتاب .

المشكلة العلمية فكما رأينا في دراسة الأصول الأولى لتعمير مصر تبدو الأصول الحضارية الأولى غامضة بل لقد غيَّر بعض العلماء آراءهم أو حتى قد يناقض نفسه أحياناً من أسف أن المزيد من البحث لم يَعْن إلا المزيد من الغموض والتعقيد لا مزيد من الوضوح والبساطة " (١)

والسبب في عدم التوصل إلى أصل الحضارة المصرية أن الأبحاث أبحاث علمانية لا تهتدي بشريعة السماء .

نظرية اليوت سميث في نشأة الحضارة المصرية

اليوت سميث أستاذ التشريح في كلية (مدرسة) القصر العيني في بداية القرن العشرين وعلى يديه تتلمذ الكثير من أطباء ذاك الجيل مثل : علي إبراهيم ، وجورجي صبحي ، وأحمد شفيق .. وكانت له هواية إلى جانب حرفته يهتم بها أكثر مما يهتم بحرفته ، بل انتهى به الأمر إلى احتراف هوايته في أواخر حياته .

وكانت هواية اليوت سميث هي دراسة تاريخ مصر من أجل دراسة تاريخ الحضارة البشرية في العالم كله عن طريق دراسة أصول الحضارة المصرية.

نقل اليوت سميث دراسة الحضارة من تعدد الأصل إلى وحدته كما سبق أن فعل داروين حين ردَّ الأحياء إلى أصل واحد فقد استطاع سميث أن يثبت أن مصر هي أصل الحضارة للعالم كله ليس لأن القدماء المصريين كانوا أذكى من سائر البشر وإنما لأن جغرافية مصر قد تفاعلت مع الإنسان المصري بما لم يتفاعل أي وسط آخر مع الإنسان فكانت النتيجة هي ظهور الحضارة في مصر .

---

(١) د. جمال حمدان " شخصية مصر " ج٢ ص ٣٦٨ دار الهلال .

وبهذا يعتبر اليوت سميث أحد مؤسسي نظرية "مصر الأم " أي أن الحضارة المصرية هي الأم التي وُلدت منها كل حضارات العالم . ولهذا الرأي الجديد مدرسة يعد تلاميذها بالألوف ، ولا تقل المؤلفات في تأييد هذا الرأي عن ثلاثمائة كتاب في لغات مختلفة . (١)

وبؤرة نظرية سميث في نشأة الحضارة المصرية القديمة تنحصر في أن الإنسان البدائي الذي كان يجمع الطعام جمعاً من الغابات رأى في مصر على توالى السنين أن فيضان النيل يَعُم الوادي في مواعيد معينة كل عام ، حتى إذا انحسر الفيضان انطلقت النباتات وكست الأرض بالخضرة النضرة التي كان يجد فيها طعاماً كما كان يجد فيها صيداً لوفرة الحياة الحيوانية . ففهم بالتكرار أن الماء هو أصل الحيوية ، وهو أصل النبات ؛ فشرع يحتجز الماء هنا ويطلقه هناك . ويضبط الري وهذه كانت الهندسة الأولى.

وظهر عندئذ التخصص : مهندسون ينظِّمون الري ، وفلكيون يعيِّنُون الأوقات الزراعية ، وهؤلاء لا يزرعون وإنما يعيشون بالفائض من المحصول ، وهنا تنشأ الحكومة التي يرأسها مهندس أو فلكي تُنسب إلية صفات الألوهية لأنة يدرى ما لا يدريه غيره من الهندسة أو الفلك . وهو يعيش كأنة مَلِك بل هو مَلِك يطاع فإذا مات أصبح قبره معبداً .

وأرض مزروعة تحتاج إلى حدود تُحترَم من الجيران ، وإلى أوصاف تعين الزراعة ، وإلى محكمة تعاقب المعتدى على الحدود أو المحصول ،وإلى صنَّاع يصنعون الآلات الزراعية . وكل هؤلاء لا يزرعون فنشأت من ذلك الحكومة والتجارة والفنون وهذه هي الحضارة .

---

(١) سلامة موسى " هؤلاء علموني " دار المعارف " ص ١٥٦ .

ويجب ألا ننسى أن كلمات " القمح " و " البُرُّ " و " الحنطة " هي جميعا فرعونية. وذلك لأن المصريين القدماء هم الذين زرعوها لأول مرة في التاريخ وعينوا أسمائها ولعله كانت هناك فروق بين بذور القمح أدت إلى تعدد هذه الأسماء .

والزراعة هي الأساس الأول الذي نبتت عليه الحضارة الأولى . أما قبل الزراعة فلم يكن هناك غير التجوال للبشر ، بلا ثقافة غير المعارف القليلة الخاصة بالصيد والتقاط الثمار واقتلاع الجذور .

فالزراعة أوجدت الاستقرار بدلاً من التجوال ، وبسطت الآفاق لثقافة الفنون والعلوم ونظام الحكم .[1]

ويفسر اليوت سميث ظهور الأفكار الدينية والدين في مصر القديمة بنشأة القرية فعلى حين كان الرُّحَّل يتركون الميت موضع موته فقد استحال ذلك في القرى لأسباب صحية واقتصادية فكان لابد من دفن الموتى بعيداً في الصحراء ، ولكن الصحراء " فريجيدير " طبيعي ممتاز حفظ الأجسام فَخُيِّل لعقلية المصري البسيط أن الميت لم يمت حقيقة ما دام جسده كما هو ، ومن ثَمَّ اتجه إلى الاهتمام به في حياته الأخرى يضع الطعام والشراب والأدوات معه في القبر ، وذلك مع التحنيط زيادة في حفظه ، ومع الاهتمام " بمساكن " الموتى هذه ، كان تشييد المقابر التي تحولت إلى مصاطب ثم أهرامات .. الدين وعقيدة الحياة الأخرى وحفظ الموتى إذن أدَّت إلى دفع النِّجارة إلى (صنع الأكفان) وإلى فن البناء (المقابر بأشكالها) كذلك فإن إدراك العلاقة بين النهر والزراعة خلقت الحساب والتقويم حين ربطوا بين الفيضان وبين الشمس والنجوم

([1]) سلامة موسى " هؤلاء علموني " دار المعارف " ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

وحيث الشِّعْرَى اليمانية تعين على بدء الفيضان ، وهنا سلبت الشمس الأهمية من القمر الذي ربما كانوا يربطون بينه وبين النهر في السابق مثلما سلبت من النهر قدسيته فيما بعد فأخذت عبادة الشمس وأشعتها تحل محل عبادته ذلك سيناريو نشأة الزراعة والحضارة والدين كما يصوره اليوت سميث . (١)

وإلى هذا تفسِّر لنا نظرية سميث نشأة الحضارة الأولى والدين في مصر ، وبقي علينا أن نعرف كيف خرجت هذه الحضارة من مصر إلى سائر العالم؟

ويجيبنا سميث عن هذا السؤال فيقول : إن بعض البعثات المصرية كان ينقطع بها الطريق فلا تعود . بل تبقى في قُطْر ناءٍ بين شعب غريب بدائي لا يعرف الزراعة فتنقل هذه البعثة إلى هذا الشعب الفنون المصرية وتعيش هناك إلى الأبد .

ومن هنا نعرف لماذا وُجد تمثال الرب آمون في روسيا بالقرب من جبال أورال . ولماذا عبدوا رب الشمس في المكسيك كما عُبد في مصر ولماذا حُنطت الجثث في أمريكا على الطريقة المصرية . ولماذا وُجدت الأهرام في إيطاليا والسودان . ولماذا توجد في اللغة الفنلندية كلمات فرعونية ولماذا ترجع أبجدية الخطوط في جميع اللغات إلى الهيروغليفية المصرية . ولماذا يعم التقويم المصري أوربا بل العالم كله إلى الآن . ولماذا بُنيت المعابد وذُكرت الأساطير على الطريقة المصرية. بل لماذا يوصف إمبراطور اليابان بوصف الفراعنة " ابن الشمس" أي "ابن رع". وأخيراً لماذا تكون الحبوب الأولى التي يأكلها الإنسان ولا يزال يأكلها مصرية الاسم مثل قمح، وبُرّ ، وحنطة .

---

(١) د. جمال حمدان " شخصية مصر " ج٢ ص ٣٩٦ مرجع سابق .

وشارة الكاهن المصري القديم ذلك الثعبان الذي كان يحيط بالرب " رع " والثعبان لا يزال شارة الأسقف القبطي ، وهو يُرى على رأس عصاه إلى الآن .

ولما كان الكاهن المصري طبيباً وساحراً أيضا فإن الثعبان هو الآن شارة الطب ، وفي اللغة العربية لا يزال معنى الطب هو السحر و الكهانة .

واذْكُرْ البقرة هاتور (حتحور) المصرية واذْكُرْ تقديس البقرة في الهند . واذْكرْ أيضاً ملوك أفريقيا المتوحشين ، وكيف يضربون الجهات الأربع بالقوس كما كان يفعل الفراعنة عندما كانوا يتولون العرش رمزا للاستيلاء على العالم .

وكذلك رجَّح اليوت سميث أن معظم الأسر المالكة في العالم ترجع إلى أصل فرعوني ، وذلك لأن كل بعثة كانت تخرج من مصر لجلب المواد والأطياب للتحنيط كان يرأسها أحد أفراد أسرة فرعون . فإذا لم ترجع البعثة صار هذا الشخص ملكاً على البقعة التي تحتلها بعثته .حتى إذا استقر العرش الجديد خرجت بعثات أخرى .. إلخ(١)

تعليق جمال حمدان على نظرية سميث

يعلق جمال حمدان على نظرية سميث فيقول :

" وهذه النظرية الكاسحة – وكاسحة هي بالتأكيد – لقيت رواجاً كبيراً واكتسحت الميدان العلمي في حين ما ولكن الانتقادات لم تلبث أن وجهِّت إليها بعنف وكانت أهم هذه الانتقادات ثلاثة :

أولاً : إن القول بأن كل أركان وعناصر وأفكار الحضارة برمتها قامت في موطن واحد هو مصر قول بالغ التطرف والمغالاة .

---

(١) سلامة موسى " هؤلاء علموني " دار المعارف " ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

ثانياً : إن النظرية تنفي إمكان إعادة أي اختراع أو فكرة مرة أخرى مما يتنافى مع وحدة العقل البشري وحتى مع قانون الصُدَف .

ثالثاً : استحالة وصول الآثار الحضارية من مصر إلى المناطق البعيدة كأطراف القارات كالعالم الجديد مثلا بسبب عامل البعد الجغرافي السحي" [1]

وللباحث السويدي " أريك فون دانيكن " عدة أبحاث أثارت ضجَّة عالمية عند نشرها أشهرها " العودة إلى الكواكب ، والهابطون من السماء ، وألغاز الحضارات " لقد حاول في تلك البحوث إثبات أن جميع الحضارات البشرية وما يحيط بها من الغاز هبط بها كائنات أو أقوام من كواكب أخرى أرقى عقلاً وعبقرية ومعرفة وحضارة ، وأنهم هم الذين بنوا الهرم الأكبر ليكون وسيلة اتصال بينهم وبين الأرض ، كما وضعوا أسس الحضارة الفرعونية التي نشأت متكاملة ومتطورة بما حوته من معجزات في علوم : الفلك والرياضيات ، والطب ، والهندسة ، والفنون والكتابة . " [2]

ولقد توصل دانيكن إلى آرائه بعد دراسة الوثائق المستندات التاريخية لقدماء المصريين ، وبرديات كتاب الموتى .

وإذا كان المؤرخون فشلوا في الاهتداء إلى نشأة الحضارة المصرية النشأة الصحية فإنهم يكادون يجمعون على أن الحضارة المصرية هي أم الحضارات ولقد انتشرت الحضارة من مصر إلى سائر البلدان الأخرى " إن الانتشار الحضاري من مصر في حدود إقليمية معينة هو حقيقة تاريخية لا تقبل الجدل . " [3]

---

(1) د. جمال حمدان " شخصية مصر " ج٢ ص ٣٩٨ مرجع سابق .
(2) د. سيد كريم " لغز الحضارة المصرية " ص ١٩٣ الهيئة العامة للكتاب .
(3) د. جمال حمدان " شخصية مصر " ج٢ ص ٤٠٠ دار الهلال

علماء الحضارة ومعرفة المصريين القدماء فكرة البعث والخلود

وكما عجز المؤرخون العلمانيون عن تفسير نشأة الحضارة المصرية عجزوا أيضاً عن تفسير معرفة المصريين القدماء فكرة البعث والخلود مبكراً فقد كانوا أول المتدينين.[١]

ودونك تفسيرهم معرفة المصريين القدماء فكرة البعث والخلود .

حاول بعض المؤرخين أن يربط معرفة المصريين للبعث والخلود بالبيئة المصرية الجافة : الرمل والشمس على افتراض أن المصري الأول كان يدهش حين يرى أجساد أجداده المدفونة في بطن الصحراء في حالة حفظ جيدة فجعله يعتقد في حياة خالدة بعد الموت وبالتالي آمن بالبعث !

وردَّ آخرون فكرة الخلود إلى إحساس المصريين ببهجة الحياة في بيئتهم الرخيَّة الرغدة وبالتالي تعلقهم بها إلى حد إسقاطها على حياة أخرى بعد الموت ، وتمديدها فيها ، ومن ثم كان إعدادهم الغريب لها ابتداءً من التحنيط إلى مراكب الشمس إلى أثاث المقابر وأطعمتها !

كما فسَّر البعض ظهور فكرة الخلود عند قدماء المصريين بوجود الفراغ الآمن الذي أعان عليه الموقع الجغرافي والغنى الحافز والترف لذا فكروا في الخلود ولو كانت مصر قطعة مكررة من الصحراء المشابهة تحيا حياة محرومة متنقلة ما كانت هذه الحياة تستحق الحرص عليها والسعي إلى تخليدها ![٢]

رأي " ول ديورانت " في نشأة الديانة المصرية

أما " ول ديورانت " فيفسر نشأة الدين فيقول : " أدرك الإنسان أن حرارة الشمس هي العلَّة الرئيسية فيما تُدرُّه عليه الأرض من خيرات

---

(١) نفسه ص ٤٢٨ .

(٢) د. جمال حمدان " شخصية مصر " ج٢ ص ٤٢٨ دار الهلال .

عندئذ انقلبت الأرض في عين البدائيين آلهة تخصبها الأشعة الحارة ، وعبد الناس الشمس العظيمة لأنها بمثابة الوالد الذي نفخ الحياة في كل شيء حي ، ومن هذه البادية الساذجة هبطت عبادة إلى العقائد الوثنية عند الأقدمين ولم يكن مثير من الآلهة فيما بعد سوى تشخيص للشمس وتجسيد لها " (١)

رأي جمال حمدان في نشأة الديانة المصرية

ويختم جمال حمدان هذه الآراء قائلاً : الواقع إن هذه الديانة كانت ديانة جغرافية محلية أو بيئية إلى حد بعيد فقد بدأت ديانة طوطمية كديانات أفريقيا البدائية الحالية بل يجزم إليوت سميث أن مصر هي الوحيدة في العالم التي تساعد فيها الظروف البيئية على خلق الطوطمية غير أنها لم تلبث أن أصبحت أيضا ديانة استحيائية تكاد ترى الحياة في كل عناصر الطبيعة .

ومن هنا تعددت الآلهة بالمئات والمئين معظمها مستمد من عناصر ومعالم البيئة المحيطة من حيوان ونبات إما لكثرتها أو لندرتها .

ويختم كلامه في هذا الموضوع فيقول : إذا كانت الديانة الوثنية المصرية القديمة تعد أكثر بدائية نوعاً عن مثيلتها الإغريقية مثلاً فقد كادت مصر الفرعونية من ناحية أخرى تتوصل فيما بعد إلى إرهاصات التوحيد (إخناتون) بقدر وكادت تكون هي عِرَاق إبراهيم الأولى في العالم قبل الرسالات " (٢)

وهكذا جارَى عالمنا العظيم جمال حمدان – وكذا السواد الأعظم من المؤرخين المصريين – المؤرخين الغرب في نشأة الحضارة المصرية ،

---

(١) ول ديورانت " نشأة الحضارة " ج١ ص ١٠٣ لجنة التأليف والترجمة والنشر .
(٢) د. جمال حمدان " شخصية مصر " ج٢ ص ٤٢٨ دار الهلال .

وفكرة البعث والخلود، ويجب أن نلتمس للمؤرخين المصريين العذر في تقليدهم لأساتذتهم الغربيين؛أليس هؤلاء الغربيون هم الذين اكتشفوا حجر رشيد ، وفكُّوا رموزه ، وأوَّل من أنطق الآثار المصرية القديمة بعد صمت دام آلاف السنين ،وأوَّل من حفر ونقَّب عن المقابر والمعابد والتماثيل المصرية القديمة ورمَّموها ، وأوَّل من ألفَّ الكتب العلمية المتخصصة في الحضارة المصرية واللغة المصرية القديمة .

المناهج الدراسية والحياة الدينية عند المصريين القدماء

ولكي نعرف ما جاء في المناهج المدرسية عن عقيدة المصريين القدماء نستمع لهذا الحوار الذي دار بين المؤلف وابنته .

قالت مَلَك لأبيها : أنا أحب المصريين القدماء .

- ما الذي جعلك تقولين ذلك يا بنتي ؟
- أخذنا اليوم درساً في التاريخ عنهم ، وعرفت أنهم صنعوا أول حضارة في التاريخ ، وعملوا أشياء لا يستطيع أن يفعل أحد مثلها .
- مثل ماذا يا بنتي ؟
- مثل : الأهرام ، والتحنيط ، والتماثيل ...
- نحن نفخر ببلادنا وبأجدادنا القدماء .
- لكن أستاذ التاريخ قال لنا : إن المصريين القدماء كانوا كفاراً يعبدون : الشمس ، والحيوانات ، والطيور ... ، وأن كل ما صنعوه كان عن طريق السحر .
- هل قال لكم أستاذ التاريخ هذا ؟
- نعم .. وهذا مكتوب في كتاب التاريخ أيضاً .
- احضري لي كتاب التاريخ .
- ها هو يا أبي ، وهذه هي الصفحة .

أخذ الأب الكتاب وبدأ يقرأ ، وبعد أن قرأ ما كُتِب عن الحياة الدينية عند المصريين القدماء قال لابنته : هذا الكلام متناقض ولا يستقيم لا عقلاً ولا شرعاً .

– كيف يا أبي ؟

أولاً : الكتاب يعترف بغموض الديانة المصرية ومعنى ذلك أن أي حديث عنها مجرد رأي وليس حقيقة ؛ فهو يقول : " إن أهم سمة من سمات العقيدة المصرية هي تعدد الآلهة ، فقد قدَّسوا عناصر الطبيعة لأنهم استقرَّ في عقيدتهم إن هناك قوى ترمز إلى ربهم تمثلوها في الحيوانات والطيور والحجر " فكيف يستقيم تقديسهم لعناصر الطبيعة مع اعتبارها أنها ترمز للإله وليست هي الإله ، ثم يقول : " إن المصريين القدماء كانوا يعتقدون في السحر والقوى الخفية التي تتحكم في أعمالهم".

– هل كان المصريون القدماء مثل السحرة الذين نراهم في التليفزيون يصنعون أفعالاً غريبة ؟

– لا .. يا بنتي ، ما صنعه المصريون القدماء كان حقيقة ولم يكن سحراً فمعلوم دينياً وعلمياً أن السحر عبارة عن مهارة في الحركة وخداع للبصر ولا يغير طبيعة الأشياء فلا يقطع حجراً فضلاً عن أن ينهي هرماً.

– فلماذا يقول الأستاذ : إن كل ما عمله المصريون كان عن طريق السحر ؟

– الكتاب يقول : " إن السحر قد أضفى على الديانة المصرية القديمة جواً من الغموض والتعقيد " وهذا اعتراف منه أن السحر لم يكشف لنا سر الحضارة المصرية بل الاعتقاد فيه هو سبب غموضها .

وجاء في الكتاب : " اعتقد المصريون منذ أقدم العصور أن الإنسان سيبعث ثانية بعد موته ليحيا حياة الخلود " ولم يبيِّن لنا كيف اهتدوا لفكرة البعث وهم يقدسون الحيوانات والطير والحجر ؟ ثم يذكر تفاصيل عن الحساب يوم القيامة لم يعرفها الإنسان إلا من أنبياء الله وكتبهم السماوية المقدسة فيقول : " إن الروح بعد أن تنجو من مخاطر كثيرة في رحلتها إلى العالم الآخر فيما وراء الموت تجابه تجربة قاسية ألا وهي محاكمة تتناول ما آتاه الميت في دنياه من الحسنات والسيئات فتجازى المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته " وهذا ما يقوله القرآن الكريم ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزَّلزلة:٧، ٨] . ثم يقول : " فإذا ما انتهى من ذلك وزن قلبه بميزان يوضع في إحدى كفتيه القلب وفي الكفة الأخرى ريشة تمثل الآلهة معات آلهة الحق والصدق فإن رجحت موازينه دل ذلك على أنه طاهر برئ يتحلى بالفضائل وطيب الخلق فيسير إلى النعيم الأبدي ، وإن خفت موازينه كان ذلك برهاناً على أنه شرير آثم فيساق إلى عذاب الجحيم . " وهذا ما يقوله القرآن الكريم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨ ، ٨٩] ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء:٤٧]

– حقاً يا أبي كيف عرف المصريون القدماء البعث والحساب والجنَّة والنَّار ولم يرسل إليهم رسل ولا أنبياء ؟!

– ومن قال لك يا بنتي أنهم لم يرسل لهم أنبياء ولا مرسلين والله تعالى يقول : ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤]

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧] ؟

وإذا لم يرسل الله لهم رسلاً فكيف يصفهم أستاذك بالكفر والله تعالى يقول ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] ؟

يا بنتي أنا لا أعتقد أن المصريين القدماء الذين عرفوا البعث والنشور والحساب والجنَّة والنَّار كانوا كفاراً !! وأن الحضارة المصرية التي هي أم الحضارات أنشأها المصريون بالسحر !!

تأخر المصريين في دراسة التاريخ المصري القديم

يقول د. سليم حسن : " أما أكبر عالم خدم التاريخ المصري القديم فهو الأستاذ "برستد" (١) الذي جمع كل المتون التاريخية واستخلص منها تاريخاً لمصر يعتبر رغم قدمه من أكبر المراجع في التاريخ المصري القديم إلى الفتح الفارسي ، أما المصريون فلم يقوموا بدراسة لغة بلادهم وآثارهم إلا منذ عهد قريب وعلى رأسهم المرحوم أحمد كمال باشا " (٢)

لكن ما يؤخذ على المؤرخين المصريين – مسلمين ومسيحيين – حقّاً هو تسليمهم بالنظريات الأجنبية في نشأة عقيدة البعث والخلود وغضهم الطرف عما جاء في الكتب السماوية من عقائد دينية .

يقول مهدي مصطفى في تقديمه لكتاب " الدين في مصر القديمة " للكاتبة أبكار السقاف : " وقعت النخبة تحت سيطرة مفاهيم الآخر ، خاصة بعد ذيوع وانتشار مدارس التنوير الأوربية ، فما كان من تلك النخبة – في البداية – إلا أن قلَّدت المناهج الأوربية وأخذت عنها

---

(١) برستد هو جيمس هنري برستد (١٨٦٥–١٩٣٥م) عالم آثار ومؤرخ وعالم مصريات أمريكي الجنسية أهم إنجازاته كتابه الضخم Egypt, Historical Ancient Records of Documents. الذي ضمنه أكثر من عشرة آلاف وثيقة مصرية قديمة قام بترجمتها ونشرها فى مجلدات أربع، وأخيرا نشرت بالعربية وصدرت في أربع مجلدات أيضا بعنوان "سجلات تاريخية من مصر القديمة " .

(٢) د. سليم حسن " مصر القديمة " ج١ ص ١٣٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

فجاءت بعض أفكارها مشوشة وتابعة إلا القليل النادر منها نجا من تلك المحرقة وظلَّ " مسكوتاً عنه " ولم ينتشر ولم يدخل في النسخ العام."(١)

أما عن أصحاب الديانات السماوية الثلاث فقد وقعوا هم كذلك في الخطأ في فهم العقيدة المصرية وهذا ما نعرض له في الفصل التالي .

***

(١) " الدين في مصر القديمة " إبكار السقاف تقديم مهدي مصطفى . العصور الجديدة ص ٨

عقيدة المصريين القدماء عند أصحاب الرسالات السماوية

هل بنو إسرائيل أول الموحدين ؟

لقد ادَّعى اليهود أن سبب اختيار إلههم " يهوه " لهم ليس فقط أن يعقوب أباهم قد صارع الرب وحصل منه على لقب إسرائيل ، وأنه دعاه ابنه البكر بل لأنهم هم أول الموحدين ، وأن " يهوه " لم يُعْبَد وحده إلا بنزول التوراة على موسى . فقد كانت جميع الأمم السابقة عليهم أمماً مشركة تؤمن بتعدد الآلهة ، وتنحت لها التماثيل ، وترسم لها الصور . وأن سائر الأنبياء والمرسلين السابقين على موسى مشركون يدعون مع الله آلهة أخرى !!

فقد تلقى موسى الوصايا العشر التي تكونت من قسمين رئيسيين : قسم خاص بالعقيدة ينص على عبادة الله الإله الواحد ، وعدم تجسيد الإله أو تشبيهه بشيء من خلقه ، وهي الوصية التي فصلت بين التفكير الطبيعي والتفكير التاريخي فيما يتعلق بفكرة الإلوهية وهي الخطوط الفاصلة بين الإلوهية عند الساميين القدماء وتبلور فكرة التوحيد في اليهودية فهي دعوة إلى عدم تصوير الإله في صور طبيعية مأخوذة من الطبيعة وبداية التفكير في الإله تفكيرا نظريًّا مجردًا من خلال أعمال الإله في الطبيعة والتاريخ ، ولأول مرة يتم الفصل التام بين الإله وبين الطبيعة والتاريخ ويصبح الإله خالقًا للاثنين ، ومستقلاً بوجوده عنهما ، والوحي لم يأخذ شكله الأساسي في الدين السامي القديم إلا بعد أن أصبح أساسيًّا في العقيدة اليهودية.

والجزء الثاني من الوصايا خاص بالبناء الاجتماعي ، وتعتبر الديانة اليهودية أول ديانة سامية تحاول وضع قانون دائم ينظم المجتمع وعلاقات أفراده ولهذا نسمع لأول مرة عن نظام الشريعة . (١)

إذن اليهود يزعمون أن أول دعوة إلهية للتوحيد هي الوصية الأولى من الوصايا العشر لموسى " ثُمَّ نَطَقَ اللهُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الأَقْوَالِ : " أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ دِيَارِ عُبُودِيَّتِكَ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى سِوَايَ. لاَ تَتَّخِذْ لَكَ تِمْثَالاً، وَلاَ تَصْنَعْ صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ أَسْفَلِ الأَرْضِ.لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلَهَكَ، إِلَهٌ غَيُورٌ "
(الخروج : ٢٠)

فتوحيد الله تعالى – في زعمهم - لم يحدث إلا بعد نزول التوراة أما قبل ذلك فقد كانت الناس كلهم مشركين وبهذا وصم اليهود جميع البشر قبل تلقي موسى التوراة بالشرك ولم يستثنوا حتى أنبياء الله تعالى من لدن آدم إلى موسى عليهم جميعًا صلوات الله تعالى .

والحقيقة أنه لا يؤمن بهذا الهُراء إلا من سَفَهَ نفسه ، وألغى عقله ، وجعل إلهه هواه فكيف يجوز شرعًا وعقلاً أن نحكم على جميع خلق الله قبل موسى بالشرك دون دليل إلا هذه التُّرَهات ؟!

والحقيقة التي لا يجادل فيها إلا جاحد ولا يعترض عليها إلا معاند ولا ينكرها إلا كافر بكتب الله تعالى جميعًا ، أن البشرية قد عرفت التوحيد مع أبي البشر وأول الأنبياء آدم عليه السلام .

والتوراة نفسها تؤكد هذا " وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَفْلَحَهَا وَيَعْتَنِيَ بِهَا. وَأَمَرَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ قَائِلاً : " كُلْ مَا تَشَاءُ

(١) د. محمد خليفة حسن " دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة " دار الثقافة ص ٥٨

مِنْ جَمِيعِ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ، لَكِنْ إِيَّاكَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لأَنَّكَ حِينَ تَأْكُلُ مِنْهَا حَتْماً تَمُوت" (التكوين : ٢)

أكان آدم حينئذ مشركاً بالرب الإله وقد خلقه وأسكنه الجنة يأكل ما يشاء من جميع أشجارها ؟! .

" وَعَاشَرَ آدَمُ حَوَّاءَ زَوْجَتَهُ فَحَبِلَتْ، وَوَلَدَتْ قَايِينَ إِذْ قَالَتْ : " اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ" . ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ، وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِياً لِلْغَنَمِ. أَمَّا قَايِينُ فَقَدْ عَمِلَ فِي فَلاَحَةِ الأَرْضِ. وَحَدَثَ بَعْدَ مُرُورِ أَيَّامٍ أَنْ قَدَّمَ قَايِينُ مِنْ ثِمَارِ الأَرْضِ قُرْبَاناً لِلرَّبِّ، وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضاً مِنْ خَيْرَةِ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَأَسْمَنِهَا. فَتَقَبَّلَ الرَّبُّ قُرْبَانَ هَابِيلَ وَرَضِيَ عَنْهُ. لَكِنَّهُ لَمْ يَتَقَبَّلْ قُرْبَانَ قَايِينَ وَلَمْ يَرْضَ عَنْهُ." (التكوين : ٤)

أكان آدم وحواء يعبدان أحدًا غير الرب الإله الذي رزقهما قابين وهابيل؟! أم كان قابين وهابيل يعبدان أحدًا غير الرب الإله الذي قدما له القرابين ؟!

" وَعَاشَرَ آدَمُ زَوْجَتَهُ حَوَّاءَ مَرَّةً أُخْرَى فَأَنْجَبَتْ لَهُ ابْناً أَسْمَتْهُ «شِيثاً» إِذْ قَالَتْ: «قَدْ عَوَّضَنِي اللهُ نَسْلاً آخَرَ عِوَضاً عَنْ هَابِيلَ الَّذِي قَتَلَهُ قَايِينُ». وَوُلِدَ لِشِيثٍ أَيْضاً ابْنٌ سَمَّاهُ أَنُوشَ وَعَنْدَئِذٍ ابْتَدَأَ النَّاسُ يَدْعُونَ بِاسْمِ الرَّبِّ." (التكوين : ٤)

من هذا الرب الإله الذي بدأ الناس يدعون باسمه " أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " ؟!!

وجاء في توراة اليهود رضا الله تعالى عن نوح ، أكان الله تعالى راضيًا عن مشرك به عابد لغيره ؟!

" وَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالزَّوَاحِفِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي خَلَقْتُهُ». أَمَّا نُوحُ فَقَدْ حَظِيَ بِرِضَى الرَّبِ " (التكوين : ٦)

فهل كان نوح مشركًا بالله الذي أنقذه هو وأهله وأغرق الكافرين ؟!

«هَيَّا ادْخُلْ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ جَمِيعاً إِلَى الْفُلْكِ لأَنِّي وَجَدْتُكَ وَحْدَكَ صَالِحاً أَمَامِي فِي هَذَا الْجِيلِ " (التكوين : ٧)

" وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ ثُمَّ اخْتَارَ بَعْضاً مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَالطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَقَرَّبَهَا مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ. فَتَقَبَّلَهَا الرَّبُّ بِرِضَى"(التكوين:٨)

من هذا الرب الذي بَنَى له نوحٌ مذبحاً وقرَّب إليه القرابين ؟ أألله غير الذي أنقذه من الطوفان ؟!

وكثيرة تلك المواضع التي تتحدَّث عن هذا الرب الإله في التوراة من لدن آدم حتى موسى الذي يريد اليهود أن ينسبوا له وحده تعليم البشرية جمعاء التوحيد !!!

طغيان المصريين على بني إسرائيل

والمصريون لم يكونوا كفاراً – بالنسبة لبني إسرائيل – فحسب بل كانوا طغاة متجبرين استعبدوا بني إسرائيل وسخَّروهم في الأعمال الشاقة.

فبعد سنوات طويلة من عيش بني إسرائيل في مصر قام ملك جديد على مصر فسخرهم في الأعمال الشاقة ، ولم تذكر توراة اليهود – على غير العادة – سبب انقلاب ملك مصر عليهم إنما أشارت إلى تخوف ملك مصر الجديد من كثرة عددهم ، وخوفه من انضمامهم إلى أعداء مصر .

ثم تذكر توراة اليهود أمر فرعون بقتل أطفال بني إسرائيل الذكور حتى لا يزيد عددهم ويتعاظم خطرهم .

ثم تبدأ توراة اليهود في سرد قصة موسى منذ ولادته وتربيته في بيت فرعون حتى أرسله الله إلى فرعون ليخرج شعب بني إسرائيل من مصر.

رأي المسيحيين في عقيدة المصريين القدماء

يقول الأنبا يوأنس أسقف الغربية : " يقف الإنسان مندهشاً حينما يُرمى المسيحيون بالكفر والشرك . وهم الذين علَّموا العالم التوحيد ، ويبدءون عبادتهم ويستفتحون صلواتهم قائلين : " باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد " .. المسيحية أيها الإخوة لم تؤمن بالوحدانيَّة فحسب بل هي التي علَّمت العالم التوحيد ، وأن الله لا يمكن إلا أن يكون واحداً ... ففي مصر مثلاً أيام قدماء المصريين كان هناك آلهة عامَّة مثل رع والإله آمون، وكانت هناك آلهة إقليمية لكلِّ إقليم ، بل كان هناك إله لكلِّ مدينة ، وكان هناك آلهة شخصيَّة ، وأحياناً للأسرة . وقد جمع الوثنيون في عبادتهم بين الآلهة الخيِّرة والآلهة الشرِّيرة . وقد عبدوا الآلهة الخيِّرة استجاباً لرضاها، والآلهة الشرِّيرة دفعاً لأذاها . " (١)

وإن كان الفراعنة طغاة فإنَّ طغيانهم ، في نظر دعاة القبطيَّة ، طغيان داخلي وهو أخفُّ كثيراً من طغيان الغزاة الغرباء والمحتلِّين الدخلاء .

رأي المسلمين في المصريين القدماء

أما دعاة الإسلام عامَّة والجنسيّة الإسلاميَّة خاصَّة فإن جميع حكام مصر في رأيهم كفرعون موسى طغاة وثنيُّون .

---

(١) الأنبا يوأنس أسقف الغربية " إيماننا الأقدس " ص ١١٨ ، ١١٩ .

يقول الشيخ رشيد رضا : " القبط تنتسب إلى الفراعنة الوثنيين أعداء الله تعالى " (١)

ويقول عن نظام الحكم في مصر القديمة : " أما المَدَنيَّة الفرعونيَّة فقد كانت تستعبد البشر وتذلُّهم ، كما فعلت ببني إسرائيل وغيرهم ، وهذه الأهرام – التي هي أظهر آثارهم – حجَّة عليها وعليهم ؛ فقد كانوا يسخِّرون في بنائها مئات الألوف الخاضعين لهم ." (٢)

ويستشهد المسلمون بالآيات الكريمة التي تحدثت عن كفر وطغيان فرعون حاكم مصر زمن موسى عليه السلام كدليل قاطع على كفر وطغيان حكام مصر قاطبة بل كفر وطغيان المصريين القدماء فيعممون صورة فرعون على كل المصريين القدماء ويسمونهم جميعاً فراعنة !!

والعجيب أن المصريين الذين يفخرون بحضارة مصر القديمة لا ينفون عن صنَّاعها الكفرَ والطغيان والتألـه بل يفتخرون بهذا ويطلقون على البارزين من رجالهم لقب فرعون ، أو فراعنة فإذا حقق إي مصري إنجازاً عالمياً في أي مجال من المجالات يمنحونه لقب فرعون أو الفرعون المصري ، وإذا كان فريقا هو الذي حقق الإنجاز قالوا عنهم فراعنة مصر قد حصدوا ميدالية كذا أو جائزة كذا !!!

وسنبين في الفصل التالي حقيقة عقيدة المصريين ، ثم نبين من هو فرعون ؟ وهل هو اسم علم على حاكم مصر زمن سيدنا موسى أم لقب لكل حكام مصر ؟

***

(١) رشيد رضا ، مجلة المنار " المسلمون والقبط " عدد مارس ١٩١١ ج ١٤ ص ٢٠١
(٢) رشيد رضا " مجلة المنار " مناظرة في الجامعة المصرية في المدنيتين الفرعونية والعربية (وأيتهما تختار مصر هذا العصر ؟!) ج ٣١ ص ٤٦٥ عدد يناير ١٩٣١م

المصريون القدماء والتوحيد

بداية التوحيد

إن الأصل في عقائد البشرية من لدن آدم هو التوحيد ، وما الشرك إلا خروجًا عليه وهذا ثابت كما بينا في توراة اليهود ، وهو واضح لا ريب فيه في القرآن الكريم . فقد فطر الله تعالى بني آدم جميعًا على الإيمان به وتوحيده ، وعدم الإشراك به شيئا وأخذ عليهم العهد .

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣]

يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم ، من أصلابهم ، شاهدين على أنفسهم أن اللّه ربهم وإلههم ، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه ، قال تعالى :

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم : ٣٠]

وقال النَّبِيّ ﷺ " يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ ، فَيَقُولُ : قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ : أَنْ لَا تُشْرِكَ – أَحْسِبُهُ قَالَ: وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ – فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ " [صحيح مسلم].

وتناقش بعض الصحابة في الغزوات حول أبناء المشركين وذريتهم أيقتلون كآبائهم المقاتلين ؟

فبلغ ذلك رسول اللّه ﷺ فاشتد عليه، ثم قال: "ما بال أقوام يتناولون الذرية " ؟ فقال رجل: يا رسول اللّه أليسوا أبناء المشركين ، فقال: " إن خياركم أبناء المشركين، ألا إنها ليست نسمة ولد تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها ، فأبواها يهودانها وينصرانها " [رواه أحمد والنسائي]

فالأصل في الإنسان – أي إنسان – هو الإيمان أما الكفر والشرك فطارئان عليه بسبب الموروثات المختلفة والعقائد الباطلة .

ولم يبدأ التوحيد بموسى كما زعم اليهود إنما بدأ بأبي البشر آدم عليه السلام ، كما ذكرت التوراة نفسها وأكد ذلك القرآن الكريم .

يقول تعالى : ﴿فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ٣٧]

عن مجاهد أنه كان يقول في قول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ قال: الكلمات : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فارحمني، إنك خير الراحمين. اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب علي، إنك أنت التواب الرحيم . (1)

أبعد هذا الدعاء يوصف آدم وذريته بالشرك ؟! وإن كان آدم مشركًا – فرضًا – فهلا أخبرنا اليهود ما الآلهة التي أشرك بها آدم مع الله تعالى !

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٣٩

كيف يكون آدم مشركًا وهو مُصْطَفَى من الله تعالى وكثير من ذريته يقول تعالى :

﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران : ٣٣، ٣٤]

والقرآن الكريم يثبت بما لا يدع مجالاً للشك تقوى هابيل ابن آدم وصلاحه وخوفه من الله رب العالمين .

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

إن التوحيد الذي هو أساس الإسلام هو دين الله تعالى الذي ارتضى للبشرية ودعا كل أنبياء الله تعالى الناس إليه .

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ *وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة : ١٣٠- ١٣٢]

فمن المشرك إذن إبراهيم عليه السلام أم اليهود الذين يقولون بشركه ؟!

رأي علماء المصريات في عقيدة المصريين القدماء

جمهور علماء المصريات والمؤرخين يجمعون على أن أهم ما تميزت به الديانة المصرية القديمة هو تعدد الآلهة .

ودونك ما قاله ستة من جهابذة علماء المصريات في " معجم الحضارة المصرية القديمة " قالوا : " لاشك أن أبرز ظاهرة في خصائص الديانة المصرية القديمة هي كثرة الآلهة : عرف المصريون

مئات من الآلهة والربات جمعوها محليّاً في " تاسوعات " وأشاروا إلى " ملك الآلهة " وإلى " سيدة جميع الآلهة " . ولو ذرعنا (ذرع الطرق قطعه بسرعة كأنه يقيسه) في كل مركز من مراكز العبادة لوجدنا كائنات إلهية تتخذ صور الأبقار والتماسيح واللبؤات والعجول وأبي قردان والثيران والطيور الجارحة الصقور ، وكثيراً من المخلوقات الأخرى ، ويطلق عليها عادة أسماء شتى في مختلف المدن " (١)

هذا هو اللغز الذي دوَّخ علماء الحضارة والمؤرِّخين

وهؤلاء الذين يقرُّون بتعدد الآلهة المعبودة لدى المصريين القدماء يعترفون بأنه بمعرفة المصريين القدماء بالتوحيد الخالص فيقولون : " رغم أن هذه الآلهة تبعاً لبلادها كانت تختلف في الشكل والاسم وفي طريقة السلوك فمن المدهش أن نجد خارج هذه الاختلافات فكرة " الألوهية " المجردة التي لا تتكر ممثَّلة في شعار على هيئة لواء معلق في طرفه ساق خشبية تغرس عند مداخل المعابد البدائية .

وكلمة " نثر " أو " الألوهية " هي الاسم الذي كان يصف أي واحد من تلك الآلهة مهما كان اسمه ؛ كما استعملت لتصف كل سمة ربانيَّة. ومن الطبيعي أن تستعمل هذه الكلمة لتصف كل إله على حدة دون تكرار اسمه ، وسرعان ما أدى هذا الاستخدام إلى فكرة وجود قوَّة إلهية مستقلَّة اشترك فيها كل إله .

كان الاعتقاد في " قوة إلهية " غير شخصية ولا نهائية موجودة في كل إله على حدة (ولكنها عامة ومنتشرة في حيز واسع وراء أشكالها المرئية المختلفة) عنصراً أساسيا في الفكر الديني المصري .

---

(١)جورج بوزنر ، سيرج سونرون ، جان يويوت ، أ.أ.س إدواردز ، ف.ل. ليونيه ، جان دوريس " معجم الحضارة المصرية القديمة " مرجع سابق ص ٥١ ، ٥٢ .

لهذا يمكن أن نقول إن التوحيد المصري موجود دائماً مع تعدد الآلهة الواضح في العبادات المادية .

كثيراً ما يُذْكر الإله في أدب الحكمة دون أي صفات : " ليست إرادة الإنسان هي التي تحقق بل تدبير الإله (بتاح حوتب) الدولة القديمة .

" يَعْرف الإله من يعمل من أجله " (مير يكارع) الأسرة الحادية عشرة.

" كل من يفعل هكذا سيمجد الإله اسمه " (الحكيم آني) الأسرة الثامنة عشرة .

" الإنسان طين وقش وصانعه هو الإله " (أمينيموبي) نهاية الدولة الحديثة .

" سعيد من يسير في طريق الرب " (بيتوسيريس) القرن الرابع قبل الميلاد .

توجد أساليب التعبير هذه القاصرة على أدب الحكمة في الكتابات الخاصة .

" أدخلت السرور على قلب الإله لأني فعلت ما يحب ، إذ تذكرت أنه يجب عليَّ أن أذهب إلى الإله يوم مماتي " الدولة الوسطى .

إذن لا سبيل لإنكار أن مصر قد عرفت في مختلف عصورها عقائد تدعو لعبادة آلهة متعددة نشأت عن الديانات المحليَّة المختلفة التي احتفظت في حالة التوحيد بالاختلافات الأصلية التي كانت في عبادات ما قبل التاريخ مع وجود اعتقاد عام لا يتناقض إطلاقاً مع عمومية ووحدة كائن إلهي لا اسم له ولا شكل ولكنه يضم كل شيء . (١)

كيف يستقيم أن يعبد المصريون القدماء آلهة متعددة في نفس الوقت الذي يعترفون فيه بوجود إله واحد أحد لا اسم له ولا شكل ؟!!

---

(١) نفسه ص ٥٣ ، ٥٤.

الأدلة على توحيد المصريين القدماء

والحقيقة التي أكدتها البرديات القديمة أن المصريين موحِّدون ، نعم موحدون يؤمنون بالله الواحد الأحد – الذي نؤمن به – وبكل التشريعات الإلهية التي جاءت بها الكتب المقدسة بعد ذلك .

سعياً وراء البحث عن أصول الديانة المصرية وأسسها وفلسفتها نجد عباس محمود العقاد يؤكد في دراسته لمفهوم الألوهية . في هذه الديانة أنه في هذه العهود السحيقة " وصل المصريون إلى التوحيد " وهو برأيه هذا ليس فريداً فيبدو أنه بذلك يسير على نفس درب بعض ذوي التخصص في الدراسات المصرية القديمة لأن " برستد " قد سبقه وأشار إلى نفس المعنى حيث بيَّن " .. وقوع بعض الناس في الخطأ فنسبوا إلى المصريين أنهم عبدوا الحيوانات ، ولكن الحقيقة أن ذلك لم يكن في أصل ديانتهم " ، وذهب معه " رودلف أنتس " إذ أكد أنه قد " .. عُرفت فكرة وجود الإله الأزلي منذ أوَّل بدء التاريخ المصري " وقد دعَّم هذا الرأي وعلا به أكثر أحمد بدوي بتأكيده : إن المصريين قد " .. عرفوا أن الله واحد لا شريك له " بل إنهم " قد نزَّهوا الخالق عن طبيعة الأشياء" (١)

وليس فقط هؤلاء من أكدُّوا توحيد المصريين القدماء فهناك العديد من العلماء والباحثين الذين أكدوا هذه الحقيقة منهم العالم الفرنسي شمبليون مكتشف ومترجم نصوص حجر رشيد حيث يقول : " لقد استنتجنا مما هو منقوش على الآثار صحَّة ما رواه "جامبليك "وما ذكره غيره من المتأخرين من أن الأمة المصرية كانت أمة موحِّدة في عبادتها لله ، وأنهم لمَّا توغَّلوا في سبيل التوحيد وقطعوا آخر مرحلة علموا أن الروح أبديَّة واعتقدوا بصحَّة الحساب والعقاب " .

(١) د. سيد القمني " عقيدة الخلود في مصر القديمة " المركز المصري لبحوث الحضارة ص ٩١

وفي عام ١٨٣٩ بعد وفات " شمبليون " نشر أخوه " فيجاك " نقلاً عنه خلاصة ما كان قد توصَّل إليه بعد طول بحث ودراسة : "إن الديانة المصرية توحيد خالص"

ويذكر العالم البريطاني " والس بدج " : { إن أكثر المؤيِّدين لنظرية التوحيد في مصر القديمة هو " د. بروجش " الذي جمع عدداً هائلاً مدهشاً من الفقرات المصريَّة الأصليَّة ، ومن هذه الفقرات نختار ما يأتي:

" الإله واحد لا ثانيَ له "

" الإله باطن خفي" (الذي لا تدركه الأبصار)

" وهو خالق يعرف تكوينه ولا أحد يمكنه أن يدرك كنهته وماهيته ،ولا شبيه له"

" هو خالق الكون وكل ما فيه ، خالق السموات والأرض والأعماق (ما تحت الثرى) والمياه والجبال .. إلخ "

وهذا القول قال به العالم الفرنسي " دي روجيه " ، وعالم الآثار " دي لاروج " ، وعلماء الأثار : " ماريت " ، و" بيريت " و " ماسبيرو " .

لقد نشر " والس بدج " كتاباً فيه تلخيص لخلاصة ما توصل إليه هؤلاء العلماء وغيرهم جاء فيه " ومن الصفات المنسوبة إلى الله " God " في النصوص المصريَّة من كل العصور انتهي بروجش ، ودي روجيه، وعلماء المصريَّات الكبار الآخرون إلى فكرة أن سكَّان وادي النيل من أبكر وأقدم العصور عرفوا وعبدوا إلهاً واحداً .. أزليّاً .. أبديّاً .. لا تدركه العقول .. ولا يمكن استكناه ماهيَّته " .

ونشر والس بدج كتاباً آخر أكد فيه ما سبق أن ذكره من تماثل توحيد قدماء المصريين وتوحيد اليهود والمسلمين يقول فيه : " إنه لا توجد صعوبة في إظهار أن فكرة التوحيد التي وُجدت في مصر منذ العصور

المبكرة لا تختلف في ملامحها عن تلك التي نمت بين العبرانيين (اليهود) والعرب (المسلمين) " (١)

لم يكن التوحيد قاصرًا على المصريين القدماء فقط ، فقد عرفت شعوب أخرى التوحيد قبل بني إسرائيل . ففي نشيد الخلْق البابلي تقول الآلهة عن مردوخ: "إذا كان الناس قد تقسَّموا بين الآلهة، فإنه إلهنا، مهما اختلفت تَسْمِيَاتُنا التي أطلقناها عليه".

ولقد كان " شمس " إله الشمس، ولكنه في الوقت نفسه الإله الأعلى الذي يُملِي على الملك حمورابي، (١٧٩٢. ١٧٥٠) ق . م ، "شريعة العدل"، التي لا تختَلِف في شيء عن "شريعة العهد" التي أملاها يهوه على موسى بعد خمسمائة عام .

ومع ذلك فإن شهادة أولبرايت، المعروف بتعاطفه مع تقاليد بني إسرائيل . ذات مغزى، حيث يقول: "إن كتاب العهد(الخروج ٢١. ٢٣) هو ناموس شرعي ذو أجزاء من نَمَط شريعة حمورابي.

وإذا كانت القوانين الحثية "في القرن الرابع عشر ق.م"، والقوانين الأشورية "في القرن الثاني عشر ق.م" تَستَمِدُّ صياغاتها من الأحكام القضائية السومرية في الألف الثالث قبل الميلاد، فإن كتاب العهد ليس سوى الشكل المُنَقَّح بمجموعة من القوانين أكثر قدمًا، وهي تتفاوت في تعميمها، للتعبير عن الظروف المحلية التي كانت سائدة في كنعان، والتي قد تكُون انتقلت إلى أيدي الإسرائيليين خلال عصر القُضاة. (٢)

***

(١) لمزيد من أقوال علماء المصريات حول توحيد القدماء المصريين راجع د. نديم السيار " قدماء المصريين أول الموحدين " الفصل الثاني " إشراق الحقيقة " .

(١) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الأول ، الفصل الأول : الحضارة الكنعانية . مرجع سابق .

أنبياء اللّه في مصر

أول الأنبياء المصريين

بينا في الفصل السابق اعتراف علماء المصريات والمؤرخين بمعرفة المصريين القدماء التوحيد الخالص ، والسؤال من أين جاء المصريون القدماء بهذا التوحيد الخالص ؟

هل ظهر التوحيد الخالص نتيجة للمقومات الطبيعية والبشرية التي تحدَّث عنها بعض علماء الحضارة ؟!

الحقيقة إن المصريين القدماء عرفوا التوحيد الخالص منذ فجر التاريخ على يد نبي الله إدريس عليه السلام أو هرمس كما يسميه اليونان– كما سبق أن ذكرنا في الفصل السابق – وصحفه المقدسة المنزَّلة من السماء .

يقول ديورانت في " قصة الحضارة : " كان من المألوف في الأزمان القديمة أن تُعْزى كتب القوانين إلى الوحي الإلهي ،وكانت قوانين مصر تعزى إلى تحوت "

وتحوت هو نفسه هرمس عند اليونان .

يقول د. سليم حسن : " أطلق اليونان على تحوت اسم هرمس " (١)

ويقول ول ديورانت " كان اليونان يعظمون تحوت ويسمونه هرمس المثلث العظمة."(١)

---

(١) د. سليم حسن موسوعة " مصر القديمة " ج١ ص ١٨٦ مرجع سابق .

فتحوت هو هرمس ، وهرمس هو نبي الله إدريس .

يقول ابن تغر بردي : " إن هرمس الموصوف بالحكمة والذي تسميه العبرانيون خنوخ هو إدريس عليه السلام " (١)

يقول النويري : "هرمس: نبي، وحكيم، وملك قيل: هو إدريس عليه السلام." (٢)

ابن خلكان " ومن الناس من زعم أن هرمس الأول المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة وهي الذي يسميه العبرانيون خنوخ وهو إدريس عليه السلام " (٤)

وتشير برديات هرمس إلى العلاقة بين ظهور عقيدة التوحيد وظهور جذور المعرفة في الحضارة المصرية القديمة والتي ارتبطت جميع عناصرها بالعقيدة ، تقول برديات هرمس " عندما آمن المخلوق برب السماء أنعم عليه بنعمة المعرفة التي حملها تحوت رسول الإله الذي ينقل رسالته إلى البشر " (٥)

ويقول ول ديورانت " كان معظم علماء مصر من الكهنة، ذلك لأنهم بعيدون عن صخب الحياة وضجيجها، يتمتعون بما في الهياكل من راحة وطمأنينة؛ فكانوا هم الذين وضعوا أسس العلوم المصرية ،وهم يقولون في أساطيرهم أن العلوم قد اخترعها من ١٨٫٠٠٠ سنة قبل الميلاد تحوت إله الحكمة المصري في خلال حكمه على ظهر الأرض"(٦)

---

(١) ول ديورانت " قصة الحضارة " مرجع سابق ج١ص ٣٢٦ .
(٢) ابن تغر بردي " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " ص ٦٦ .
(٣) النويري " نهاية الأرب في فنون الأدب " ص ٦٣٨ .
(٤) ابن خلكان "وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان " ص ١٢٣٨
(٥) د. سيد كريم " لغز الحضارة المصرية " مرجع سابق ص ٧٠
(٦) ول ديورانت " قصة الحضارة " مرجع سابق ج١ص ٣٢٥ .

وفي دائرة المعارف للبستاني : " إن إدريس قد ملأ ٣٠٠ كتاباً بالإلهامات التي أُلهم بها " .

ويذكر القرماني أيضاً: " وقد صنَّف إدريس الكتب الكثيرة مما جاء به جبريل ومما فيه إظهار أسرار الربوبية " .

ولقد جاء في حديث أبي ذر الغفاري الطويل في عدد الأنبياء عليهم السلام ذكر الصحف الثلاثين التي أوحى الله تعالى بها إلى إدريس نبي المصريين .

قال أبو ذر الغفاري : { .... قلت: يا رسول الله، كم الرسل من ذلك ؟ قال: "ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير كثير طيب". قلت: فمن كان أولهم ؟ قال: "آدم" قلت: أنبي مرسل ؟ قال: "نعم، خلقه الله" بيده، ونفخ فيه من روحه، سواه قبيلاً " .

ثم قال : "يا أبا ذر، أربعة سريانيون: آدم وشيث **وخنوخ وهو إدريس**، وهو أول من خط بقلم، ونوح، وأربعة من العرب: هود وشعيب وصالح ونبيك يا أبا ذر وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى، وأول الرسل آدم وآخرهم محمد" قال: قلت: يارسول الله، كم كتاب أنزله الله ؟ قال: "مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، **وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة**، ... } (١)

وذكر القرطبي في تفسيره : " إدريس عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وأول من نظر في علم النجوم والحساب وسيرها. وسمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله تعالى. وأنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة كما في حديث أبي ذر. الزمخشري: وقيل سمي إدريس إدريس لكثرة درسه كتاب الله تعالى . " (٢)

---

(١) ذكر الحديث ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء:١٦٤]

(٢) تفسير القرطبي لقوله تعالى : {واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا} [مريم : ٥٦]

هذا ما قاله المفسرون في حق إدريس ، فماذا قال علماء المصريات عن تحوت؟

الحقيقة أن الكلام يكاد يتطابق مما يؤكد أنهما شخص واحد .

يقول علماء المصريات : " تحوت إله العلم والحكمة والأدب ، وكاتب الآلهة ومخترع اللغة الهيروغليفية وواضع القوانين ومخترع علم الحساب والفلك " (١)

وإذا كانت دعوة التوحيد قد بدأت في مصر واعتنقها المصريون منذ عهد إدريس عليه السلام أي منذ ما قبل ٨.٠٠٠ عام . فإنها قد ظلت عقيدة راسخة نجد أصداءها تتردد بقوة على مر العصور والعقود .

وقبل أن يسارع أحد بتكذيب توحيد المصريين القدماء باسم الإسلام نضع بين أيديكم هذه الحقائق :

موقف الإسلام من توحيد المصريين القدماء

إن الدين الإسلامي لا يكذِّب شيئا مما ذكر عن توحيد المصريين لله تعالى الواحد الأحد بل على العكس يؤكده وإليك الدليل على هذا :

إن القرآن الكريم قصَّ علينا قصص الأنبياء الذين عاشوا في مصر ، فبها وُلد إدريس ، وموسى ، وهارون ، وعاش فيها الخليل إبراهيم ،وإسماعيل ،ويعقوب ويوسف وعيسى – عليهم السلام جميعاً ممن جاء ذكرهم في القرآن الكريم وممن لم يأت ذكرهم ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء : ١٦٤]

وبنص الآية الكريمة فإن هناك رسلاً عديدين لم يأت ذكرهم في القرآن الكريم . ولا شك أن منهم الكثير ممن أرسلهم الله سبحانه إلى المصريين

(١) عبد القادر حمزة " على هامش التاريخ المصري القديم " مطابع الشعب ٤٧٧ .

القدماء – بالإضافة إلى من جاء ذكرهم في القرآن الكريم – على مدى آلاف السنين في تاريخنا المجيد الطويل المديد .

إذا لم يكن المصريون قد عرفوا التوحيد ، فماذا فعل هؤلاء الأنبياء – عليهم السلام – في مصر ، أ لم يبلغوا رسالة الله للمصريين ؟ أ لم يؤدُّوا الأمانة إليهم ؟

بلى بلغوا الرسالة للمصريين ، وأدوا إليهم الأمانة ودعوا إلى الله الواحد حتى في أحلك الظروف .

ألم يدعو يوسف عليه السلام إلى توحيد الله تعالى وهو في سجن ملك مصر .

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف : ٣٩]

ألم يبلغ موسى وهارون فرعون وملئه رسالة الله تعالى بل وحاجَّاه فيها .

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {٤٣} فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى {٤٤} قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى {٤٥} قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى {٤٦} فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى {٤٧} إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى {٤٨} قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى {٤٩} قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى {٥٠} قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى {٥١} قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ [طه : ٤٣– ٥٢]

لقد أرسل الله تعالى في كل أمَّة من الأمم رسولاً يهديهم إلى الحق ، وأرسل مع كل رسول كتاباً مقدساً فيه شريعة الله تعالى .

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[فاطر : ٢٤]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ، بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ (الكتب المقدسة) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل ٤٢، ٤٣]

فلم العجب من معرفة المصريين للتوحيد الخالص ، وما العجب من نزول كتب مقدسة على رسلهم وقد دلت الآية السابقة على ذلك ؟!

وربما قال أحدهم إن القرآن الكريم حدثنا عن تكذيب الفراعنة لرسل الله .

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال : ٥٢]

نعم إن من المصريين القدماء من كذَّب الرسل ولا نعلم منهم إلا فرعون موسى لكن القرآن لم يحدثنا ولو لمرة واحدة أن الفراعنة – هكذا بصيغة الجمع – كلهم كذبوا الرسل .

كما أن القرآن الكريم لم يقل مرة واحدة أن المصريين كذبوا الرسل ، وكيف يكذب كل المصريين على مدي تاريخهم القديم – كل الرسل على كثرتهم واختلاف أوقات نزولهم ؟

أ لم يؤمن مصري واحد برسول ؟!

ونأتي الآن إلى فرعون موسى الذي عمَّم المسلمون والمسيحيون واليهود عقيدته وجبروته لتشمل جميع حكام مصر بل جميع المصريين القدماء ، فجعلوا كل مصري : حاكماً أو محكوماً ، فرعونَ موسى حاكماً طاغياً متألِّهاً !!

المؤمنون في عصر فرعون

لقد أفاض القرآن الكريم في الحديث عن كفر فرعون حاكم مصر زمن نبي الله موسى وطغيانه ، فهل ذكر القرآن الكريم – ولو لمرة واحدة – أن كل شعبه كان كافراً مثله ؟

اللهم لا .... إنما دائما القرآن الكريم يخصص فيقول : آل فرعون (أي أهله) أو ملئه (الأشراف ، والعلية) أو جنوده ، وأقصى تعميم للقرآن الكريم هو قوم فرعون ، وقوم الرجل أقاربه عصبية ومن يكنون بمنزلتهم تبعاً له .(١)

الأعجب من ذلك أن القرآن الكريم ذكر أن جماعة من قوم فرعون قد آمنوا بموسى عليه السلام .

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[يونس:٨٣]

قال ابن كثير في تفسير الآية " قال ابن عباس: الذرية التي آمنت لموسى من غير بني إسرائيل قوم يسير " منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون ، وامرأة خازنه ، وماشطة ابنة فرعون "

بالإضافة إلى سحرة فرعون الذين آمنوا برب العالمين رب موسى وهارون.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ {١١٧} فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ {١١٨} فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ {١١٩} وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ {١٢٠} قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ {١٢١} رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف:١١٧ – ١٢٢]

ويخبرنا الحق جل وعلا أنه أهلك قوم فرعون الذين كذبوا أجمعين ، فهل أهلك الله تعالى شعب مصر على فرض أنهم هم قوم فرعون ؟!

بالطبع لم يقل بهذا عاقل إنما قوم فرعون هم من آمنوا به وكفروا بالله تعالى : ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَه فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ {٥٤} فَلَمَّا

(١) انظر معاجم اللغة في معنى : آل ، الملأ ، قوم الرجل .

آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ {٥٥} فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٤ – ٥٦]

أ لم يبق شيء من الكتب المقدسة فيه ما يدل على وحدانية الله ؟!

والحقيقة التي لا يماري فيها عاقل أن مصر كغيرها من الأمم التي أرسل الله إليها رسلاً منهم من آمن ومنهم من كفر ، وأن الحضارة التي دوَّنت كل حياتها أ تبخل على كتب الله المقدسة بالتدوين ؟

وما تلك الكتب المقدسة التي عُثر عليها ؟ أ هي من صنع بشر ؟!!

إن كثيراً من الوثائق المصرية القديمة ككتاب الموتى ، ونشيد الشمس لا تملك أن تقول فيه إلا كما قال النجاشي عندما سمع القرآن " هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة "

يقول رع عن نفسه : " إني أنا الذي خلقت السماء والأرض وأرسيت الجبال . أنا الذي خلقت الساعات ومن ثَمَّ جاءت الأيام إلى الوجود .

أنا الذي خلقت نار الحياة .(١)

ويقول عن نفسه أنه : " الإله المقدَّس الذي جاء إلى الوجود بنفسه .. الإله الأزلي الذي وُجد في البدء والذي رفع السماء وسوَّى الأرض .. الإله الذي لا ينازع سلطانه منازع ذو القول الفصل " (٢)

ورع هو الاسم الأشهر الذي عُرف به الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وهو ما يقابل عندنا لفظ الجلالة " الله " .

و" رع " عند المصريين القدماء ليس اسم الله الأعظم ، فاسم الله الأعظم لا يعرفه أحد ، وعند قضية اسم الإله نتوقف قليلاً إذ يجب أن

---

(١) نقلا عن إبكار السقاف " الدين في مصر القديمة ". العصور الجديدة ص ٤٥ .
(٢) نفسه ص ٤٦ .

نلفت الانتباه إلى نقطة لها خطورتها في اللاهوت المصري القديم ، وأيضاً في لاهوت جميع الأديان السماوية .

الفرق بين أسماء الصفات واسم الله الأعظم

إن كل الأسماء الإلهية الحسنى هي في حقيقتها أسماء صفات أي أسماء لبعض صفاته سبحانه وتعالى . أما اسم الله الأعظم الذي يعبِّر عن كنهه تعالى وماهيته فهو عند اللاهوت المصري القديم – وفي كل الأديان السماوية – لا يعرفه أحد ؛ فهو مما استأثر به الله تعالى في علم الغيب عنده.

كان المصريون القدماء يدركون العلاقة بين الاسم وصورته ، فاسم الشيء تصوير لكنهه وطبيعته .

يقول سيرج سونيرون: " الكلمات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجوهر المخلوقات أو الأشياء التي تعبر عنها ؛ فإن تشابه الألفاظ لا يمكن أن يكون إذن شيئاً عرضيّاً بل لا بد أنها تعبِّر عن تقارب في الطبيعة ، واتصال دقيق يضطلع الكهنة بفهمه والقيام بتعميقه : ومن ذلك أسماء الأماكن وأسماء الآلهة والألفاظ التي تعبر عن الأشياء المقدسة . كل شيء يصبح من الممكن تفسيره عن طريق الاشتقاق والجرس الصوتي للكلمات ." (١)

ويضرب سونيرون الأمثال لتوضيح علاقة الرسم بالاسم المراد التعبير عنه نكتفي منها بمثل واحد : " فلنكتب على سبيل المثال اسم الإله بتاح مستخدمين في ذلك إشارات أصلية فنرى الكاتب يعبر عن الحرف الأول

(١) سيرج سونيرون " كهَّان مصر القديمة " ترجمة زينب الكردي ، مراجعة د. أحمد بدوي الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٣٨ .

من اسم الإله وهو " ب " بصورة السماء ، واسمها كما ينطق به في المصرية " بة " ، وعن حرف " ت " بصورة الأرض واسمها المصري " تا " ، وعن حرف " ح " برسم الإله " حح " رافعاً ذراعيه إلى أعلى ومعبراً في الوقت نفسه عن إحدى الوظائف التي أسندتها نظرية منف الدينية إلى الإله " بتاح " الذي فَصَلَ في خلق الكون بين السماء والأرض ، وفي وضع رسم المعبود " حح " بين السماء " بة " التي يرفعها بذراعه، والأرض " تا " التي وطئها بقدميه استطاع الكاتب أن يرسم الصورة الصوتية لاسم المعبود " بتاح " ، وأن يرسم في الوقت نفسه صورة صغيرة تترجم رؤيتها وظيفة هذا الإله بين عناصر الكون"(١)

وهكذا يستطيع النص المرسوم على هذا النحو أن يتحدَّث إلى العقل الذي يتابع الألفاظ ويدرك معانيها إلى العيون التي تترسم الصور والأشكال ، شأنها في ذلك شان الفيلم الذي يتحدث إلى العقول بأحداثه وإلى العيون بصوره ، فيعبر عن القتال بصورة رجلين يقتتلان . (٢)

فبالله عليك وحالة الكتابة المصرية على هذا النحو كيف يكتبون اسم الله الأعظم !! لذا لم يذكروا له اسماً ، ولم يرسموا له رسماً ، ولم ينحتوا له تمثالاً، لأنه باطن خفي عن مخلوقاته لا تدركه الأبصار .

جاء في كتاب الموتى وهو أقدم كتاب مقدَّس عرفه المصريون القدماء في عصور ما قبل الأسرات : " لا يعرف الإنسان اسم الخالق " .

وفي متون الأهرام : " إن الخالق لا يمكن معرفة اسمه لأنه فوق مدارك العقول " (٣)

---

(١) نفسه ص ١٤٤ .
(٢) نفسه ص ١٤٥.
(٣) د. نديم السيار " ليسوا آلهة ، ولكن ملائكة " ص ٣٢٠

إنه من المستحيل أن يصل المصريون القدماء إلى هذا التوحيد بعقولهم المجردة مهما بلغوا من الذكاء والعبقرية .

هل يعرف المسلمون اسم الله الأعظم؟

الحقيقة إن المسلمين كالمصريين القدماء لا يعرفون يقيناً اسم الله الأعظم وكل من ذكره بعض العلماء المسلمين إنما هو اجتهاد منهم وليس حقيقة ثابتة جاء في الحديث الصحيح : " مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، ..."

والشاهد قوله " أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ " وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن حصره ولا الإحاطة به ، وهذا هو الحق وهو مذهب الجمهور بل حكى النووي الاتفاق عليه ، قال الخطابي عند ذكره لهذا الحديث : " فهذا يدلك على أن لله أسماء لم ينزلها في كتابه حجبها عن خلقه ولم يظهرها لهم ، وقال ابن القيم في شفاء العليل :" الحديث دليل على أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين، وأن له أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره " .

وأما الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: " إنَّ للهِ تِسعةً وتِسْعينَ اسماً ، مائةً إلا واحدة ، مَن أحصاها دَخَلَ الجنَّة " فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد ، ونظير هذا أن تقول : عندي مئة درهم أعددتها للصدقة فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة .

قال ابن تيمية : أن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما في الحديث الصحيح :" أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابه، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"

فجعل أسماءه ثلاثة أقسام :

قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه، فلم يطلع عليه أحدا من خلقه .

ولهذا قال: استأثرت به أي: انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمية به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه، ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة " فيفتح علي من محامده بما لا أحسنه الآن " وتلك المحامد هي بأسمائه وصفاته، ومنه قوله ﷺ " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " وأما قوله ﷺ " إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة " فالكلام جملة واحدة، وقوله " من أحصاها دخل الجنة " صفة لا خبر مستقل .

والمعنى له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها، وهذا كما تقول: لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد، فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدين لغير الجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه .

لماذا أخفى الله تعالى اسمه الأعظم

إن لله تعالى حكمة عظيمة في إخفاء اسمه الأعظم ؛ لتعظيم كل أسمائه الحسنى ودعائه بها ، ولو ذكر الله تعالى اسمه الأعظم لاكتفى

الناس بذكره وهجروا أسماءه الحسنى الأخرى ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠] والمعنى: ولله تعالى وحده جميع الأسماء الدالة على أحسن المعاني وأكمل الصفات فادعوه أي سموه واذكروه ونادوه بها جميعاً ولا تقتصروا على اسم دون غيره ، ولقد نزلت هذه الآية في رجل من المسلمين كان يقتصر في دعائه على اسمي الله تعالى : الرحمن ، والرحيم فقط . قال مقاتل وغيره من المفسرين: نزلت الآية في رجل من المسلمين كان يقول في صلاته: يا رحمن يا رحيم. فقال رجل من مشركي مكة: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فنزلت" .

ولم يخف الله تعالى اسمه الأعظم فحسب بل إنه تعالى أخفى تحديد وقت ليلة القدر ليقيم الحريص عليها كل ليالي رمضان ، كما أخفى رضاه في الطاعات حتى يُرَّغِبَ فيها جميعاً ، وأخفى الإجابة في الدعاء للاجتهاد فيه دوماً ، والتوبة للمواظبة عليها ، وأخفى أجل الإنسان للاستعداد له في كل وقت .

نظرية المصريين القدماء في نشأة الكون

والأعجب من ذلك أن المصريين القدماء عرفوا نشأة الكون كما جاء في الكتب السماوية ، وكما أثبتتها الأبحاث العلمية الحديثة .

فقد جاء في الوثائق المصرية القديمة أن الإله " رع " هو الذي خَلَق الخَلْق وكان عرشه على الماء .

جاء في كتاب الموتى { إني أنا " أتوم " حين كنت في نون – الماء الأزلي – وإني أنا " رع " حين بدأت أحكم مَن قد خلقت } (١)

(١) نقلا عن إبكار السقاف " الدين في مصر القديمة ". العصور الجديدة ص ٤٤ .

وأتوم هو اسم من أسماء صفات الإله بمعنى المبدئ أو الخالق وليس إله آخر مع رع أو أمون ... .

يقول سليم حسن عن نشأة الكون : " هكذا بدأ العالم بالإله " أتوم " الخالق " (١)

ويجب ألا نتعجب من كثرة صفات الإله وأسمائه فقد جاء في الحديث الصحيح " إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر" [متفق عليه]

وذكر الله تعالى بعضها مجمَّعاً فقال تعالى :

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ {٢٢} هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ {٢٣} هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢- ٢٤]

فهل الملك والقدوس والمؤمن والمهمين والعزيز والجبار... أسماء آلهة؟!

لا يقل بهذا مسلم عاقل صحيح الإسلام إنما هي أسماء لمسمى واحد أحد فرد صمد لا تدركه الأبصار .

وقد جاء في سبب نزول قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] أن رجلاً من المسلمين كان يقول في صلاته: يا رحمن يا رحيم. فقال رجل من مشركي مكة: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فنزلت الآية .

---

(١) د. سليم حسن " مصر القديمة " ج١ ص ٢١٠ مرجع سابق .

فمن ظن أن الرحمن إله ، والرحيم إله آخر رجل مشرك لا يدري أن جميع أسماء الله الحسنى لمسمى واحد ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣]

بعض أسماء آلهة المصريين القدماء وما يقابلها من أسماء الله الحسنى

وعلى ذلك فإن رع ، وآمون ، وبتاح ، أتوم ... أسماء حسنى لله وليسوا آلهة مختلفون كما زعم العلمانيون من علماء المصريات ومن جاراهم من المؤرخين المصريين الذين لم يدرسوا الحضارة المصرية القديمة في ضوء الرسالات السماوية المختلفة وخاصة الإسلام .

ف" **رع** " هو اسم الله : مالك الملك ، ورب العالمين ، والقوي المتين وهو أشهر الأسماء لله الواحد الأحد عند المصريين ، ويمكن أن نقول إن الاسم الذي يقابله في الإسلام هو ﴿قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦] ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]

و**أتوم** هو اسم الله : خالق الكون ، ويمكن أن نقول إن الاسم الذي يقابله في الإسلام هو {هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّر} [الحشر:٢٤]

و**آمون** هو اسم الله : اللطيف الذي لا تدركه الأبصار ويمكن أن نقول إن الاسم الذي يقابله في الإسلام ﴿لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]

بتاح هو اسم الله : والبديع ، وخالق الإنسان من طين ويمكن إن نقول إن الاسم الذي يقابله في الإسلام ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢]

سوكر وهو مرتبط ببتاح وهو اسم الله : المحيي المميت ويمكن إن نقول إن الاسم الذي يقابله في الإسلام ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الرُّوم:٤٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج:٦٦]

و**نوت** هو اسم الله : إله السماء ، و**جب** هو اسم الله : إله الأرض ، ويمكن أن نقول إن الاسمين اللذين يقابلانهما في الإسلام هما ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ﴾ [الزُّخرف:٨٤] ﴿فَللهِ الحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الجاثية:٣٦]

و**خنوم** هو اسم الله : خالق البشر ، ويمكن أن نقول إن الاسم الذي يقابله في الإسلام ﴿اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصِّلت:٢١]

و**شو** هو اسم الله : إله الهواء والحياة ، ويمكن أن نقول أن الاسم الذي يقابله في الإسلام ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية:٥] ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشُّورى:٣٣]

و**منتو** هو اسم الله : العزيز إله الحرب القوي الذي لا يغلب ، ويمكن أن نقول أن الاسم الذي يقابله في الإسلام ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ﴾ [هود:٦٦] ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠]

و" **ماعت**" هو اسم الله : الإله الحق العدل المُشرِّع الحسيب ، ويمكن أن نقول أن الاسم الذي يقابله في الإسلام ﴿فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦] ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الحَقِّ أَلَا لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢] ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]

وهكذا أسماء الله الحسنى عند المصريين القدماء لها ما يقابلها في الأديان السماوية والمشكلة تكمن فقط في الترجمة .

وكثير من الأسماء التي زعم علماء الحضارة أنها أسماء آلهة ليست أسماء آلهة إنما أسماء ملائكة أو أنبياء أو مخلوقات مُكَرَّمة أو شياطين فـ " **تحوت** " ليس إلهاً إنما هو رسول الله لهداية البشر للدين ولصناعة الحضارة وهو اسم نبي الله إدريس كما ذكرنا من قبل .

وكذلك " **إيمحتب** " الذي أسماه المؤرخون ابن بتاح وإله الطب ، ما هو إلا رسول الله ومعلم المصريين الطب ، والتشييد والبناء ، وهو الذي بنى هرم سقارة والهرم الأكبر .

و " **سِت** " ليس إلهاً إنما هو إبليس الشيطان الرجيم عدو الله ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الزُّخرف:٦٢] ﴿وَإِذْ قُلْنَا

لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف:٥٠]

قال القدماء أن الإله " **حُو** " هو تجسيد للنطق الذي به ينادي الإله الخالق الأشياء لتكون . ويمكن أن نقول أن الكلمة التي تقابله في الإسلام هي : كُن : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠] ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧] ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]

أما " **نون** " فهو الماء الأزلي الذي خرجت منه الأرض .

يقول سونيرون " فالنون المصرية تمثِّل صفحة الماء ذات الأمواج .. وأصبح مستفاداً من سياق النص " الماء الأولي الذي أخرج الأرض " (١)

ولقد جاء ذكْر " نون " بنفس المعنى في القرآن الكريم في افتتاح صورة القلم ، وفسَّره ترجمان القرآن ابن عباس بأنه يعني الماء ، أو المحيط :

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم : ١]

قال ابن عباس في تفسير الآية الكريمة : " أول ما خلق الله القلم قال: اكتب. قال: وماذا أكتب ؟ قال: اكتب القدر، فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة، ثم خلق النون ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء وبسطت الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإنها لتفخر على الأرض " (٢)

---

(١) سيرج سونيرون " كهَّان مصر القديمة " مرجع سابق ص ١٤٦ .
(٢) تفسير ابن كثير للآية الكريمة ، والقرطبي ، والطبري وغيرهم .

كما جاء في القرآن الكريم أن عرش الله تعالى كان على الماء ثم خلق السموات والأرض : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء﴾ [هود : ٥]

قال مجاهد وغيره من المفسرين: إنه تعالى أيبس الماء الذي كان عرشه عليه فجعله أرضاً وثار منه دخان فارتفع، فجعله سماء فصار خلق الأرض قبل خلق السماء، ثم قصد أمره إلى السماء فسواهن سبع سماوات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، وكانت إذ خلقها غير مدحوة . (١)

لكن ما معنى أن الله تعالى قد دحا الأرض ؟ أي جعلها كالدحية .

يقول الدكتور زغلول النجار مفسراً معنى كلمة دحية : " هذه الكلمة هي باللغة العربية الفصحى تعنى بيضة وأنها مذكورة في القرآن الكريم في سورة النازعات:﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ أي أن الأرض في شكلها تشبه البيضة منبعجة قليلاً عند خط الاستواء ومفلطحة عند القطبين . " (٢)

المصريون القدماء وبيضاوية الأرض والانفجار العظيم

ومما يؤكد أن المصريين القدماء كانت عقيدتهم موحى بها من السماء وليست من بنات أفكارهم – كما يدعي العلمانيون – أنهم نحتوا الإله " خنوم " في هيئة رجل ذي رأس كبش وقرون مزدوجة إنه الإله خالق الحياة والكائنات الحية ، وله صورة ظهر فيها وهو ممسك بالبيضة التي خرجت منها الحياة . (٣)

---

(١) نفسه .
(٢) نقلا عن موقع د. زغلول النجار .
(٣) معجم الحضارة المصرية القديمة مرجع سابق ص ١٥٣ .

وخلْق الأرض على شكل بيضة حقيقة جاء ذكرها في القرآن الكريم كما أثبتها العلم الحديث . فكيف عرف المصريون القدماء أن الأرض بيضاوية إلا إذا أخبرهم بها الخالق عن طريق رسله .

ومن العجيب أن المصريين القدماء ذكروا في وثائقهم أن السموات والأرض كانتا بيضة ثم انفجرت مكونتاً السموات والأرض .

وتنسب الوثائق هذا الانفجار للإله " بتاح " .

{ الإله " بتاح " الذي فَصَلَ في خلق الكون بين السماء والأرض } (١)

كما تنسب الوثائق أن الذي قام بفتق بيضة الأرض هو الإله " شو " وهذا يدل على أنهما إله واحد له عدة أسماء ، أو أن "شو" هو ملك الهواء كما أن عزرائيل هو ملك الموت ، وأن الخطأ في ترجمة لفظ " نيثر " كما سيأتي بيان ذلك .

{ نام " جب " أي الأرض تحت قدمي " نوت " أي السماء وذلك لأن الإله " شو " إله الهواء فتقهما عن بعضهما بعد أن كانتا رتقاً ووضع نفسه بينهما ورفع السماء بلا عمد وصارت ترتكز على ذراعيه } (٢)

وقد استشهد د. سليم حسن تعليقاً على الفقرة السابقة بقوله تعالى :

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠]

ولقد جاء علم الفلك ليظهر هذه الحقيقة التي ذكرها الله في كتابه وتلاها نبيه على المسلمين قبل ألف وأربعمائة سنة :

فعلماء فلك يرجع نشأة الكون إلى ١٣.٧ مليار عام وذلك طبقاً لما أعلنته إدارة الطيران والفضاء الأمريكية (ناسا) مؤخراً حيث حدثت حادثة

---

(١) سيرج سونيرون " كهَّان مصر القديمة " مرجع سابق ص ١٤٤ .
(٢) د. سليم حسن موسوعة " مصر القديمة " مرجع سابق ج١ ص ٢٢٩

تعرف باسم الضربة الكبرى (Big bang) وهي حادثة بداية الكون . ويعدون أن حدوث مثل هذه الحادثة كان أمراً واقعاً، إذ كانت المادة الموجودة حالياً في الكون مركزة بكثافة عالية جداً في هيئة بيضة كونية تتركز فيها كتلة الكون. (١)

والأعجب من ذلك أن القدماء المصريين يذكرون كيفية خلق الله للأشياء.

يقول سونيرون : " إن مدارس اللاهوت – لدى المصريين القدماء – قد تبنت كلها أسلوباً فنياً متشابهاً لفكرة الخلق يقوم أساساً على " الكلمة " فما هي إلا أن تجول إرادة الخلْق في خاطر الإله الأول حتى يتكلم فتكون المخلوقات والأشياء التي عبَّر عنها صوته . (٢)

وهو ما يتفق مع جاء به القرآن الكريم ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة : ١١٧]

وتذكر الوثائق أن الإله " بتاح " هو الذي خلق الإنسان وعلمه الأسماء كلها .

" بتاح إله مدينة " منف " اعتقدوا أنه خالق الإنسان من طين ، وأنه إله الفن والصناعة الأكبر " (٣)

ويقول برستد : " بتاح الذي نطق بأسماء كل الأشياء " (٤)

ويستشهد د. سليم حسن مترجم كتاب برستد " فجر الضمير " معلقاً على كلام برستد في الفقرة السابقة بالآية القرآنية الكريمة :

---

(١) نقلا عن موقع " موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة " .
(٢) سيرج سونيرون " كهَّان مصر القديمة " مرجع سابق ص ١٣٩ .
(٣) عبد القادر حمزة " على هامش التاريخ المصري القديم " مرجع سابق ص ٤٧٢ .
(٤) جمس هنري برستد " فجر التاريخ " ترجمة د. سليم حسن مكتبة مصر ص ١٠ .

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾ (البقرة : ٣١)

كيف عرف المصريون القدماء نشأة الكون ، وخلق الإنسان والله تعالى يقول :

﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ (الكهف : ٥١)

وليس ثمة إجابة إلا أنهم عرفوا نشأة الكون عن طريق وحي السماء .

المصريون القدماء والكتب المقدسة

المدهش أنه وجد تشابه إلى حد التطابق بين ما جاء في البرديات المصرية وما جاء في الكتب السماوية فالمزمور رقم ١٠٤ من مزامير داود في التوراة منقول حرفيّاً من نشيد إخناتون .

يقول د. أحمد فخري إن نشيد إخناتون هو " الأصل الذي نُقِل عنه جزء من المزمور رقم ١٠٤ من مزامير داود في التوراة " (1)

ولاحظ هذه الملاحظة كثير من الدارسين للحضارة المصرية القديمة من الأجانب والمصريين ، ومنهم د. سليم حسن الذي قابل كل كلمة في المزمور بمثيلتها في نشيد إخناتون فوجد أن النصين يكادان أن يتطابقا.(٢)

ويفصل جارودي سَبْق التوحيد المصري التوحيد العبري فيقول : في نشيد الشمس لإخناتون يُعْبَد الله خلف كل صورة، باعتباره خالقًا متفردًا لعالَم الطبيعة، ولتاريخ البشر، وباعتباره إلهًا واحدًا، ليس معه إله آخر،

(١) د. أحمد فخري " تاريخ الحضارة المصرية " ج١ ص ٤١٧ مكتبة النهضة المصرية .
(٢) راجع الموازنة التي أقامها سليم حسن بين نشيد إخناتون والمزمور ١٠٤ في موسوعة مصر القديمة" ج٥ ص ٣٠٢- ٣٠٥ مرجع سابق .

وهذا تعبير عن التوحيد الحقيقي إن الإضافة المصرية إلى ميلاد الوحدانية واضحة، حتى قبل إخناتون" في القرن الثالث عشر. ق.م" لدرجة أن المزمور الرابع بعد المائة في الكتاب المقدَّس يُعيد بصورة دقيقة "نشيد الشمس". (١)

ليس هناك تشابهاً فقط بين نشيد إخناتون ومزامير داود بل ، إن برستد يذكر أن مقياس الأخلاق المصري القديم أسمى من الوصايا العشر الموجودة في التوراة .

يقول برستد : " قد ظهرت أمامي تجارب أشد إقلاقاً لنفسي وذلك عندما كشفت وأنا مستشرق مبتدئ أن المصريين كان لهم مقياس خُلُقي أسمى بكثير من الوصايا العشر ، وأن هذا المقياس ظهر قبل أن تُكتب تلك الوصايا بألف سنة " (٢)

بل لقد وجد برستد تشابهاً بين حكم " أمينموبي " وكتاب الأمثال في التوراة .

يقول برستد : " وقد كان أعظم كشف جاوز حد المألوف في هذه الناحية هو أننا عرفنا أن حكمة " أمينموبي" التي حفظت لنا في ورقة مصرية بالمتحف البريطاني قد ترجمت إلى العبرية في الأزمان الغابرة ، وأنه بذيوعها في فلسطين صارت مصدراً استقى منه جزء بأكمله من كتاب الأمثال في التوراة " (٣)

وعندما نشر العالم الألماني " أدولف أرمان " في عام ١٩٢٤ مقاله الشهير عن بردية " أمنيوبي " ذلك المقال الذي أثبت فيه أن هذه البردية

---

(١) لمزيد من التفصيل حول أسبقية توحيد المصريون القدماء توحيد العبرانيين راجع كتابنا " الدين والسياسة والنبوءة " الفصل الثاني " أسطورة شعب الله المختار " . دار الكتاب العربي .
(٢) جمس هنري برستد " فجر التاريخ " ترجمة د. سليم حسن مكتبة مصر ص ١٠ .
(٣) نفسه ص ١٢ .

هي أصل سفر الأمثال المنسوب إلى النبي سليمان دهش العالم كله لهذه الحقيقة وخذ العلماء عن الأدب المصري في أيام الفراعنة هذا الأدب الذي أثر في آداب الأمم الأخرى وبخاصة في أدب العبرانيين أو بعبارة أخرى فيما ورد في التوراة " (١)

ولم يتوقف الأمر عند صدمة الغربيين لما رأوه من تشابه كثير من العقائد المصرية القديمة لما جاء في التوراة بل اشتدت صدمتهم عندما رأوا تشابهاً كبيراً بينها وبين الديانة المسيحية أيضاً .

تقول مرجريت مري : " الكتاب المحدثون منهم من يُصْدم بما جاء في الديانة المصرية من أوجه شبه مع المسيحية ، ومنهم من يعالج الموضوع بأكمله بخفّة لا تخلو من السخرية والازدراء البسيط ، وكلهم ينسون أن هذه الديانة نفسها (تقصد المصرية) استمرت خلال آلاف السنين تحمل إلى معتنقيها العون في المحن ، والراحة عند الحزن ، والشجاعة عند المحن ، ومع أن المظاهر الخارجية قد تبدو غريبة ومنفِّرة في أعيننا إلا أن هذه الألهة كانت عند المصريين حقّاً وصدقاً كاعتقاد المسلمين في الله ، والمسيحيين في المسيح " (٢)

إذن فتاريخ المصريين القدماء تاريخ التوحيد ابتداءً من إدريس الذي ظهر قبل ثمانية آلاف قبل الميلاد إلى الألف الأولى قبل الميلاد على لسان حكيم – وقيل أنه نبي – من النوبة أقصى صعيد مصر أو سودان مصر ألا وهو حكيم الحكماء لقمان الذي سمَّا الله تعالى سورة من سور القرآن الكريم باسمه جاء فيها .

---

(١) د. أحمد فخري " تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعوني " مكتبة النهضة المصرية ص ٣٧١

(٢) مريت مري " مصر ومجدها الغابر " ترجمة محرم كمال لجنة البيان العربي ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ {١٢} وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان : ١٢ ، ١٣]

جاء في تفسير القرطبي " لقمان بن عنقاء بن سرون كان نوبيّاً من أهل أيلة"(١) وقال سعيد ابن المسيب : " كان لقمان أسود من سودان مصر ذا مشافر، أعطاه الله تعالى الحكمة ومنعه النبوة؛ وعلى هذا جمهور أهل التأويل إنه كان وليا ولم يكن نبيا. وقال بنبوته عكرمة والشعبي؛ وعلى هذا تكون الحكمة النبوة. "(٢)

إذن لا شكَّ في أن المصريين القدماء كان لديهم كتب سماوية ، وأن الله سبحانه قد أنزلها وحياً على نبيهم إدريس في بداية الخليقة ، ووعظ بها لقمان الحكيم قبل الميلاد بألف عام .

كما نجد في الوثائق المصرية القديمة العديد من الشواهد على أن تلك الكتب المنزّلة كانت لها في نفوسهم قداسة هائلة ، وأنهم كانوا يلتزمون التزاماً كاملاً بكل ما جاء فيها ونجد هذا على سبيل المثال في نصائح ووصايا الحكيم " آني " إذ يقول: " إذا استشارك أحد فأشر عليه بما تقتضيه الكتب المنزَّلة . " (٣)

ويقول عالم المصريات الكبير د. سيد كريم " إن ما جاءت به الكتب المقدسة من عقيدة وشريعة وعبادة " وُجدَت مُفَصَّلة في " كتاب الموتى " الذي يعتبره كثير من المؤرخين وعلماء الأديان أول دين سماوي عرفته

---

(١) تفسير القرطبي لقوله تعالى : "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ " (لقمان : ١٢)
(٢) نفسه .
(٣) د. نديم السيار " قدماء المصريين أول الموحدين " ص ١٩٧ مرجع سابق .

البشرية خاصة وأن أقدم آثاره ترجع إلى ما قبل فجر الحضارة نفسها أي قبل الأسرات سنة ٤١٠٠ ق. م " [١]

حل اللغز الذي دوخ علماء العلماء والمؤرخين

إذن وبناءً على ما تقدم فإن المصريين القدماء لم يكونوا مشركين يعبدون آلهة متعددة كما هو مشهور بل كانوا أول شعوب الأرض يؤمن بالله الواحد الأحد وبشريعته وعلومه المقدسة وذلك التوحيد هو الذي بنوا به حضارة مصر وفي كل مرة حاولوا إقامة الدولة كانت الفكرة الأساسية فيها توحيد العقيدة والإيمان بالإله الواحد وهذا ما يحل لنا الغز الذي حيَّر المؤرخين وعلماء الآثار وهو ظهور الحضارة المصرية القديمة كاملة النمو بمعرفة متكاملة في مختلف العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والطب والفنون والآداب والعمارة ،والأعجب من ذلك – أو ربما ما يفسر ذلك – تكامل العقيدة " بتوحيد الإله " رع " رب الأرباب وخالق الكون ورمزوا لقدرته بقرص الشمس وعبَّروا عنه بالقوة الخفية الكامنة التي تهب الحياة وتسيِّر الكون . " [٢]

ويلح سؤال على ذهن كل المتشككين في هذه الأدلة التي سقناها لإثبات توحيد المصريين القدماء ومعرفتهم برسالات السماء .

إذا كان المصريون القدماء مؤمنون بهذا الشكل فكيف يصفهم جمهور علماء المصريات والمؤرخون بأنهم مشركون يعبدون آلهة متعددة ؟!

والسؤال له وجاهته فإن فكرة تعدد الآلهة عند المصريين القدماء تكاد تكون من المُسلَّمات عند الحديث عن العقيدة الدينية لدى المصريين

---

(١) د. سيد كريم " لغز الحضارة " ص ٥٣ مرجع سابق .
(٢) نفسه ص ٦٦

القدماء بل إن تصحيحها سيثير جدل الناس كما صرَّح بذلك د. حسين كامل بهاء الدين وزير التربية والتعليم الأسبق .

إن لإجابة هذا السؤال قصة حان الآن ذكرها .

حيرة العلماء في ترجمة لفظ " نيثر "

من البديهي أن لفظ " الإله " الذي نصف به في كتبنا الحالية تلك الشخصيات مثل : بتاح ، ورع ، وآمون .. إلخ هو لفظ يستخدم في اللغة العربية ، ونفس الشيء لفظ God في الإنجليزية الذي يعني أيضاً " الله / إله " وكذلك بالنسبة للفظ Dieu في الفرنسية ، و Gott في الألمانية ... الخ

من البديهي أيضاً أن المصريين القدماء كانت لهم لغتهم الخاصة التي تختلف عن العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية .. الخ أي أنهم لم يكونوا يستخدمون لفظ الله أو God أو Dieu أو Gott .. الخ في وصف تلك الشخصيات وإنما كانوا يستخدمون لفظاً آخر في لغتهم وهو لفظ " نيثر " فيقولون : النيثر بتاح ، النيثر رع ، النيثر آمون .. الخ وبعد انتهاء العصور الفرعونية اندثر آخر معتنقي الديانة المصرية فلم يعد هنالك من أصحاب تلك العقيدة من يمكنه أن يحدثنا عنها ويوضح لنا مدلول مصطلحاتها ، وألفاظها الدينية ، كما أضيف إلى ذلك اندثار حروف الكتابة الهيروغليفية وذلك بعد استبدال الإغريق رسميا الحروف اليونانية بالكتابة الهيروغليفية ثم تغييرها بعد ذلك إلى الحروف العربية وبذلك ضاع مفتاح الهيروغليفية تماماً ، ولم يعد هناك من يعرف أسرارها وفك طلاسمها فحتى ما كان قد كتبه أصحاب تلك الديانة المصرية لشرح عقيدتهم لم يعد بمقدور أحد أن يقرأه . وبذلك انقطعت

الصلة تماما بالحضارة المصرية بأكملها : ديانة وفلسفة وفكراً .. الخ ثم أيضاً كتابةً ولغةً وظلَّ الأمر هكذا ما يقرب من ألفي عام إلى أن شاء الله أن يكتشف الفرنسيون حجر رشيد ثم ما أعقب ذلك من فك شمبليون لرموز الكتابة الهيروغليفية وبذلك تمكَّن العلماء من قراءة النصوص المكتوبة باللغة المصرية القديمة ، وهنا وقف العلماء من الروَّاد الأوائل في حيرة أمام العديد من الألفاظ والمصطلحات وخاصة ما يتعلَّق منها بصميم العقائد وما يرتبط بمعانٍ دينية وميتافيزيقية فاجتهد كلٌّ منهم في محاولة ترجمة تلك الألفاظ قدر استطاعته وبقدر ما أمكنه تصوُّره للمعنى المقصود من وراء هذا المصطلح أو ذاك ، وبذلك كانت الترجمة في كثير من الأحوال تقريبيَّة تخمينيَّة .

وبالنسبة لهذا المصطلح الديني " نيثر " فقد توقَّف أولئك الرواد الأوائل من العلماء أمامه طويلاً ، وكثرت اجتهاداتهم في محاولة تفسيره على مدى سنوات دون أن يصلوا إلى قرار واضح قاطع .

يقول عالم المصريات البريطاني " والس بدج " : " لقد نوقشت كلمة " نيثر " بشكل موسَّع بين عديد من علماء المصريات ، ولكن لم يتطابق ما توصلوا إليه من مغزاها أبداً " .

وفي النهاية كان لابد من الوصول إلى قرار وكان لا مفر من إيجاد ترجمة ؛ لذا أخذوا برأي البعض ممن غامر بالقول باحتمال أن هذا اللفظ قد يعني " إله " ومن يرجع إلى ما كتبه " والس بدج " في عرضه لتفاصيل ما جرى سيرى كيف كانت رحلة الحيرة في ترجمة هذا المصطلح المهم والخطير بدءاً من إعلان العلماء عجزهم عن فهمه وانتهاءً بوصول بعضهم إلى ذلك الخطأ – أو الخطيئة – بترجمته بلفظ " إله " وهي الترجمة التي – للأسف – قد ثبتت وانتشرت واشتهرت برغم

اعتراض الكثير من العلماء عليها آنذاك ، وقد كان ذلك كله في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي .

وهكذا انتهت الأمور إلى ترجمة هذا " اللفظ " في المراجع الإنجليزية God وفي المراجع الفرنسية Dieu وفي المراجع الألمانية Gott .. الخ ثم جئنا نحن فنقلنا من كتب أولئك الرواد من العلماء الأجانب وبطبيعة الحال ترجمنا ترجمتهم بلفظ " إله " وبذلك امتلأت كل كتب التاريخ الفرعوني في الإنجليزية بلفظ God كلقب لكل الشخصيات الفرعونية المقدسة مثل بتاح ، ورع ، وآمون وبالمثل في الفرنسية والألمانية وبالمثل أيضا في الكتب العربية .

وهكذا كتب تنقل من كتب ، وما تكرر تقرر فأصبحت هذه الترجمة الخاطئة وكأنها حقيقة واقعة وقضية مسلم بها .

ويقرأ القارئون فتصطدم مشاعرهم بما يطالعون من أسماء عشرات ومئات الآلهة !! فهذا الإله بتاح ، وذلك الإله رع ، والإله آمون ، والإله أوزوريس، والإله تحوت ، والإله أنوبيس أنوبيس والإله حورس .. الخ

وكان من الطبيعي أن ينفر الناس من هذا التعدد في الآلهة وهذا الشِّرك الفاضح ، وكان من الطبيعي أن يَصِم الناس أولئك المصريين القدماء بوصمة الكفر والإلحاد والشرك بالله . وهم من كل ذلك براء فالمشكلة في الأصل كانت خطأ في الترجمة أدَّى إلى خطأ نحن الذين صنعناه وصدَّقناه ثم ثبت في الأذهان ثم ظلمنا به القدماء افتراءً واجتراءً.

يقول عالم المصريات ماريت :{ فوق مَجمَع الـ " نيثر . و " (جمع نيثر) المصرية إله واحد لم يولد ولا يمكن رؤيته فهو خالد مُخْتفٍ عي

عُمق جوهره المنيع خالق السموات والأرض وكل كائن حيّ وهو على كل شيء قدير هكذا كان الله الذي تم ذكره عند قدماء المصريين ، ومن بين النصوص القديمة التي عثر عليها فقرة تقول : [الإله خالق الـ " نيثر.و "] هذا ما كتبه المصريون أنفسهم }

لقد جمع د. بروجش عدداً هائلاً من الفقرات من النصوص المصرية القديمة التي تتحدث عن الإله والواحد ومن هذه العبارات {الإله خالق الـ " نيثر.و " }

{ الإله خالق مصوِّر الناس ومكوِّن الـ " نيثر.و }

هذا ما قاله المصريون القدماء بالنص وبكل وضوح عن علاقة هذه الكائنات الـ " نيثر.و " بالإله الواحد . فهي مجرد خلق من مخلوقات الله تعالى ، ولا علاقة لها بالمرَّة بمعنى الألوهية أو المساواة بالإله الواحد الأحد فالإله هو خالقها وصانعها ومسخرها لما يريد وكلها – وكلنا – له عبيد .

وفي عقائد المصريين القدماء أن الـ " نيثر.و " قد خلقوا من النور ، ولهم قدرة على التشكل في أكثر من هيئة وصورة .

والغريب أن المصريين القدماء صوّروا بعض الـ " النيثر.و " على هيئة الحيوانات : الثور ، والبقر ، والتمساح ، والأسد ، والقط ...الخ ومن الطيور هنالك من هم على هيئة النسر ، والصقر ، والعُقاب .. الخ .

ولا شك أن هذا الأمر يثير الدهشة لدى الكثيرين خاصة عند من يظنون أن المصريين القدماء كانوا يعبدون هذه الحيوانات !!

ومن المدهش أن لفظ " النيثر " كان يُطلق على بعض الفراعنة مع أن التراث المصري حافل بالعديد من النصوص التي توضح حقيقة بشرية الفرعون وعلاقته بالإله الواحد . (١)

الخطأ في الترجمة

الحقيقة أن المصريين القدماء لم يكونوا وثنيين بل كانوا موحدين ، والخطأ كان في ترجمة كلمة (نيثر) التي ترجمت دائما بمعنى إله رغم أنها قد تعني : إله ، أو مَلَك، أو نبي ، أو كائن علوي ، أو شيطان فإذا أطلقت مثلا على " رع " فإنها تعني اسماً من أسماء الله الحسنى مالك الملك أو إله الشمس ، وإذا أطلقت على (بتاح) فتعني اسماً آخر من أسماء الله الحسنى وهو خالق الإنسان بديع السموات والأرض ، أما إذا أطلقت على "تحوت " فإنها تعني الرسول الموكل بحمل رسالة السماء إلى أهل الأرض فإذا أطلقت على " ست " فإنها تعني إبليس الشيطان الرجيم عدو الله ورسله .. وهكذا كما بينا من قبل ، وهذا موجود في كل لغات الدنيا ، فعلماء اللغة يقولون إن الكلمة لا معنى لها خارج السياق فمثلا كلمة (الرب) في اللغة العربية تطلق على " الله تعالى ، والمَلِك ، والسيد ، و المُربي ، والمقيم ، والمُنعم ، والمدبِّر ، والمصلح " (٢) . والسياق هو الذي يحدد المراد بكلمة رب .

الخطأ في ترجمة كلمة (دوا)

.كذلك كلمة (دُوا) التي ترجمت عادة بمعنى العبادة رغم أنها قد تعني : العشق ، أو الحمد ، أو الدعاء ، أو تعظيم ، أو عبادة . ومعناها يحدده السياق فإذا أضيفت لـ لاسم من أسماء الله فهي تعني

(١) لمزيد من التفصيل حول لفظ " النيثر " راجع د. نديم السيار " ليسوا آلهة ، ولكن ملائكة " .
(٢) مجمع اللغة العربية " المعجم الوسيط " مادة (رب) .

العبادة ، أما إذا أضيفت لتحوت ، امحوتب ، أو مينا، أو إخناتون فتعني التعظيم ، فإذا أضيفت إلى حيوان أو طائر فتعني الحب أو الامتنان ، ولا تعني العبادة . ومعاجم اللغة العربية لا تقصر كلمة عبادة على الله تعالى وحده إلا إذا أضيفت إلى اسمه جل شأنه ، إنما في غير ذلك فتعني الطاعة " العَبْدِيَّةُ والعُبودِيَّةُ والعُبودَةُ والعِبادَةُ : الطَّاعَةُ " (١)

و لفظ " دُوا " في قواميس اللغة المصرية القديمة يعني (العشق .. العبادة) أي أن هذا اللفظ المصري – حسب ترجمته – يحتمل معنى (المحبة والعشق) للنيثر كما يحتمل أيضاً معنى (العبادة) " (٢)

المصريون القدماء وصور الحيوانات والطيور

أما عن صور الحيوانات والطير وغيرها التي تزخر بها المعابد لم تكن صوراً لآلهة معبودة وإنما رسم المصري القديم صور الحيوانات والطيور وغيرها من الكائنات لحبه لها ولامتنانه لفضلها عليه أو لخلق قوة تمكنه من التعامل معها أو تطويعها لحسابه.

يقول د. إبراهيم كريم " كان الإنسان القديم يرسم على جدران الكهوف ما يراه من حوله من حيوانات . ومن غير المعقول أن نعتقد أنه كان يرسم تلك الرسوم من باب الفن أو الرفاهية وهو الذي يعيش عيشة الكفاف والكفاح اليومي من أجل الحياة في أبسط صورها . كان الهدف من الرسم هو تسجيل العلاقة الذبذبية بين الأشياء والزوايا . لقد خلق الإنسان الأول لنفسه من رسم الأشياء قوة مكنته من التعامل معها وقهرها أو تطويعها لحسابه." (٣)

---

(١) القاموس المحيط مادة (عبد) .
(٢) د . نديم السيار " ليسوا آلهة لكن كلائكة) ص ٢٥٥
(٣) د. إبراهيم كريم (ابن د. سيد كريم) في حوار معه أجرته مجلة أكتوبر ونشر في العدد ١١٦٨ الأحد ١٤ مارس ١٩٩٩ ص ٥٠ .

هل عبد المصريون القدماء الحيوانات والطيور ؟

إن أظهر دليل على رقي أي شعب من الشعوب ، أو أي فرد فطريٍّ ، هو معاملته للحيوان الذي يستخدمه في عمله ، وفي غذائه ، وفي تسليته .

وكان المصري يعمل جُلَّ ما في طاقته لقضاء كل ما يحتاج إليه الحيوان في رفق ورحمة . كان الفلاح منذ استأنس الحيوانات يقودها إلى الحقل ، والمراعي في أغلب الأحيان حرة طليقة ، وأحياناً يربطها بحبل ، ويقودها ، أما الجامحة فكانت تكل إلى خدم معينين . وعندما يدعو الأمر الراعي إلى عبر قناة لزاماً عليه أن يستخدم قاربين لنقل البهائم من شاطئ إلى شاطئ ، وذلك عندما تكون القناة ضحلة عميقة . لكن عندما يكون الماء ضحضاحاً . فإن الراعي يخوض الماء بجانب قطيعه حاملاً العجل الصغير على كتفيه خوفاً عليه ، وليجعل البقرة تتبعه شفقة على رضيعها " (١)

تقول د. نعمات أحمد فؤاد رداً على سؤال ، هل عبد المصريون الحيوان والطير والنبات ؟

" لا .. لقد ألَّه المصري الزهرة ، والنبتة ، والحيوان ، والتأليه هنا معناه رؤية وجه من وجوه القداسة في إحساس بالكون كله .. لقد رسموا البقرة ، شجرة . والشجرة لها ثدي ، والإنسان يرضع من الشجرة ، والمرأة لها قرنان .. هناك رأي يقول إنها في الأصل تشبيهات أدبية وخيال شعري أعجب به الناس فجسده الفنان المصور ، وأرى أن هذا لم يكن عبثا من الفنان المصري بل فلسفة كبيرة إنه يرمز إلى وحدة الكون في

(١) د. سليم حسن " مصر القديمة " ج٢ ص ١٢٣ ، ١٢٤ . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

غلاف من الرحمة التي وسعت كل شيء فالشجرة رمز لعالم النبات ، والبقرة رمز لعالم الحيوان بل رمز للعطاء والحنان والأمومة إنها رهافة وجدان مصر التي فطنت من آلاف السنين إلى ما يسميه الإنجليز وحدة المعرفة ...

وإن الذين لم يروا في ديانة مصر إلا الوثنية إنما نظروا إليها في عصور الضعف كما تنظر العين إلى المصباح الخابي لا ترى فيه إلا (الهباب)..

إن الحضارة المصرية التي يقال عنها وثنية ، كانت تبشر بالمسيحية والإسلام لأن مستشف دقائقها في الفن والتفكير ، يدرك وحدة الخالق في الحياة ، والإحساس الشامل بالكون . هذا أساس الإسلام الذي لا يكف عن الدعوة إلى التأمل والتفكير .

وكانت مصر القديمة تقول : (أطع الإله في قلبك) إذن الإله الحقيقي ليس آمون أو رع ، إن هي إلا أسماء ترمز إلى الإله الحقيقي " (١)

إن خطأ ترجمة تراث المصريين القدماء هو السبب وراء رمي المصريين القدماء بتعدد الآلهة وعبادتهم لعناصر الكون .

يقول د. سليم حسن : " إن من يعرف اللغة المصرية القديمة وصعوبة فهمها واحتمال اللفظ من المعاني يلتمس العذر لعلماء الآثار في اختلافهم تعدد آرائهم وتباين مذاهبهم موضوعات كثيرة " (٢)

يقول الباحثون في : الدين ، أو الأدب ، الترجمة خيانة ويعنون بذلك أن الترجمة مهما كانت دقيقة فهي غير النص الأصلي هذا بشأن

---

(١) د. نعمات أحمد فؤاد " شخصية مصر " ص ٨٦-٨٨ بتصرف الهيئة العامة للكتاب الطبعة الخامسة .

(٢) د. سليم حسن " مصر القديمة " ج١ ص (ب، ج) مرجع سابق .

اللغات الحية كالعربية ، والإنجليزية .. فما بالك بلغة ميتة لا يتكلم بها أحد من آلاف السنين كاللغة المصرية القديمة ! قطعا فإن الاختلاف في الترجمة يكون كبيرا جدا ، و الخطأ فيها أكثر من الصواب ، والعاصم الوحيد لنا من هذا الزلل أن نضبط ترجمة عن اللغة المصرية القديمة بمفاهيم الدين الإسلامي الحنيف ومصطلحاته ، فكلاهما يخرج من مشكاة واحدة .

إن المصريين القدماء كانوا مغرمين بالرسم والتصوير والنحت وسائر الفنون ولا عجب فقد كانت لغتهم عبارة عن صور ورسوم (١) وهذه الرسوم ما هي إلا رمز لما يريدون قوله فهم يرمزون لقدرة الخالق جل وعلا بالشمس ، فالشمس عندهم ليست معبودة إنما هي رمز لقدرة الله تعالى العليّ القدير ، والطائر أبو منجل هو رمز لـ " تحوت " رسول الإله وحامل رسالة التوحيد إلى المصريين .

وربما في فترات ضعف العقيدة أو أثناء وجود غزاة وثنيين مثل الهكسوس، تعبد هذه الرموز على أنها هي الإله نفسه ، ولكن ليس هذا هو حال عقيدة التوحيد عند المصريين دائما فهم كسائر الأمم عندما يأتيهم رسول وكتاب من عند الله منهم من يؤمن ومنهم من يكفر ، وبعد موت الرسول أو قتله يزيد الكفر ويطغى ، وتبدل الكتب السماوية وتحرف فينزل الله تعالى رسولاً آخر وكتاباً آخر يذكرهم بالإيمان الصحيح فيؤمن به من يؤمن ويكفر من يكفر وهكذا دواليك .

***

(١) " استعمل قدماء المصريين الرسم أكثر مما استعمله أي قوم آخرين فحتى كتابتهم كانت على هيئة صور " معجم الحضارة المصرية القديمة " ص ١٦٨

شريعة المصريين القدماء وشريعة الإسلام

النبي إدريس المثلث بالعظمة

قارن د. وسيم السيسي الباحث في المصريات بين شريعة المصريين القدماء والشرائع السماوية فقال : " الله لم يترك أمَّة بلا رُسل : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل :٣٦] .

وقد ذكر منهم القرآن الكريم نبي الله إدريس : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم : ٥٦] .

وكان من ألقابه هرمس كما يذكر القفطي " إدريس النبي ﷺ ولد بمصر وسموه هرمس ، وكان المصريون يلقِّبونه «عا.. عا.. عا.. وِرَّ» أي مثلث العظمة .

وقد عُثِرَ على بعض الكتابات الهرمسيَّة، تقول عنها دائرة معارف الدين إنها أثَّرت في العقائد اليهوديَّة، واللاهوت المسيحي ، كما تذكر لنا دائرة المعارف البريطانيَّة أنَّ هذه الكتابات الهرمسيَّة دُرست جيداً بواسطة العرب وأثَّرت فيهم .

عرف القدماء البعث بعد الموت، نجد كلمة موت مصريَّة، منيَّة.. مصريَّة، نشرو " النشور" مصريَّة، أخرت " آخرة " مصريَّة، قر " المستقر " مصريَّة في القرآن ﴿وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر : ٣٩] .

نجد في كتاب " الخروج إلى النهار " المسمى خطأ " كتاب الموتى " في فصل إنكار الخطايا، تدخل نفس المتوفى إلى قاعة الحساب " كلمة مصريَّة " يسوقها أحد الملائكة، وفى القرآن الكريم ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق :٢١] ، ثم يقول المُتوفَّى: لم أرتكب إثماً، وفى القرآن: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

وفى بردِيَّة آنى يقول المُتوفَّى: لم أرتكب الفحشاء ، وفى القرآن ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

كما كان المصري القديم يقول: لم أقتلْ، لم أسرقْ، لم أسلبْ، لم أسرقْ بالإكراه، لم أرتكبْ الزنا، لم أشته زوجة قريب أو صديق، لم أرتكبْ الفاحشة في حرم الإله، وجاء في القرآن: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة : ١٨٧] ، وكان المصريُّ أو المصريَّة يقول في محاكمة الروح: لم أكن متنصتاً أو متجسساً، وفى القرآن الكريم: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [الحجرات : ١٢] وكان يقول: لم أنطق بالأكاذيب، ولم أكن شاهد زور، ولم أغْتَبْ " الغِيبة " أحداً ، ولم أكن نمَّاماً ، ولم أسخر من أحد، ولم أشتم، ولم أكن عالي الصوت، ولم أظلم.. بل عشت للعدل، وبالعدل عشت، والقرآن الكريم يقول :﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٩٠] كما كان المصري القديم يقول : لم أُلْحِق أذى بمخلوق، والقرآن: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب : ٥٨] إلى آخر هذا القانون

الأخلاقي الرائع، والذي يقول عنه برستد " إنه أسمى بكثير من الوصايا العشر" .

فإذا ذهبنا لسِفْر الأمثال الذي كتبه سليمان الحكيم بعد إمنوبى الحكيم المصري بآلاف السنين نجد التطابق العجيب الذي يؤكد أن المصدر الإلهي واحد منذ آلاف السنين، هوذا إمنوبى يقول: أَمِلْ أذنيك لتسمعَ أقوالي، وأعْكفْ قلبَكَ على فهمها، وسليمان الحكيم بعد آلاف السنين يقول: أَمِلْ أذنيك واسمعْ كلامَ الحكماء، ووجِّهْ قلبَكَ لمعرفتها !

ويقول أمنوبى: لا تتعِبْ نفسك في طلب المزيد، مادمتَ حصلت على حاجتك، فالمال المسروق لا يمكث معك بل تصبح له أجنحة ويطير كإوزة إلى السماء، ويقول سليمان الحكيم: لا تتعبْ نفسك حتى تصير غنيّاً، فالمال يصنع لنفسه أجنحة كالنسر ويطير إلى السماء !

ويكتب لنا برستد عشرات الصفحات المقارنة بين أمنوبى وسفر الأمثال، وبين أناشيد أخناتون ومزامير داوود النبي ."

نظام الحكم عند المصريين القدماء

إن دين الله تعالى ليس مجموعة من الشعائر التي تؤدى في بيوت الله ولا علاقة لها بحياة الناس ومعاشهم ، هذه فكرة قاصرة لدين الله فدين الله الذي شرع للناس شامل لكل مناحي الحياة ، فكل حياة المرء لابد أن تكون لله تعالى

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]

وكان النبي ﷺ كثيراً ما يدعو الله تعالى بهذا الدعاء : " اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي

وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر " [رواه مسلم]

ونظام الحكم منصوص عليه في الشرائع السماوية ، وأمر الله تعالى الناس أن يحتكموا إليه .

يقول تعلى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]

فمن كتم حكم الله الذي أنزله في كتابه وجعله حكماً بين عباده ، فأخفاه وحكم بغيره "فأولئك هم الكافرون " .

وقد كان نظام الحكم عند قدماء المصريين يسير وفق شرع الله ولا يخرج عنه

يقول د. سليم حسن : " لم تكن الحكومة المصرية في نظر الشعب المصري نظاماً اخترعه الإنسان أو أنه جاء نتيجة تطور سياسي – كما زعم المؤرخون العلمانيون – بل كان هبة الله لشعبه أسس عند خلق الدنيا"(١)

ولما العجب وقد كان إدريس عليه السلام هو الذي الشعب المصري في بداية الخليقة ، فإدريس قد جمع بين النبوة والحكمة والملك .

يقول الإمام المناوي " قال ابن فضل اللّه: كان إدريس يسمى هرمس المثلث كان نبياً وحكيماً وملكاً ووزيراً " (٢)

وذكر ابن إسحاق أن إدريس قد أدرك من حياة آدم عليه السلام ٣٠٨ سنوات لأن آدم عمَّر طويلاً زهاء ١٠٠٠ ألف سنة .

---

(١) د. سليم حسن " تاريخ الضارة المصرية ، العصر الفرعوني " ج١ ص ٢٣٨ مرجع سابق
(٢) الإمام المناوي " فيض القدير شرح الجامع الصغير " الجزء الثالث تابع حرف الهمزة

ولا يعلم أحد إلا الله كم عاش إدريس بعد آدم ، وكم سنة حكم فيها المصريين ، ولكن الذي أكده المفسرون والمؤرخون إن إدريس عاش طويلاً وكان كداود ملكاً نبياً .

حاكم مصر زمن يوسف عليه السلام

كذلك كان نبي الله يوسف حاكماً في مصر

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فلما كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٥٤ –٥٦]

فهل كان ملك مصر زمن يوسف عليه السلام ملكاً طاغياً متألهاً كفرعون موسى ؟

والإجابة بالنفي لأنه لو كان طاغية لما أعاد التحقيق في قضية يوسف التي بسببها دخل السجن ظلماً ، ولما أبرأ ساحته رغم أن يوسف ما كان إلا عبداً أجنبيّاً اشتراه العزيز بثمن بخس ، وخصمه هو عزيز مصر ، ولم يكتف الملك بإعلان براءة يوسف، وإخراجه من السجن بل إنه استخلصه لنفسه ومكَّن له ، وجعله على خزائن الأرض ، بل وأشركه معه في حكم مصر .

يقول د. سليم حسن : " لم يكن الفرعون مجرد حاكم مستبد يسيطر على قوم على الرغم من إرادتهم بل كان يحكم بحقه الإلهي بكل معاني الكلمة"(١)

وكان الحكام في مصر القديمة ليس مطلق اليد بل هو مقيد بشريعة الله ، لا يخرج عليها ، وإلا خرج الناس عليه .

---

(١) د. سليم حسن " تاريخ الضارة المصرية ، العصر الفرعوني " ج١ ص ٢٣٨ مرجع سابق

قانون ماعت وشريعة العدل الإلهي

ودونك دستور الحكم في مصر : { إن المصري القديم اعتقد أن أوَّل من حكم على الأرض والعالم بأجمعه هو " رع " إله الشمس ، وقد وضع هذا الإله قانوناً يسمى " ماعت " ومعناه الصدق والعدل والحق والعدالة الاجتماعية والحكم الصالح ، ولما رفع " رع " نفسه إلى السماء حكم ابنه (١) على الأرض ولقبه " بابن رع " (خليفته) وهو الملك ، وقد كان على كل ملك يتبوأ عرش مصر العظيمة منذ الأسرة الرابعة (أسرة بناء الأهرام) أن يسير في حكمه تبعاً لقانون " ماعت " فإذا ما حاد عنه قيد أنمله فلشعبه ألا يعتبره ابناً " لرع " ولا يحكم البلاد .

لذلك نرى أن البلاد سارت تحكم بقانون " ماعت " مدة طويلة وهي تنعم بالرخاء طوال عهد الدولة القديمة حتى إذا ما انتصف حكم الأسرة السادسة أخذ الملوك يحيدون عن الحكم بقانون " ماعت " حتى انهارت البلاد وهوت إلى مزالق الذلة ولذا قامت في مصر ثورة اجتماعية قلبت جميع الأوضاع ونادت بالإصلاح الشامل وتقويم فساد المجتمع من الانحطاط . } (٢)

لكن ما هو قانون " ماعت " هذا الذي أمر الله تعالى به الإنسان خليفته في الأرض أن يطبقه ، وعلى أساسه يوم القيامة سيحاسبه .

يقول د. سليم حسن : { كلمة " ماعت " تعني في متون كثيرة العدالة ولكنها فكرة تشترك في أسباب شرائع الكون ، كما يشترك فيها علم الأخلاق ، فهي العدالة بوصفها نظام إلهي للمجتمع ، ولكنها كذلك

---

(١) " ابنه " هنا ليس بالمعنى الحقيقي إنما معناها خليفته مصداقاً لقوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } (البقرة : ٣٠)

(٢) محمد صابر " مصر تحت ظلال الفراعنة " مكتبة الأنجلو المصرية ص ١١١

نظام إلهي للطبيعة كما وضعت عند بدء الخليقة .. وكلمة " ماعت " تحوي في طياتها معاني دقيقة خلقية واجتماعية فهي النظام الذي يسير على هديه الفرعون في حُكم شعبه كما كان يفعل " رع " ومن ثَمَّ قَبِل الشعب المصري الحكم الملكي لا بوصفه نظام حكم أفضل من غيره بل لأنه من وضع الإله الخالق للعالم وعلى ذلك خضعوا له لأنه عادل ولم يكن للفرعون الحق في تغييره فإذا حاد عنه فإنه يعد خارجاً على نظام خالق الخلْق ، وقد استمرت ملوك مصر من أول مينا حتى نهاية الأسرة السادسة يسيرون حسب تعاليم " ماعت " ولما حادوا عن تعاليمها خرج عليهم الشعب ومن ثَمَّ كانت أول ثورة اجتماعية (أو شيوعية حسب رأي د. سيد كريم صديق د. سليم حسن) في تاريخ البشرية استمرت أكثر من قرن من الزمان إلى أن عاد قانون " ماعت " أي العدالة المطلقة على يد ملوك الدولة والوسطى . " (١)

وكانت فترة فرعون حاكم مصر زمن سيدنا موسى من تلك الفترات التي خرج فيها فرعون على توحيد الله واتباع قانون " ماعت " ولقد عاقبه الله تعالى هو ومن أطاعوه بأن أغرقهم أجمعين ؛ ليكونوا عبرة لكل من تسول لهم نفسه الخروج عن قانون الله قانون " ماعت " .

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ {٥٤} فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ {٥٥} فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ ﴾

[الزخرف : ٥٤ – ٥٦]

إن قانون " ماعت " هو شريعة الله التي أمر الله الإنسان بتطبيقها ، حتى يكون خليفة في الأرض ، ويحافظ على توازن الكون .

---

(١) د. سليم حسن " تاريخ الضارة المصرية ، العصر الفرعوني " ج١ ص ٢٣٩ مرجع سابق

يقول علماء المصريات : { عندما خلق الخالق الكون ، شكَّل دنيا ثابتة في مظهرها ووظائفها ، وأن كل شيء بداخل هذا العالم مطابقة للخطة الإلهية الموضوعة ، ولا حاجة إلى إدخال أي تحسين في أية مرحلة تالية ، وقد أطلق المصريون القدماء كلمة " ماعت " على توازن العالم كله ، وتعايش جميع عناصره في انسجام ، وعلى تماسك وحداته الذي لا غنى عنه للمحافظة على الأجسام المخلوقة .

كان هذا التفاعل بين القوى هو الذي ضمن نظام الكون بدءاً من مكوناته الأساسية : كالحركات السماوية ،وانتظام الظواهر الموسمية ،وتعاقب الزمن، وشروق شمس جديدة في كل صباح .

إلى أقل هذه الظواهر والمجتمع الإنساني نفسه ، والعلاقات الودية بين الأحياء ، والمراعاة الدينية لكل الطرق التي سنَّها الإله للأشياء ، واحترامها، تلك القواعد التي اشْتُقَّتْ منها عدالة العلاقات الاجتماعية والحياة الخلقية . وهكذا كانت "ماعت" هي كُلاًّ من النظام الكوني ، والأخلاقي اللذين يعملان معاً في جميع الظروف تبعاً لوجهة نظر الإنسان عن نظام الكون"[1]

وعلى أساس قانون " ماعت " سوف يحاسب الإنسان يوم القيامة فيوضع القانون " ماعت " في كفة ، وقلب الإنسان في كفة ، فقانون " ماعت " يكون : " صنجة (الثِّقْل) توضع في الميزان لوزن قلب الميِّت عند المحاكمة لمعرفة إذا كان " ماعتياً " أو بمعنى آخر يطابق ماعت أي إنسان خيِّر أم لا .. ولهذه الأسباب اعتبرت " ماعت " تجسيداً للحقيقة والعدالة . " [2]

([1]) جورج بوزنر ، سيرج سونرون ، جان يويوت ، أ.أ.س إدواردز ، ف.ل. ليونيه ، جان دوريس " معجم الحضارة المصرية القديمة " مرجع سابق ص ٢٩٧

([2]) نفسه ص ٢٩٧

وبناءً على ما ذكره المصريون القدماء عن " ماعت " يمكن أن نستنتج الآتي :

١- خلق الله تعالى الكون بكل عناصره بدقة متناهية .

٢- كل عناصر الكون – بما فيها الإنسان – متوازنة في خصائصها ، ومتوازنة مع غيرها من بقية العناصر .

٣- إن أي خروج على نظام الكون يعد إفساداً له .

٤- أنزل الله تعالى قانون " ماعت " ليطبقه الإنسان في حياته ، فتصلح حياته وحياة سائر المخلوقات .

٥- يوم القيامة سيكون حساب الإنسان وفق قانون " ماعت " .

٦- الإنسان الخيِّر هو من جاء بقلب سليم مما يخالف قانون "ماعت "

٧- الإنسان الشرير هو من كذَّب بهذا القانون واتبع هواه .

ولو قارنا قانون " ماعت " بشريعة الله كما تبدَّت في أروع صورها في الديانة الإسلامية آخر الرسالات السماوية لوجدنا أن الإسلام لا يناقض شيئاً من قانون " ماعت " بل جاء بتمام هذا القانون وكماله .

لقد خلق الله تعالى الكون بكل عناصره متوازنا ومنسجما بعضه مع بعض .

﴿لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس : ٤٠]

﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [الحجر : ١٩ – ٢٠]

تأمل قوله تعالى وأنبتنا فيها من كل شيء موزون .

كذلك خلق الله تعالى الإنسان متوازناً : روحاً ، وعقلاً ، وقلباً ، وجسداً .

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين : ٤]

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم : ٣٠]

فالفطرة إذن هي التوازن بين عناصر الإنسان المختلفة في أمثل صورة لها توازن بين والجسد والروح أو بين المادية والرهبنة ، وتوازن بين العقل والقلب أو بين العلمانية والصوفية .

وكما أن الله تعالى خلق الإنسان متوازناً ، والكون متوازناً فإن دينه الذي ارتضاه للناس متوازن كذلك ويعمل على حفظ التوازن للإنسان والكون ، فكيف ذلك ؟

ميزان العدل في القرآن الكريم

أرسل الله تعالى الأنبياء والرسل بالكتب المقدسة تلك الكتب المتوازنة مع كيان الإنسان كله والتي تجعل نظرته لحقوق الله وحقوق خلقه متوازنة وبهذا يقام ميزان العدل .

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد : ٢٥]

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى : ١٧]

وحذر الله تعالى الإنسان من اختلال الميزان ، والميل لجانب على حساب الآخر كالميل للدنيا على حساب الآخرة أو الميل للجسد على حساب الروح .

﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[الرحمن : ١- ٩]

وانظر معي هذه الآيات العجيبة التي جمع الله تعالى فيها بين تعليم القرآن ، وخلق الإنسان ، وخلق الكون ، وأمره تعالى للإنسان بالتزام الميزان في كل ذلك وتحذيره تعالى من عدم مراعاة الميزان في فهم القرآن والإنسان والكون ، وأكد هذا بالتقرير ﴿ووضع الميزان﴾ والتعليل ﴿ألا تطغوا في الميزان ﴾ والأمر ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط﴾ ثم بالنهي ﴿لا تخسروا الميزان﴾ أهناك تأكيد أكثر من هذا على وجوب اتخاذ التوازن منهج حياة ودستوراً شاملاً لفهم الدين والدنيا جميعاً ؟!

ثم انظر ثانية إلى قوله تعالى " وأقيموا الوزن بالقسط " والقسط هو العدل، لكن ما هو العدل ؟

للعدل معان كثيرة منها " العدل: ضِدُّ الجور ، وعدّل الميزان : سوّاه ، العَدْل هو الذي لا يَمِيلُ به الهوى فيَجورَ في الحكم ، وقيل : العَدْل تَقويمُك الشيءَ بالشيءِ من غير جنسه حتى تجعله له مِثْلاً ، ومن أسماء الله تعالى : الحكم العدل "(١)

ومن هذه التعريفات للعدل يتبين لنا أن ميزان العدل يجب أن يكون .

أولاً : منزها عن الهوى .

ثانياً : لا يجور في الحكم .

ثالثاً : أن يقَوِّم (بتشديد الواو وكسرها) ما ليس من جنسه .

وبناء على هذا التعريف إذا أردنا ميزان عدل للإنسان فمن الذي يضعه ؟

---

(١) انظر مادة " عَدَلَ " في لسان العرب .

هل يضعه الإنسان نفسه ؟!

بالطبع لا .. لأن الإنسان غير مبرأ من الهوى .

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف : ٥٣]

كما أن الإنسان من نفس جنس المُقَوَّم (بتشديد الواو وفتحها) فكيف يكون هو الخَصم والحكم في آن واحد ؟!

والعدل يقضي أن خالق الإنسان هو الذي يضع له ميزانه وهو الذي يحكم به ولاسيما أن هذا الخالق – سبحانه– منزَّه عن الهوى ، كما أن من أسمائه الحكم العدل ، والمُقسِط ، والحق .

ولقد خلق تعالى السموات والأرض بميزان العدل .

﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن : ٧]

وهو تعالى الذي سوف يحاسب الناس يوم القيامة بمقتضى هذا الميزان العادل الذي لا ظلم فيه .

﴿ونَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء : ٤٧]

فترى ماذا يكون الميزان العدل هذا ؟

إنه كتاب الله : القرآن الكريم ﴿الرحمن علم القرآن﴾

والله تعالى يأمر نبيه الكريم ، وكل حاكم على محكومين أن يحكم بينهم بكتاب الله العزيز الحكيم .

وألا يتبع أهواء وميول البشر باسم الديمقراطية فلا اجتهاد مع شرع إنما الاجتهاد فيما لا نص فيه ولا حكم قطعي الثبوت والدلالة . (١)

---

(١) ولقد ضل أقوام حكَّموا عقولهم وأهواءهم وطرحوا دين الله ؛ فأباحوا الخمر والميسر ، والزواج المثلي (زواج الرجل بالرجل ، والمرأة بالمرأة) ، وأباحوا الزنا والسفور والفجور والشذوذ ... كل هذا باسم الديمقراطية وأن الناس صدقت على ذلك وأقرته !!.

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ﴾ [المائدة : ٤٩]

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام : ٥٧]

وأن هذا الأمر ليس جديداً على الإنسانية فمنذ أن أرسل الله تعالى رسله للناس أنزل معهم بيان الحق وكتاب الشرع ، وميزان العدل ؛ ليقضوا بين الناس بما علمهم الله ولا يتبعوا أهواءهم .

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد : ٢٥]

ولم يترك الله تعالى الأمم تتخبط خبط عشواء تحتكم لعقلها القاصر أو أهوائها الجامحة إنما أرسل كل أمة رسولاً ليقضي بينهم بالحق والعدل .

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون﴾ [يونس : ٤٧]

كما أمرنا الله تعالى أن يكون ميزان العدل الإلهي هو القانون الذي نحتكم إليه .

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء : ١٨٢]

كما أمر الله تعالى أن يكون ميزان العدل مطلقا لا يشمل الأقرباء دون الغرباء ، ولا الأغنياء دون الفقراء ، ولا الضعفاء دون الشرفاء ، إنما الكل متساوون أمام ميزان العدل الإلهي سواء بسواء .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ

الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾[النساء:١٣٥]

وكان النبي مثال العدل بما فهم عن الله تعالى .

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

[المائدة: ٤٢]

وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن اختلال ميزان العدل كان السبب في هلاك الأمم .

"إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيْمُ الله لَوْ أنّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" [متفق عليه]

كما أمر الله تعالى بالعدل بين طوائف المؤمنين ، وبقتال الطائفة الباغية حتى ترجع لأمر الله فإن رجعت يُصلح بين الطائفتين بميزان العدل الإلهي.

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

[الحجرات : ٩]

وتأمل معي ختام الآية والتأكيد الشديد على إقامة العدل بين المؤمنين.

ومن مظاهر هذا العدل المطلق أنه شمل الأعداء . أيضا أ هناك أعظم من هذا ؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ (أي لا يدفعكم كره) قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة : ٨]

بل ميزان العدل الإلهي يتسع ليشمل كل الناس مسلمين وغير مسلمين.

﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

[الممتحنة : ٨]

أ ليس هذا العدل هو عين الرحمة وأن من أنزله هو الرحمن الرحيم ؟

أ عرفت الآن لم بدأ الله تعالى الآيات بل السورة بل جميع سور القرآن (١) باسم الله تعالى " الرحمن " ذلك الاسم العظيم الذي لا يشاركه فيه أحد والذي من آثار رحمته أن أنزل القرآن .

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا﴾ [الإسراء : ٨٢]

هذا القرآن العظيم الذي هو شفاء لأمراض القلوب ، وأوهام العقول ، وشهوات النفوس .. ورحمة للمؤمنين لأنه .

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف : ١٥٧]

ومن آثار رحمته تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم ﴿فِطْرَةَ اللَّـهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم : ٣٠] ، وتعليمه البيان (أي تعليمه من العلوم والمعارف ما يعينه على فهم القرآن ومعرفة أحكامه) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾

[القيامة:١٧ – ١٩]

ومن آثار نعمة الله تعالى على الإنسان أن خلق له هذا الكون .

---

(١) ما عدا سورة التوبة لأنها نزلت في المنافقين وهم لا يستحقون رحمة الله تعالى{ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون }

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن : ٥- ٧]

وجعل فيه من كل شيء موزون بميزان العدل الإلهي .

﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [الحجر : ١٩- ٢٠]

وعلى هذا تحدد الآيات – أوائل سورة الرحمن – أولويات الإنسان :

فأولا : وقبل كل شيء أن يعرف خالقه " الرحمن " ثم يتبع أوامره " القرآن " ليفهم نفسه ويفهم الكون .

وأن كلاً من القرآن ، والإنسان ، والكون يتسمون جميعاً بميزان العدل ولا عجب فجميعهم صادرون عن الرحمن : فالقرآن كلامه ، والإنسان خليفته ، والكون خلقه. (١)

والآن بعد بيان مفهوم العدل في الشريعة الإسلامية برجاء العودة لقراءة قانون " ماعت " مرة أخرى والبحث فيه عما يتناقض مع شريعة الإسلام .

والذي يؤكد أن حكام مصر لم يكونوا كلهم طغاة – كما يظن الكثيرون – إنما كانوا ملتزمين بقانون " ماعت " تلك الأمثال والحكم التي جاءت على لسانهم ، أو التي وجهها الكهان لهم وكلها تهدف إلى أن العدل هو أساس الملك في الدنيا ، وشرط دخول الجنة في الآخرة .

يقول الملك " ختي " لابنه الملك " مريكارع " (الأسرة الثامنة عشر): " هدئ من روع الباكي ، ولا تظلم الأرملة ، ولا تحرم إنساناً من ثروة

(١) لمزيد من التفصيل حول مفهوم التوازن في الإنسان والكون وشريعة الإسلام راجع كتاب " ميزان الحق بين العلمانية اللادينية والسلفية اللأصولية " للمؤلف دار زهور المعرفة والبركة .

أبيه ، ولا تطرد موظفاً من عمله ، وكن على حذر ممن ينتقم مما وقع عليه من ظلم لا تقتل فإن ذلك لم يكون ذا فائدة لك ، لا تقتل رجلاً تعرف مزاياه رجلاً كنت تتلو معه الكتب ، لا تميز بين ابن شخص ذي حيثية على شخص فقير بل قرِّب إليك إنساناً بسبب عمل يده " [١]

إن الدارس لحضارة المصرية القديمة ليأخذه العجب من أنها بدأت تامة كاملة فالدولة القديمة هي أول من عرفت الزراعة ، وقسمت فصول السنة ، واستصلحت الأراضي ، وسجلوا مقياس النيل ، وزرعوا الشعير والقمح ، والبصل ، والثوم ، والبامية ، واللوبيا والعدس ، والخص ،والبطيخ ، والعنب ... " وكان الفرعون هو مصدر القوانين يحكم بمراسيم كأنها قرارات أوحي إليه بها . " [٢]

يرجع ذلك إلى تطبيق شريعة الله التي جاء بها أنبياء الله تعالى والتي توحَّد الناس حولها فكانت المنجزات الحضارية المدهشة .

***

(٢) د. أحمد فخري " تاريخ الحضارة المصرية " م١ ص ٤٤٢.
(١) أحمد حسين " موسوعة تاريخ مصر " ج١ص٦٠ دار الشعب

سر نشأة الحضارة المصرية

خطأ العلمانيين في تفسير نشأة الكون

إن العلمانيين من المؤرخين ينطلقون من مُسَلَّمة يبنون عليها أفكارهم ومعتقداتهم وهذه المسلمة هي أن الكفر وعبادة قوى الطبيعة أو عبادة الطوطم (١) هي الأصل وأن الرسالات السماوية ما عرفتها البشرية إلا بعد آلاف السنين من الخليقة .

وأن الحضارة المصرية التي ولدت كاملة النمو إنما هي من صنع الطبيعة، أو من صنع الملوك السحرة ، أو من صنع كائنات من كواكب أخرى أرقى عقلاً وعبقرية ومعرفة وحضارة !!

ولم يهتم الباحثون بربط الرسالات السماوية بالوثائق ، والآثار التي تؤكد أن أنبياء الله عليهم السلام هم الذين بنوا هذه الحضارة بواسطة العلوم الإلهية التي أمدهم الله تعالى بها ، لكي يعبدوا الله تعالى بتعمير أرضه ، كما أمدهم بالعقيدة والشريعة ليعبدوه تعالى وحده ويقيموا شرعه.

ويستنكر الكثيرون هذا القول ، ويتساءلون في دهشة :

هل كان لدى المصريين القدماء كتب سماوية منزَّلة من عند الله كالتوراة والإنجيل والقرآن ؟!!

---

(١) الطوطم حيوان يرتبط باسم العشيرة عند الشعوب البدائية ، وبخاصة أهالي استراليا الأصليين ، ويعتبرون لحمه محرما على أفرادها لاعتقادهم أنهم انحدروا منه ، وبعض العشائر تتخذ طواطمها من النباتات أو الكائنات المادية ، أو حتى من الظاهرات الطبيعية . " الموسوعة الثقافية " ص٦٤٣ دار الشعب

والسبب الآخر في خطأ كثير من علماء المصريات في تفسير نشأة الحضارة المصرية القديمة يرجع إلى الخطأ في الترجمة عن اللغة المصرية القديمة فلو ترجمت الوثائق ترجمة صحيحة عن الأصل الذي كتبت به لأكَّدت أن ما أتت به الحضارة المصرية وغيرها من الحضارات إنما هو من المعجزات التي أيد الله تعالى بها أنبياءه ورسله، ومما أوحى لهم به من علوم علموها للناس ليصلحوا بها حياتهم كما علموهم من هدى الدين ما يصلح آخرتهم .

ضاعت الحقيقة ، ولم يعد هنالك من يحكي عن عقائد المصريين القدماء وعبادتهم سوى بعض الرحَّالة والمؤرِّخين بكل ما فيها من زيف وجهل وخرافات .

قال المؤرِّخ شمبليون : " وعندي أنه لا يعتد بما قاله بعض أهل التاريخ من الأغراب الذين تطفَّلوا على محافل مصر فنقلوا من أخبار عياداتهم كلاماً اكتفوا في نقله بالظاهر دون الحقيقة لجهلهم بعادات المصريين ولغتهم ، ومبلغ علمهم بالديانات الصحيحة "

كما ذكر مترجم كتاب " الحياة الاجتماعية " لبتري : " لقد تعرَّضت حياة الشعب المصري في الأزمان الغابرة لكثير من المسخ والتشويه على يد المؤرِّخين الأجانب وقد ظلَّت هذه الصورة المشوَّهة والروايات الكاذبة التي أذاعها الجُهَّال والمغْرضون يرددها الناس مئات السنين . "

وهكذا شاءت الأقدار ألا يبقى عن عقائد مصر القديمة سوى كتب أولئك المؤرِّخون القدماء بكل ما فيها من خرافات وجهل وأكاذيب يقرأها الناس فيسخرون أو يشمئزُّون ، ولا يعرفون عن مصر القديمة وأهلها سوى أنهم كانوا كَفَرة مشركين عُبَّاد أوثان وأصنام!!! (١)

(١) د. نديم السيار " قدماء المصريين أوَّل الموحدين " الطبعة الثانية ص ٤

يقول د. سليم حسن : " إن من يعرف اللغة المصرية القديمة وصعوبة فهمها واحتمال اللفظ من المعاني يلتمس العذر لعلماء الآثار في اختلافهم تعدد آرائهم وتباين مذاهبهم موضوعات كثيرة " (١)

الوثائق المصرية تبوح بسر نشأة حضارتهم

إن الوثائق المصرية تؤكد وتلح في التأكيد على أن ما وصل إليه المصريون القدماء من علوم ومعارف إنما كان من وحي السماء " إن المصريين القدماء أنفسهم إذ يذكرون أن كل العلوم – الدينية والدنيوية – قد جاءتهم وحياً من السماء عن طريق الرسل .

يقول أرنولد توينبي فيلسوف المؤرخين في هذا المعنى " إن الله تعالى الواحد الحق قد اغتنم فرصة الصدام والانهيار اللذين أصابا التقاليد المحلية القديمة ففتح أذهان أصحابها واستغل هذه التجربة الأليمة فأنار هذه الأذهان التي تفتحت مؤقتاً وبصَّرها بمعرفة ذاته ، ومقاصده على وجه أكمل ، وأقرب إلى الحق مما يتسنى لهم معرفته من قبل " (٢)

إن المصريين القدماء يؤكدون ذلك بل ويذكرون أن كل العلوم التي أنشئوا بها حضارتهم قد جاءتهم وحياً من السماء في صحف مقدسة .

يذكر د. أحمد بدوي في كتابه " تاريخ التربية والتعليم في مصر " أن علْم قدماء المصريين – في اعتقادهم – مَرْجعه إلى السماء ، جاء به رُسُل من حكماء الماضي، وهو مدخر في الصحف يتناقله الناس جيلاً بعد جيل "

---

(١) د. سليم حسن " مصر القديمة " ج١ ص (ب، ج) الهيئة المصرية العامة للكتاب .
(٢) أرنولد توينبي " الحضارة في الميزان " ترجمة أمين محمود الشريف ص ١٩٣ دار إحياء الكتب العربية .

ويذكر د. عبد العزيز صالح : " رأى المتدينون – المصريون القدماء – في التَّزوُّد من مناهل العلم والعمل بهَدْيها نوعاً من التعبد في الدنيا ؛ فكان الداعي إلى دراسة هذه العلوم يعتبر نفسه داعياً إلى أقوال الرب "[١]

ونسب كتاب الموتى (برديات الكتاب المقدس للحكيم آني) بناء الهرم الأكبر الذين أطلق عليه اسم (بيت الأماكن الخفية) إلى الإله تحوت إله المعرفة وكاتم الأسرار الإلهية وحارس كلمات العدالة والحق . ناقل الكلمة والحرف وقياس الوقت والزمن ، ليكون معبداً وهيكلاً للخالق الأعظم وينقل منه رسالته إلى البشر ، وهو ما فسر للعلماء والباحثين " لغز الهرم الأكبر " فيما يختص بالغرض الذي بني من أجله ."[٢]

والإله " تحوت " ما هو إلا نبي الله " إدريس " عليه السلام أو " هرمس " عند اليونان كما بينا من قبل .

المصريون أصحاب أقدم تكنولوجيا عرفها التاريخ

ولا عجب إذن أن يكون شعب مصر أول الموحدين هم أنفسهم أصحاب أقدم تكنولوجيا عرفها التاريخ فهم الذين اخترعوا المحراث ، والمنجل ، والمطرقة ، الجاروف ، والمكنسة ، المنخل ، الغربال ، والمغزل ، والنول ، والبكرة ، ...

ولقد برع المصري القديم في النسيج براعة فائقة ، عثر على الكثير منه وهو في غاية الدقة والبراعة والإبداع .

والمصري أول صانع في التاريخ ، وهو الذي علم الدنيا كلها فنون الصناعة كما علمها الزراعة ، وقبل هذا علمها التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد .

---

(١) د. نديم السيار " قدماء المصريين أوَّل الموحدين " الطبعة الثانية ص ١٩٥ ، ١٩٦

(٢) د. سيد كريم " لغز الحضارة " ص ١٩٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وهي أول من استأنس الحيوان واستخدمه ليساعده في عمله كالحمار ، الثور ، الكلب ، والقطة ،والحصان ، الجمل أو ليستفيد من إنتاجه النحل ، والغنم ، والبقر

كان المصري يعامل حيواناته برفق ، ويقودها إلى الحق وهو ينشد لها الأغاني"[1] ومازال الفلاح المصري الأصيل يتعامل مع الحيوان بالرفق ويغني له .

من أين تعلم المصري كيف يستأنس هذه الحيوانات ؟ وكيف يستخدمها؟ وكيف يتعامل معها هذا التعامل الراقي ؟ إن لم يكن هناك أنبياء علموه وشرائع سماوية تمسك بتعاليمها ، ولقد جاءت شريعة الإسلام بتمام ذلك .

لقد عرف المصري القديم أنواع الأحجار المختلفة ، واستخدمها في البناء فعرف أحجار البرشيما الخضراء والحمراء وحجر الديوريت والدولوميت والصوان ، واستعمل الجبس ، وحجر الشست والأردواز .

وعرف أحجار الزينة : العقيق الأحمر والأبيض ، والزمرد المصري الأخضر ، والمرجان الأحمر والأبيض ، واللؤلؤ والفيروز ..

وعندما كان قدماء المصريون يقطعون الحجارة من الجبال لبناء المعابد أو غيرها كانوا " يسجلون عليها مكان الشمال الجغرافي ؛ لأن هذه القطعة الحجرية قد عاشت منذ لحظة تكوينها داخل مجال مغناطيسي محدد وتأقلمت عليه ، وكان القدماء يدركون ذلك ويضعون الأحجار في نفس الزوايا التي كانت عليها في الجبل الأصلي قبل قطعها " [2]

([1]) أحمد حسين " موسوعة تاريخ مصر " ج١ص٦٢ دار الشعب

([2]) د. إبراهيم كريم في حوار معه أجرته مجلة أكتوبر ونشر في العدد ١١٦٨ الأحد ١٤ مارس ١٩٩٩ ص ٥٠.

ما هذا العلم العجيب !! إن العلمانية الغربية التي وصلت إلى درجة عالية من التقدم لم تفطن لهذا ! ولم تطبقه حتى جاء من حفدة الفراعنة من علمها هذا .

من علم المصريين طبيعة الحيوان ، وطير ، والنبات ، والجماد أمم أمثالنا تسبح وتخشع .

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام : ٣٨]

يذكر القرآن الكريم أن الحجر يخشى الله ، ويخشع له ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّه ﴾ [البقرة : ٢١]

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر : ٢١]

من علَّم المصريين القدماء طبيعة الحجارة ؟ أليس خالقها ؟

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن : ١]

كما عرف المعادن : النحاس والذهب والحديد والقصدير والفضة والرصاص والبرونز ... عرف كل ذلك وغيره من أكثر من سبعة آلاف سنة (٥٦١٩ ق. م)

كما عرف المصريون القدماء النقود أيضاً .

واستعمل المصري القديم المقاييس : الزراع والشبر والقصبة والقيراط ، واستعمل الأرقام في الحساب بكل علاماته منذ فجر التاريخ .

كما عرف علم الفلك وكان في عين شمس كاهن خاص لمراقبة سير الشمس ، وفي المعابد جماعات لمراقبة سير النجوم . وتقسيم السنة إلى شهور قمرية كل منها ثلاثون يوما أكبر دليل على معرفة تامة بمنازل القمر. واليوم ينقسم إلى أربع وعشرين ساعة، واستخدم المصري القديم " المزولة " لمعرفة الساعة نهاراً ، والنجوم معرفها ليلاً ، كما عرف الساعة المائية .

هل نصدق معجزات الأنبياء إن لم تذكر في الدين ؟!

وإن المرء ليعجب أن ينسب العلماء لامحوتب الألوهية وينفوا عنه النبوَّة ، نعم إن ما عجز العلماء عن تفسيره في منجزات الحضارة المصرية القديمة إنما هو من ثمار العلوم المقدَّسة التي أوحى الله تعالى به لرسله ليعلموها أقوامهم أو من معجزات السماء التي أيَّد الله تعالى بها أنبياءه ورسله ، كما خلق عيسى من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طيراً بإذن الله ، وأبرأ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله .

﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ٤٩]

ترى ولو لم يخبرنا الله تعالى بمعجزات عيسى عليه السلام هل كنا سنصدق بها إن قرأناها في مخطوطات قديمة كتبها مَن شاهد هذه المعجزات ؟!

هل كنا سنصدق أن بشراً يصنع هذا ؟

في الغالب كنا سنسارع في تكذيب هذه الروايات لأنها تتعارض مع عقيدة التوحيد التي تؤكد أن الله هو الذي يحيي ويميت ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي

فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [الشعراء : ٧٨ – ٨١]

ولا يفكر واحد منا أن يجعل هذه العجائب معجزات أيَّد الله تعالى بها أنبياءه ورسله ، والفرق بين معجزات الأنبياء التي أخبرنا الله تعلى بها ومعجزات الحضارة المصرية القديمة أن معجزات الأنبياء لا دليل عليها إلا إخبار القرآن الكريم بها ، بعكس معجزات الحضارة المصرية التي مازالت قائمة تتحدى أن يأتي أحد بمثلها أو حتى يفك لغزها إنه تحدي من الله تعالى لكل البشر كما تحداهم بأن يأتوا بسورة من القرآن ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨]

والحقيقة أن آدم هو أول البشر وهو أول نبي مرسل ، فالله العلي القدير لم يخلق الناس عبثا ولم يتركهم سدى .

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون : ١١٥]

أي مهملين لا ثواب لكم ولا عقاب عليكم .

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[القيامة: ٣٦]

لقد أمر الله تعالى الإنسان بعبادته وحده لا شريك له .

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦]

لذا أرسل في كل أمة رسولاً بالدين الحق يبشر به من آمن بالله بالجنة، ورضوان من الله ، وينذر من كفر بالنار وغضب الجبار .

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾

[فاطر : ٣٤]

﴿ مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء : ١٥]

ولقد كلَّف الله تعالى الناس بمهمتين هما : إخلاص العبادة لله وفق ما شرع وتعمير كونه بالعلم النافع والعمل الصالح .

﴿اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود : ٦١]

وكما أرسل الله تعالى الأنبياء بشريعة تعلم الناس كيفية عبادة الله تعالى ، أرسل الأنبياء بالعلوم المقدسة التي تعلم الناس كيف يعمرون الأرض .

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ [البقرة : ٣١]

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق : ٤، ٥]

فالله تعالى مصدر كل علم نافع عرفه البشر فعلم آدم الأسماء كلها ، علمه أسماء الذوات ، وأفعالها ،مكبرها ومصغرها ،كما أشار إليه ابن عباس رضي الله عنهما "[١]

وعلَّم الله تعالى إدريس عليه السلام – نبي المصريين وأوَّل الأنبياء والرسل بعد آدم – الكتابة بالقلم ، وحياكة الثياب ، وعلم النجوم ، والحساب وغيرها مما كان سبباً في النشأة الحضارة المصرية كاملة متطورة .

أما عن كون إدريس أوَّل وأقدم الأنبياء فدونك هذه الشذرات أقوال كبار العلماء والمفسرين :

([١]) ابن كثير البداية والنهاية المجلد الأول ص ٧٨

يقول ابن خلدون في مقدمته : " إدريس هو أقدم الأنبياء . "

ويقول القرطبي في تفسيره : " كان إدريس أوَّل من أُعْطي النبوَّة . "

ويقول ابن سعد في طبقاته " إدريس أوَّل من أُعْطي النبوة من ولد آدم "

يقول الإمام القرطبي : " إدريس عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط ، وأول من نظر في علم النجوم والحساب وسيرها. وسمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله تعالى. وأنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة " (١)

وأما عن كون إدريس مصري ، ومرسل من الله إلى المصريين فدونك شذرات من أقوال العلماء في ذلك :

يقول القرماني في " إخبار العلماء بأخبار الحكماء " : " إدريس عليه السلام كان نبيّاً عظيماً وقد ولد بمصر " .

وفي دائرة معارف البستاني : " وأمَّا ترجمة إدريس على قول العرب فهي أنه كان نبيّاً عظيما ولد بمصر " .

ويقول الألوسي في تفسيره " روح المعاني " "وكان إدريس قد ولد بمصر"

ويذكر ابن إياس في " بدائع الزهور " تحت عنوان " ذكر من كان بمصر من الحكماء في أوَّل الدهر " : " قال الكندي : كان بمصر من الحكماء إدريس وقد جمع بين النبوَّة والحكمة . " (٢)

وحتى العلماء والمؤرخون الذين ذكروا أن إدريس ولد ونشأ في بابل ذكروا أنه هاجر إلى مصر ونشر فيها دين الله وعلومه المقدسة .

---

(١) تفسير القرطبي لقوله تعالى ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيّاً ﴾
(٢) نقلاً عن د. نديم السيار " قدماء المصريين أوَّل الموحدين " ص ١٨٧ .

يقول الشيخ عبد الوهَّاب النجَّار في " قصص الأنبياء " : " اخْتُلف في مولد إدريس ونشئه فقالت فرقة : ولد بمصر وسمُّوه هرمس الهرامسة ومولده بمنف وهو عند العبرانيين خنوخ وعُرِّب أخنوخ ... وقالت فرقة أخرى إن إدريس وُلد ببابل وبها نشأ ولما كبر إدريس آتاه الله النبوة فنهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث فأطاعه أقلهم وخالفه جُلُّهم فنوى الرحيل عنهم وأمر من أطاعه منه بذلك .

وأقام إدريس ومن آمن معه بمصر يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عز وجل ، وتكلم الناس في أيامه باثنين وسبعين لساناً وعلَّمه الله تعالى منطقهم ليُعَلِّم كل فرقة منهم بلسانهم ، ورسم لهم تمدين المدن ، وجمع الله له طالبي العلم بكل مدينة فعرَّفهم السياسة المدنية وقرر لهم قواعدها فبنت كل فرقة من الأمم مدناً في أرضها فكانت عدَّة المدن التي أُنْشئت في زمانه مائة مدينة وثمانياً وثمانين أصغرها الرها . وعلَّمهم العلوم . وهو أوَّل من استخرج الحكمة وعلم النجوم فإن الله عز وجل أفهمه أسرار الفَلَك وتركيبه ونقط اجتماع الكواكب فيه وأفهمه عدد السنين والحساب ولولا ذلك لم تصل الخواطر باستقرائها إلى ذلك ، وأقام للأمم سُنناً في كل إقليم سُنَّة (طريقة أو منهج) تليق بأهلها ، وقسَّم الأرض أربعة أرباع على كل ربع ملكاً يسوس أمر المعمور من ذلك الربع وتقدم إلى كل ملك بأن يلزم أهل كل ربع بشريعة الله التي تتمثل في توحيد الله وعبادته وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا ... ووعد أهل ملَّته بأنبياء عدة يأتون من بعده ، وعرَّفهم صفة النبي فقال : يكون بريئاً من المذمَّات والآفات كلها كاملاً في الفضائل الممدوحات لا يقصِّر عن

مسألة يُسأل عنها مما في الأرض والسماء ومما فيه دواء وشفاء من كل ألم ، وأن يكون مذهبه ودعوته المذهب الذي يصلح به العالَم . "[١]

إذن كانت نشأة الحضارة المصرية القديمة نشأة دينية ، وأن أول علوم عرفها البشر علوم ربانية ، وإنجازات المصريون القدماء الباهرة هي معجزات نبوية .

وهذا ما تؤكده الدراسة المتأنية لتاريخ هذه الحضارات ، وآثارها الخالدة، ونصوص الدين المعجزة .

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨ ،٣٩]

بم وحد مينا القطرين ؟

يقول ول ديورانت : " قبل أن يحل عام ٤٠٠٠ ق. م كان هؤلاء الأقوام الذين يقيمون على ضفاف النيل قد أنشئوا لهم حكومة من نوع ما. فقد انقسم الأهلون المقيمون على شاطئ النهر أقساما ينتسب سكان كل قسم منها إلى أصل واحد. وكان لهم شعار واحد . "[٢]

وما إن يأتي " مينا " موحِّد القطرين بتوحيد العقيدة التي أوحى الله تعالى به إليه حتى يبدأ تاريخ المنجزات الحضارية الخالدة .

{ ضم " مينا " القطرين تحت سلطانه الموحد، وأعلن في البلاد قانوناً عاماً أوحى إليه به الإله نوت (إله السماء) أقام أولى الأسر المالكة التاريخية، وشاد عاصمة جديدة لملكه في منف وعلَّم الناس وأدخل في البلاد وسائل النعيم والحياة المترفة}[٣]

---

(١) الشيخ عبد الوهاب النجار " قصص الأنبياء " دار التراث ص ٤٠ ، ٤١ .
(٢) ول ديورانت " قصة الحضارة " مرجع سابق ص ٢٦٥
(٣) نفسه ص ٢٦٥

فالملك " مينا " كان نبيّاً يوحى إليه من الله إله السماء " ودعا الناس إلى نبذ آلهتهم المحلية ومعبوداتهم ، والدخول في عقيدة إله التوحيد إله السماء ، لقد وجدت دعوته استجابة سريعة وبغير حرب في أقاليم الدلتا التي كانت تناصب أقاليم الصعيد العداء . " (١)

لقد رمز الملك " مينا " لدعوته بالصقر المقدس (حامل رسالة التوحيد) وهو يحمل فوق رأسه قرص الشمس أي خضوعه للإله " رع " .. فتحقق له توحيد الوادي بتوحيد.(٢)

أيمحوتب إله أم نبي ؟

لقد استمرت عقيدة التوحيد بعد موت مينا ما يقرب من مائتي سنة أي إلى أواخر الأسرة الأولى ، ثم تفككت عقيدة التوحيد بنهاية الأسرة الأولى وعادت مختلف الآلهة والمعبودات تحتل مكانها في المعابد ، وكانت أول محاولة لتوحيد العقيدة التي بدأ ظهورها في منف في الأسرة الثالثة والتي بدأ يخطط لها العالم والحكيم والمهندس والطبيب " ايمحوتب " مستشار الملك زوسر بعد دراسته لعلوم اللاهوت والمعرفة بمعبد هليوبوليس " حصن العقيدة " وكان يعد أحد كهنتها المبجلين . (٣)

والحقيقة إن ايمحوتب ما كان إلا نبيّاً من أنبياء الله وقد وجدت وثائق تؤكد هذا منها نص في معبده بـ " إدفو " يصف ايمحوتب بأنه الكاهن الأكبر ابن بتاح الذي يتحدث أو يحاضر " (٤)

وهناك نص آخر يقول : " إن سيد البنائين ايمحوتب ابن بتاح إله منف العظيم "(١)

---

(١) د. سيد كريم " لغز الحضارة المصرية " مرجع سابق ص ٧٢
(٢) نفسه . ص ٧٢
(٣) ج. هاري " ايمحوتب ، إله الطب والهندسة " ترجمة محمد العزب موسى ص ٣٠
(٤) د. سيد كريم " لغز الحضارة المصرية " مرجع سابق ص ٧٢

معنى ابن الله عند المصريين القدماء

ولقب ايمحوتب بأنه الإله "ابن بتاح" يعني عبد الله ورسوله فالبنوة هنا بنوة مجازية ولقد استخدمت بهذا المعنى في التوراة والإنجيل .

" قال الرب لموسى حالما ترجع لمصر .. قل لفرعون هذا ما قاله الرب : إسرائيل هو ابني البكر " (الخروج:٤)

" إني أب لإسرائيل وأفرايم بكري "(إرميا:٣١)

ويقول الرب لداود " إني أقيم بعدك من نسلك الذي يخرج من صلبك من أُثَبِّتُ مملكته هو يبني بيتا لاسمي ، وأنا أثبت عرش مملكته إلى الأبد . أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا " (صموئيل الثاني : ٧)

فألفاظ مثل " أبناء الله ، ابن الله ، و ابني البكر .." في اللغة العبرية تعني الأنبياء والرسل أو الصالحين أو المؤمنين الحقيقيين من خلق الله.

ولقد وردت في الأناجيل بهذا المعنى كثيراً مثل : " آدم ابن الله " (لوقا:٣)

" طوبى لصانعي السلام فإنهم سيدعون أبناء الله " (متى : ه)

إذن عندما تقول الوثائق المصرية " ايمحوتب ابن بتاح إله " فإنها تعني أن ايمحوتب نبي الله المُعظَّم .

ويؤكد د. سيد كريم هذا فيقول : " ذكر المؤرخ مانيتون أن الرسالة التي قام بها ايمحوتب في مختلف عناصر المعرفة من اللاهوت إلى العلوم والطب والهندسة وفن البناء هي التي جعلت المصريين يؤلهونه بعد وفاته بعدة قرون وأطلقوا عليه في الأسرة ٢٦ أي بعد ألفي سنة من وفاته لقب " ابن بتاح " إله الخلق وبنوا له الكثير من المعابد في منف والصعيد والنوبة كأحد الرسل الذين نادوا بالتوحيد . "[٢]

([١]) نفسه ص ٧٢

([٢]) نفسه ص ٧٣

وقد توصل المصريون في بداية الأسرة الرابعة في عهد الملك سنفرو إلى المعرفة التامة بالوحدانية بما تصوروه من النظام الإداري الخلقي العظيم . وقد وصل فعلاً إلى ذلك رجال اللاهوت .

والفلاسفة الذين أتوا بعد ذلك العصر ، وما ورد في كتاب الموتى ومتون الأهرام معاً وضع أسس الكثير من الشرائع التي وردت في الأديان السماوية وقد نسب الفراعنة جميع القوانين الإدارية والنظام الاجتماعي والتشريعات إلى أنها منزلة من الإله " رع " فكان لا يسمح للملك نفسه بالتدخل في تعديل القوانين أو أحكام القضاء، ورغم أنه هو الذي كان يحملها للشعب والدولة .

وتصف متون الأهرام " رع " بأنه الإله الواحد عرشه الأفق غير المحدود، وخرج هيكل تكوين الخلق " بن بن " (الهرم) رمز الإله الذي تعبر واجهاته المثلثة عن القوى الثلاثية للإله وقاعدته المربعة ترمز إلى أركان الدنيا الأربعة ، وتشير قمته إلى عرش الإله في السماء .

لقد خرج الشكل ذلك الهرمي من بين جدران معبد هليوبوليس ليبني الأهرام على اختلاف أنواعها كرمز لتوحيد الإله ، ثم انتقلت إلى المسلات أو تطور ارتفاع القاعدة التي تحمل الهرم المقدس قمة المسلة ، لذا وصفوا المسلات بأصبع الإيمان التي تشير إلى رع إله الشمس والمتربع على عرش السماء وإصبع العقيدة المرفوع لرمز وحدانية الإله(١)

سر بناء الهرم الأكبر

إن العجب ليأخذ المرء كيف يتخبط المؤرخون كل هذا التخبط في تفسير الحضارة المصرية القديمة ، ولا يهتدوا إلى التفسير الديني الذي

(١) د. سيد كريم " لغز الحضارة المصرية " مرجع سابق ص ٧٤

جاء في كل الأديان والذي ينص على أن الله تعالى أرسل رسلاً لهداية البشر ، وأيَّد هؤلاء الرسل بمعجزات يعجز عن الإتيان بها بشر ، كيف يقبل هؤلاء المؤرخون بأن يؤله ايمحوتب ، ولا يسلمون بنبوته؟! كيف يذهب المؤرخون في بناء الهرم الأكبر كل مذهب ممكن أو غير ممكن ولا يخطر ببالهم أنه معجزة من الله تعالى أيَّد بها نبيه ايمحوتب وتحدى بها البشر قديماً وحديثا أن يأتوا بمثلها أو حتى يعرفوا سرها .

يقول علماء المصريات : " في غضون فترة وجيزة لا يصدقها عقل تعلَّم المصريون كيف ينقلون أضخم حجارة عرفها تاريخ العمارة بأسره . ويشيدون أهراماتهم التي تسلب الألباب ، ولا يفصل حكم الفرعون زوسر الذي شيد مصطبة سقارة المدرجة التي تعد أقدم بناء أثري بالحجر في التاريخ ، عن فترة حكم بناة أهرام الجيزة الكبرى سوى خمسين عاماً ، انصرف خلالها المصريون عن استخدام الطوب وصاروا أساتذة في استخدام الحجر الطبيعي الذي لم يشهد له العالم مثيلاً من قبل ومن بعد . وفي فترة تقل عن مائة عام ارتفعت عقيدة الفرعون الإله من مستوى الصحراء ومن القبور المسطحة البسيطة إلى بناء زوسر الذي يعد معجزة وهرم خوفو الذي بلغ القمة والذي يصل ارتفاعه نحو خمسمائة قدم . تلك الأهرام التي أخذ حجمها يتضاءل بعد ذلك "[١]

الهرم الأكبر مقبرة أم مرصد ؟

لقد أطلق مؤرخو الإغريق على الهرم الأكبر عند زيارتهم لمصر وأرض الأهرام اسم بيراميدس الذي تحول " بيراميد " في مختلف اللغات ومعناه " هرم " .

---

(١) د. إيفار ليسنر " الماضي الحي " ترجمة شاكر إبراهيم سعيد ص ٥٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب

لكن ما هو الاسم الذي أطلقه المصريون القدماء بناة الأهرام على الهرم الأكبر ؟

ورد في جميع وثائق عصر الأهرام أن اسم " بن بن " معناه هرم ، وأطلق المصريون على كل هرم من الأهرام التي أقاموها وصفاً يدل على الغرض من إنشائه:

أطلقوا على هرم الملك خفرع اسم برام موت .. أي مرقد الموميا .

وأطلقوا على هرم الملك منقرع اسم برام ميت ..أي مسكن الروح .

كما أطلقوا على هرم زوسر اسم براخت مر .. أي أفق الصعود المنير .

أما الهرم الأكبر فقد أطلقوا عليه برامس وهو الاسم الذي حرفه الإغريق إلى بيراميدس عندما نقلوه بالسمع عن طريق المترجمين . وأطلق اسم بيراميد على جميع الأهرام في تاريخ الحضارة المصرية فأطلقوا على كل هرم اسم بيراميد وبالكشف عن معنى " بيرامس " في اللغة المصرية القديمة وجدناها تعنى المرصد وقد ورد اسم برامس في وثائق وبرديات كتب العقيدة بوصفه نافذة مخاطبة السماء.

وبذلك كشف اسم الهرم الأكبر وهو " البرامس " (أي المرصد الأكبر) لغز الهرم الأكبر .

وبالبحث عن تاريخ بناء المرصد ومن قام ببنائه .

كشفت وثائق تاريخ رسالات التوحيد التي نزلت على أرض مصر إن الرسول ايمحوتب الذي حمل رسالة التوحيد الثالثة من معبد " أونو " إلى معبد منف زوده الإله بمعجزات خلق علوم المعرفة المقدسة وهي علوم الطب والرياضيات والفنون وفي مقدمتها رسالة البناء بالحجر وأطلق ايمحوتب على البناء بالحجر اسم عمارة الخلود .. التي يتخذها لبناء

بيوت أمره ببنائها وهي " البرامس " (الهرم الأكبر) مرصد مخاطبة السماء وتلقي تعاليم الرسالة .

وهرم سقارة (سلالم الصعود إلى عرش الإله) بدرجاته الستة التي تعبر عن أيام الخلق الستة والمصطبة السابعة التي كانت تحمل كرسي العرش في المناسبات الدينية . والصرح الثالث كعبة العقيدة (هرم ميدوم) مركز حلقة البعث (الطواف) وقد أقام ايمحوتب البرامس العظيم (الهرم الأكبر) عندما حمل رسالة التوحيد إلى منف عام ٣٠٠٣ ق.م (الأسرة الرابعة) ()

إن الأسرار التي تحيط بمرصد ايمحوتب (الهرم الأكبر) وفي مقدمتها طريقة بناء الأهرام التي وضع ايمحوتب نظريات إنشائها بالمعادلات الرياضية وعلوم الفلك والطاقات الكونية وهناك العديد من نواحي الإعجاز التي وردت في وثائق ايمحوتب المرتبطة بإقامة المرصد وعندما فشل العلماء والخبراء في تفسيرها نسبوها إلى أعمال السحر .

ويحاول كثير من علماء عصر التكنولوجيا الحديث تفسير تلك الأسرار بترجمة كلمة سحر تكنولوجيا وقد توصل البعض أخيراً في تفسير تلك الألغاز من بين تلك الألغاز ما ورد في تحديد موقع المرصد أن ايمحوتب أمر أن يقيم المرصد في " قلب الكون " أسوة بمرصد أونو (عين شمس) الذي أمر الإله إقامته في " قلب مصر " أرض الإله .

فسر علماء الفلك والرياضيات في العصر الحديث معنى " قلب الكون " بأنه مركز ثقل الكرة الأرضية الذي أمكن تحديده عند تقاطع خطي

---

(١) د. سيد كريم " لغز الهرم الأكبر" نهضة مصر للطباعة والنشر ص ٤

طول وعرض ٣٠ وهو مركز تقابل القارات الخمسة . وكانت المفاجأة التي أُعْلنت عالمياً أن الهرم الأكبر أو المرصد الذي أقامه ايمحوتب يقع بدقة متناهية عند نقطة تقابل خطي ٣٠ الطولي والعرضي . (١)

طريقة بناء الهرم

إن جميع النظريات التي تفتق عنها ذهن العلماء والمؤرخين والكتاب عن طريقة بناء الأهرام والطرق والوسائل التي اتبعها القدماء في بنائها ثبت فشلها جميعاً وابتعدت عن الحقيقة. سواء الممرات الرملية البسيطة الانحدار والتي قد وصل طولها إلى عدة كيلو مترات للوصول إلى القمة الهرمية . واستعمال الزحافات التي تنقل عليها الأحجار والتي يصل وزن بعضها إلى ما يزيد عن الخمسين طناً أي وزن قاطرات السكة الحديدية ومحاولة جر الزحافات التي تحملها والتي تحتاج الواحدة منها إلى مئات العمال فسرعان ما تهبط الزحافة بحمولتها في عمق الممر الرملي كما أن وصف البعض الآخر بأن الممرات الرملية كانت تكسى بطبقة مصقولة من الأحجار الرملية الصلبة فقد ثبت عملياً أن الزحافة سوف تحترق بالاحتكاك حتى ولو كان وزن حمولتها لا يزيد عن طن واحد وليس ٧٥ طناً .

هذا بصرف النظر عن صلابة الحبال التي كانت تستعمل في الجر ولا توجد اليوم رغم التقدم التكنولوجي والآلي رافعات آلية يمكنها رفع أحد تلك الصخور الضخمة والثقيلة إلى ارتفاع يصل إلى مائة متر أي بارتفاع أبراج ناطحات السحاب .

وقد وصف أحد قدماء المؤرخين بان قدماء المصريين كانوا يستعملون السحر في بناء المعابد ونقل الأحجار الضخمة وتثبيتها في مواضعها من المبنى ورفع الأعمدة وإقامتها في مواضعها وأماكنها .

---

(١) نفسه ص ٧

برديتان ألقتا ضوءاً على تفسير السحر بالتكنولوجيا فقد وصفت البردية الأولى التي وجدت في مقبرة أحد مهندسي الدولة الوسطى بالكرنك مؤهلات صاحبها بأنه كان كبير مهندسي المعبد ووصف بأنه كانت عنده القدرة الخارقة في رفع أضخم الأحجار والأعمدة ونقلها في المبنى بغير مجهود أو الاستعانة بأي قوى بشرية عاملة .

والبردية الثانية المحفوظة بمتحف اللوفر ترجع إلى الدولة القديمة في حفريات منطقة سقارة . ويصف صاحبها أنه شاهد الكاهن الساحر بالمعبد يعاون العمال في نقل الأحجار الضخمة بقراءة التعاويذ السحرية الخاصة على الحجر وهو يحمل صندوق أوزوريس ، ثم يأمر العمال بدفع الحجر فيتحرك بغير مجهود على مسافة ثلاثين ذراعاً ثم يعاود التعويذة والطقوس السحرية ويستمر العمال في تحريك الحجر حتى يصلوا به إلى موقعه في المبنى .

من المرجح أن الكاهن الساحر في تلك البردية هو " ايمحوتب " نفسه رسول التوحيد الذي وصف بأنه الساحر الأكبر لمعبد منف بالدولة القديمة والذي أشاد المؤرخون بأعماله السحرية في الطب ولعلاج فاتخذ منه الإغريق إلهاً للطب عندهم وقاموا مع المصريين بتقديسه بما يزيد على سبعة قرون بعد وفاته . كما اتخذ منه المهندسون في مصر رباً للهندسة عندما كان أول من استخدم الحجر في البناء في حضارة مصر وتاريخ الحضارات وكان أول من بنى الأهرام ومختلف نظريات العمارة بالحجر . ونقل عنه الإغريق طرق البناء بالحجر فوضعوا ما أطلق عليه " قواعد العمارة الحديثة " التي بدأت باستعمال الأعمدة في العمارة ابتداءً من العمود الدوريكي الذي كان ايمحوتب أول من ابتكر شكله عند إنشاء الهرم المدرج قبل ظهوره عند الإغريق بألفي عام كما كان

أول من ابتكر شكل تيجان الأعمدة وقواعدها التي نقلتها عنه عمارة جميع الحضارات العالمية . كما وصف المؤرخون ايمحوتب بأنه كان ساحر الفَلَك الذي يخاطب القبة السماوية ويستمد منه علوم المعرفة ومختلف النظريات الرياضية التي استعملها في بناء الأهرام .

أي أنه بالسحر أمكنه التوصل إلى أسرار علوم المعرفة ومعجزاتها وخفاياها !! وكما يقول هوميروس " إن المصريين القدماء استمدوا علوم المعرفة التي بنوا بها حضارتهم من السحر الذي أتقن سحرتهم تسخيره لخدمة أغراضهم "

ويقول سولون عند زيارته لمعبد أون " حصن المعرفة المقدسة " أن كهنته احتفظوا بأسرار علوم الحضارة حتى لا تخرج من حدود أرضهم فأطلقوا على أسرار العلوم ومعجزات نتائجها المبهرة كلمة السحر .

سحر أم تكنولوجيا ؟

الحقيقة تكمن فيما وصفه أحد علماء متحف برلين الذي اهتم بدراسات برديات السحر الموجودة بالمتحف فتوَّج أبحاثه بقوله إذا حاولنا أن نزيح الستار عن حضارة مصر الفرعونية التي لم يصل إلينا منها إلا القليل إلى اليوم فما علينا إلا أن نترجم كلمة " سحر " إلى تكنولوجيا .

إن أية حضارة في العالم إلى يومنا هذا كانت مقومات قيامها تتركز على نوعية القوى المحركة لها والطاقة التي تحكمها وتحركها كالنار والبخار والكهرباء والإشعاعات بأنواعها التي يمكن التحكم فيها سلكيا أو لا سلكياً والتي انتقلت إلى الأقمار الصناعية ومختلف عناصر الطاقة المسيطرة عليها . وكان لكل منها دور فعال في انتقال الحضارة من مرحلة إلى مرحلة.

بدراسة برديات السحر المصري القديم من ذلك المنطق وفي إطار ذلك المنطق وجدناها ترمز وتعبر عن معادلات تكنولوجية عميقة ودقيقة

تؤكد أن قدماء المصريين منذ بدء الحضارة قد توصلوا إلى السيطرة على الكثير من القوى الكونية واستغلال طاقاتها في تحقيق الكثير من أغراضهم العلمية والعملية . كالطاقة الشمسية ومختلف أنواع الإشاعات والذبذبات ومجالاتها المستمدة من القوى الكونية والسيطرة عليها بدء باستعمال البندول والإبر الصينية والطب الروحاني والتي تفسر ما توصلوا إليه من إعجاز في الطب والجراحة وخاصة في عمليات جراحة المخ التي قاموا بها وكشفت عن تفاصيلها أكثر من مميـاء من المومياوات المحفوظة بالمتاحف العالمية والتي وصفها أحد اكبر الجراحين في مؤتمر جراحة لمخ الذي انعقد أخيرا بأمريكا بأنها لا تختلف عن آخر ما توصل إليه العلم الحديث في عمليات جراحة المخ أكد أن تلك العمليات لا يمكن إجراؤها بدون الاستعانة بأحدث الأجهزة الإلكترونية ومختلف أنواع الأشعة الملازمة لها وخاصة الأشعة الملونة.

لقد لعب شحن الأجسام بالإشعاعات دورا هاما في التحنيط وكشف ناحية من نواحي أسراره الغامضة فقد توصلت الأبحاث التي قام بها الدكتور إبراهيم كريم الخبير في علم البندول بتعاونه مع المعاهد الفرنسية المتخصصة في اكتشاف علاقة التحنيط بالإشعاعات الكونية ووجود إشعاعات صادرة من بعض المومياوات المحفوظة بالمتحف المصري وفي بعض المومياوات التي تم اكتشافها حديثا في حفريات المقابر والتي وجدناها لازالت تحتفظ بشحنات الأشعة الخضراء مما يثبت أن الفراعنة قد مارسوا عملية شحن الجثث بشحنات الأشعة الخضراء مما يثبت أن الفراعنة قد مارسوا عملية شحن الجثث بالأشعة الخضراء لحفظها من التحلل ولقتل البكتيريا التي تعمل على سرعة

تحللها فشحن المومياوات بالإشعاعات كان لها دور أساسي في عملية التحنيط وكشف سراً هاما من أسراره . (١)

لعنة الفراعنة

إن لعنة الفراعنة التي أثارت جدلاً بين علماء الآثار والكتاب خلال عدة قرون ، وأجمعوا على نسبتها إلى " السحر " ما هي في الواقع إلا شحن بعض المومياوات التي تسببت في اللعنة بأشعة الموت الخضراء – القاتلة التي تعمل على إصابة من يلمسها أو يقترب منها – كما كانت تشحن بنفس الطريقة بعض متعلقات المومياء من أدوات منزلية أو أدوات الزينة والمصاغ أو التمائم وأقربها ما حدث لسارقي بعض متعلقات توت عنخ أمون وسارقي بعض المومياوات التي اضطر المحتفظون بها إلى إعادتها إلى أماكنها الأصلية أو التخلص منها تخلصاً من اللعنة أو لعنة الفراعنة .

تحتوي المؤلفات التي وضعت عن لعنة الفراعنة – العديد من القصص الأسطورية والتي لا تختلف في نتائجها عن أثر تلك المسروقات على حامليها في إصابة أصحابها بنوع من التسمم الغامض .. ونسبوه إلى سحر الفراعنة .

وقد أعلن بعض الخبراء المصريين أنهم تمكنوا من تسجيل إشعاعات نووية صادرة من بعض الأجسام أثناء مرورهم بقياس الأشعة في قاعة المومياوات بالمتحف المصري . (٢)

بناء الهرم الأكبر والسحرة

أما ما قيل بأن الهرم الأكبر (بيت الله) شاهد على حياة السخرة والعبودية التي كان يحياها المصريون فهذا محض افتراء ؛ ومن يقول

(١) د. سيد كريم " لغز الهرم الأكبر" نهضة مصر للطباعة والنشر ص ٢٠– ٢٣
(٢) نفسه ص ٢٤

بهذا الرأي إنما يريد السير وراء اليهود وتوراتهم التي تصف بناء سليمان للهيكل كان عن طريق تسخير الأمم من غير بني إسرائيل وتعبيدهم .

وسخَّر الملك سليمان مائة وثلاثة وثمانين ألفا وثلاثمائة رجل من أرجاء إسرائيل لبناء الهيكل وهم على النحو التالي : ثلاثون ألف رجل لإحضار الخشب من لبنان ، و" سبعون ألفا من حمَّالي الخشب وثمانون ألفا من قاطعي الحجارة في الجبل ، ما عدا ثلاثة آلف وثلاث مئة من المشرفين على هؤلاء العمال " (ملوك الأول : ٥)

بعد أن أتمَّ سليمان بناء " كل ما رغب فيه في أورشليم وفي لبنان وفي جميع أرجاء سلطنته . أما من تبقى من الأموريين والحثِّيين والفَرِزِّيِّين و الحِوِّيِّين واليَبُوسيين الذين لا ينتمون إلى بيني إسرائيل ، من ذَرَاري الأمم التي عجز الإسرائيليون عن إفنائهم ، فقد فرض عليهم سليمان خدمة التسخِير كالعبيد إلى هذا اليوم . أما أبناء إسرائيل فلم يُسخِّر سليمان منهم أحداً ، لأن منهم كان يتألف جنوده ورجال حاشيته وأمراؤه وضباطه قادة مركباته وفرسانه ، وكان عدد المُوَكَّلِين على الإشراف على خدمة العُمال المُسخَّرين لتنفيذ أعمال سليمان خمس مئة وخمسين رجلاً " (ملوك الأول : ٩)

ويكذب القرآن الكريم هذه الرواية ويبين في جلاء أن الذي بنى له أعماله كان الجن الذي سخره الله تعالى له فهم الذين يعملون له ما يشاء من تماثيل ومبان .

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ

كَـالْجَوَابِ وَقُـدُورٍ رَّاسِـيَاتٍ اعْمَلُـوا آلَ دَاوُودَ شُـكْرًا وَقَلِيـلٌ مِّـنْ عِبَـادِيَ الشَّكُورُ ﴾[سبأ: ١٢ ، ١٣]

جاء في تفسير ابن كثير لقوله تعالى : ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾ أي وسخرنا له الجن يعملون بين يديه {بإذن ربه} أي بقدره وتسخيره لهم بمشيئته، ما يشاء من البنايات وغير ذلك ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ أي ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة {نذقه من عذاب السعير} وهو الحريق، وقوله تعالى: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل﴾ أما المحاريب فهي البناء الحسن وهو أشرف شيء في المسكن وصدره، وقال مجاهد: المحاريب بنيان دون القصور، وقال الضحاك: هي المساجد، وقال قتادة: هي القصور والمساجد " .

أما عن حال المصريين الذين بنوا الهرم فالوضع مختلف لأن بناء الأهرام وغيرها من دور العبادة أُطلق عليها في كتاب التوحيد صفة بيوت الإله وتبعاً للقواعد التي أرسى ايمحوتب تعاليمها ونسبها إلى متون العقيدة أن المساهمة في إقامة تلك البيوت نوع من أنواع العبادة وكان من أركانها إما بالمساهمة بالمال أو العمل في تشييد أو تقديم القرابين والذبائح التي كانت تصرف كتموين وإعاشة للعمال . (١)

فكان العمال والفلاحون يتسابقون طواعية في العمل على قطع الأحجار من المحاجر ونقلها والاشتراك في أعمال البناء تقُرباً للإله الذي يساهمون في بناء بيته.

وقد ذكر بعض مؤرخي عصر الأهرام أن العمل في بناء الهرم الأكبر كان يتوقف في مواسم الحصاد والري والزراعة وكان الفلاحون ينسبون

---

(١) د. سيد كريم " لغز الهرم الأكبر" مرجع سابق ص ٣١

وفرة المحصول في موسم الحصاد إلى إرضاء الإله عما قاموا به نحوه من بواجب العمل في بناء صرحه .

وقبل البدء في بناء الهرم الأكبر قامت الحكومة ببناء مدينة للعمال والفنيين وسوقاً للتموين ومخبزاً ومخازن حفظ القمح وهي تعتبر مدينة عمال بناء الأهرام أول مدينة في تاريخ العمارة وتخطيط المدن تبني بطريقة الإسكان الجاهز أو سابق التجهيز حيث تم توحيد نماذج تصميم المساكن لمختلف طبقات العمال والفنيين بتوحيد الأبعاد القياسية للمساكن وتحديد نماذج الأبواب والشبابيك ووحدات الأسقف وغير ذلك من مختلف وحدات إنشاء المبنى التي يسهل تركيبها عند إقامتها وفكها عند قضاء مهمتها.

وعند الانتهاء من بناء الهرم كوفئ العامل بالتصريح لهم بفك أجزاء مساكنهم السابقة التجهيز ونقلها لإعادة بناء مساكنهم في قراهم وهو ما وصفه مؤرخو عصر الأهرامات بنهضة تعمير القرى وأعياد بنائها وكان العمال يعتبرون تلك البيوت هبة من الإله جزاء مشاركتهم في بناء بيته . فالهرم الأكبر بني :

بعقيدة الإيمان .. لا بالسخرة .

بني كمعبد للإله ومرصد لمخاطبة السماء .. لا مقبرة للموتى .

بني بعلوم المعرفة المتقدمة والتكنولوجيا .. لا بالتعاويذ والسحر (١)

إن تعجب فعجب قول المؤرخين الغربيين ومن شايعهم من العرب والمسلمين الذين يقرون بأن بناء الأهرام كان إعجازاً لا يصدقه عقل ومعجزة تسلب اللب ، وأن " العالم بأسره يخشى الزمن أمَّا الزمن فلا

(١) نفسه ص ٣١-٣٣ .

يخشى غير الأهرام " [١] أنه في خلال فترة وجيزة تحول المصريون البسطاء الذين يبنون بيوتهم الصغيرة بالطين إلى عمالقة تشيد صروحاً لم يشهد لها العالم مثيلاً من قبل ومن بعد ، حتى هؤلاء المصريون عجزوا عن بناء أهرام مثلها على العكس من منطق الأشياء ، الذي يقضي بأن التقدم يسير للإمام.

ومع اعتراف المؤرخين بهذا لا يريدون أن يعترفوا بأن ايمحوتب نبي الله الذي ازدهرت في عصره عقيدة التوحيد الخالص لله هو الذي شيد الهرم الأكبر بعدما أمدَّه الله بالعلوم التي مكنته من ذلك .

والأعجب أنهم يعترفون بان ايمحوتب هو " مصمم – ولا شك – هرم زوسر المدرج بسقارة الذي يعتبر أقدم أثر ضخم في مصر " [٢] وكما أنهم يعترفون بأن الفرق الزمني بين بناء هرم زوسر (المعجز) وهرم خوفو (غاية الإعجاز) لا يزيد إلا نحو نصف قرن بحسابهم . وهو ما يعني أن المُشيِّد واحد .

المصريون القدماء والطب

أما في الطب فقد بدأ التحنيط منذ الأسرة الثانية ، وكان الأطباء متخصصين : أعين ، باطني ، أسنان ، وكانت هناك كتب طبية منذ الأسرة الخامسة المعلومات فيها مرتبة ترتيباً علمياً منطقياً حيث فحص مؤلفها الجسم الإنساني من الرأس إلى القدمين ، ورتب مادتها ، وقد دون بها عشر حالات عن الجمجمة وتسعاً عن الأنف وعشراً عن الفك والأذن والشفتين وستاً عن الزور والرقبة وخمساً عن الترقوة والكتف ومشط الكتف وستاً عن الصدر ومقدمته ، وواحداً عن العمود الفقري [٣]

---

(١) د. إيفار ليسنر " الماضي الحي " ترجمة شاكر إبراهيم . الهيئة العامة للكتاب .ص ٦٠ .
(٢) نفسه ص ٥١ .
(٣) أحمد حسين " موسوعة تاريخ مصر " ج١ص٦٥ دار الشعب

وفي جميع أنواع العلاج التي استخدمها الطب المصري كانت طبيعية لا أثر فيها لمواد كيماوية فقد كان يعالج عن طريق الحواس السبع بعد إضافة حاستي : الروح والقلب للخمسة المعروفة كالتالي : الأعشاب الطبية عن طريق الفم (التذوق) وكان يتعرف عليها عن طريق " بندول ، وبعض أنواع العصي وغير ذلك من الأدوات اللازمة وكلها لها خاصية عدم الثبات والقدرة على الحركة حتى تسجل وترصد أي تغيير في المجال فيتحرك الجهاز أو الأداة " (١) والألوان للعين (البصر) والروائح للأنف (الشم) ، وإبرة حورس السحرية (اللمس) التي عرفت فيما بعد باسم الإبر الصينية ، الموسيقا للأذن (السمع) بالإضافة إلى الإشكال الهندسية لتقوية المناعة التي عرفت بعد ذلك باسم البيوجومتري أو علم هندسة الطاقة ، كل هذا إلى جانب علاج حاستي : القلب والروح اللذان كان يتم علاجهما عن طريق الصلاة والدعاء ولذكر والعبادة ...

والمصري عندما يتعامل مع عناصر الطبيعة ، وما بها من حيوان أو طير ، أو نبات يتعامل معه تعامله مع كائن له روح وإحساس ، يتعامل معه تعامل المحب المتعاون ، لا السيد القاهر ، فهو يعلم أنها مخلوقات لله مثله وفقاً لقانون " ماعت " كما سبق ذكره .

وبإيمان الإنسان وعمله الصالح ينضم إلى العابدين الساجدين لله من خلقه ، أما من أبى واستكبر وكان من الكافرين فقد انضم إلى إبليس ولي العاصين لله ، وحق عليه العذاب في الآخرة والشقاء في الدنيا ، فمن أعزه الله عز ، ومن أهانه فما له من مكرم.

---

(١) د. إبراهيم كريم في حوار معه أجرته مجلة أكتوبر ونشر في العدد ١١٦٨ الأحد ١٤ مارس ١٩٩٩ ص ٥٠.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاء﴾ [الحج : ١٨]

ولقد قام د. إبراهيم كريم (١) مستشار العمارة وصاحب علم بيو-جيومتري الجديد ونجل د. سيد كريم بالاستفادة من علوم الفراعنة وقد حقق إنجازات عظيمة شهد العالم كله له بها وقد توصل إلى " استخدام الزوايا بأشكالها المختلفة في علاج الأمراض ، فكل مجموعة يناسبها زاوية بمقدار معين ، وإن هذا العلم موجود منذ بداية وجود الإنسان على الأرض والباحث المتأمل سوف يرى أن الإنسان الأول قد عرف هذا العلم واستغله ودونه على بعض الآثار المختلفة " (٢)

ويكشف لنا هذا العلم لغز اهتمام الحضارة المصرية بالصور والرسومات المختلفة والتي ظن الناس خطا أنها معبودات عبدها المصري القديم ولكنها في الحقيقة ما هي إلا قوة مكنته من التعامل مع الأشياء .

ويؤكد د. إبراهيم على معرفة المصريين القدماء لعلم الإحساس بالإشعاع أو الموجة الذاتية (راديستيزيا) فيقول :" قد عرف الطب الفرعوني فوائد القياس الذبذبي خصوصا في جراحات المخ وفتح

---

(١) د. إبراهيم كريم حاصل على شهادة أكسفورد وكامبردج متروكوليشن ، ودرس الهندسة المعمارية في معهد التكنولوجيا في زيورخ وحصل على البكالوريوس عام ١٩٦٧م ثم على الدكتوراه في العلوم عام ١٩٧٥، رئيس لجنة تأثير الأشكال الهندسية على الوظائف الحيوية التابعة للمركز القومي للبحوث ، وصاحب براءة اختراع الأشكال الهندسية

(٢) د. إبراهيم كريم في حوار معه أجرته مجلة أكتوبر ونشر في العدد ١١٦٨ الأحد ١٤ مارس ١٩٩٩ ص ٤٩.

الجمجمة ، فكان الطبيب المصري القديم يستخدم القياس الذبذبي لتحديد مكان الورم ثم يفتح الجراح فتحة صغيرة ويزيله من خلالها وهذا التكنيك ثابت في أوراق البردي المختلفة " [١] .

فوائد صحية للعبادة

والنظرية الجديدة التي يقدمها د. إبراهيم كريم تؤكد أن مصدر هذا العلم إلهي وليس بشري أن الله تعالى قد جعل في العبادة التي فرضها على عباده فوائد صحية عظيمة كشفها علم (الرادويستيزيا) فقد كشف بعض أسرار الوضوء والصلاة يقول د. إبراهيم كريم " إن الطاقة الذبذبية تتجمع وتختزن في مناطق دهون الإنسان .. لماذا ؟ لأن الدهون عازلة تعزل ما في داخل الجسم عن الرنين ، وتتجمع فوقها أيضا الطاقة الذبذبية التي علقت بالإنسان خلال الحياة اليومية . وعند الوضوء ، وعند غسل مناطق الوضوء وهي تلك الأجزاء الظاهرة من جسم الإنسان التي تتعرض للطاقة الذبذبية الصادرة عن الآخرين والأشياء ، فإن هذه الذبذبة تسقط مع ماء الوضوء وهذا هو أحد أسرار الوضوء في تأهيل الإنسان للتركيز في الصلاة . أما عن الصلاة فإن الإنسان يضبط رنينه الخاص على أماكن العبادة التي يتوجه إليها مثل القبلة والكعبة."[٢]

كما أن للدكتور إبراهيم كريم رؤية خاصة عن أسرار الذكر وأسماء الله الحسنى وما لها من طاقة ومجالات ذبذبية هائلة ، كما أنه يستغل هذا العلم في بناء منازل ومبان بزوايا هندسية معينة ترفع من مستوى الطاقة عند الإنسان أو زوايا تزيد الطاقة الروحية أو درجة الشفافية الروحية عند بناء أماكن العبادة .

---

(١) نفسه ص ٥١ .
(٢) نفسه ص ٥١ .

الحياة الاجتماعية للمصريين القدماء

تكلما عن الحياة الدينية ، والعلمية عند الفراعنة ولم يبق إلا الحديث عن الحياة الاجتماعية عندهم :

كان المصريون في عهد القديمة يؤلفون طبقتين : الطبقة الحاكمة وطبقية الشعب .وتتألف الطبقة الحاكمة مكونة من الفرعون وآله (أي أهله) وملئه وهم الكهنة والوزراء وكبار رجال الدولة وهم قلة في المجتمع .

أما طبقة الشعب فكانت تتكون من صغار موظفي الدولة والفلاحين والعمال والتجار والصناع وكان وضعهم التالي .

الفلاحون : كانوا يمثلون معظم السكان وهم مرتبطون بالأرض ويشتغلون بالفلاحة وبالخدمة في الأراضي الملكية وضياع الأمراء وعظماء الدولة .

العمال وهم دون الفلاحين في العدد ويعملون في البناء والتشييد وصناعة الأدوات والحياكة وغيرها من الحرف التي لا يستغنى عنها مجتمع متحضر.

أما بقية المهن كالتجار والصيادين والجنود النظاميين فنسبتهم قليلة إذا قيست بالفلاحين والعمال .

والذي يهمنا أن جميع أفراد الطبقة الشعبية كانت سعيدة بعملها " فليس من شك في أنها تعبر عن المثل الأعلى في إدراك ألي الأمر معنى معاملة الأتباع بالحسنى والعدل . ويبدو في كثير من مناظر الحقول والمصانع المصورة على جدران المقابر أم ذلك كان عملاً ساراً بهيجاً ، كثيرا ما تصحبه النكات المتبادلة .. وكثيراً ما يقترن بالأنغام

الموسيقية إذ أن أولي الأمر كانوا بطبيعتهم يميلون إلى المرح والسرور والتنعم بأكبر قسط من متع الحياة ، وكانوا يحبون أن يروا بيئتهم سارة بهيجة وليس هناك على كل حال مجال للقول بأن هؤلاء الأتباع كانوا يستغلون استغلالا سيئا خاليا من الرحمة .

كما أنه لا مجال للقول كذلك بأن المصريين كانوا فريقين : أغنياء ينغمسون في متع الحياة ، وعامة الشعب الذين أضر بهم شظف العيش وقسوة الحياة ، فإنه لا أساس لما يذهب إليه الكثيرون من أن عهد الدولة القديمة كان عهد ظلم واستبداد لمصلحة الملك ومصلحة الدولة استعبد فيه آلاف من أفراد الشعب في بناء الأهرام والمباني الضخمة . ليس هناك دليل واحد يمكن الاعتماد عليه للأخذ بهذا الرأي . على أن هذه المباني الضخمة تدل على نقيض ذلك وما تدل عليه من حسن تنظيم وإدارة يمكن أن تشير إلى نقيض ذلك ، ويدعم ذلك ما تمثله سائر الفنون وصناعات ذلك العصر من حضارة راقية تكفي للتدليل على انتفاء أي وظلم واستعباد وقع على أصحاب هذه الحضارة " [١] إن ما قدمته مصر للعالم في مختلف علوم التشريع وقوانين المجتمع وحقوق المرأة كذلك في علوم الري والزراعة ومختلف الحرف والصناعات وفنون الحياة ، كذلك في الرياضة وألعابها القديم منها والحديث وقد خرجت كلها من مصر ، لا تقل أي منها أهمية عما قدمته الحضارة المصرية من أسس وعراقة في علوم الطب والفلك والعمارة"[٢]

---

(١) د. نجيب ميخائيل إبراهيم " مصر " ص ١٩١ مؤسسة المطوعات الحديثة الطبعة الثالثة .
(٢) د. سيد كريم " لغز الحضارة المصرية " مرجع سابق ص ٣٨٦

رؤية إسلامية للحضارة المصرية

إن التفسير الديني الذي تبنيناه هو ما يحل لنا ألغاز الحضارة المصرية وهي :

١- كيف ظهرت الحضارة المصرية القديمة متكاملة ومتطورة في جميع عناصر مقوماتها ، ولم تخضع لسنة النشوء والارتقاء كغيرها من الحضارات الأخرى .

٢- بلوغها الغاية في علوم الفلك والطب والكيمياء والهندسة والزراعة والفنون والآداب .

٣- بلوغها الغاية في الأخلاق الحسنة التي لا تقتصر على معاملة الناس بالخلق الحسن بل الحيوان والطير وكل خلق الله كذلك .

٤- معرفتها لدين الله الحق عقيدة اشتملت على أسرار الوجود والإيمان بالإله الخالق ، وشريعة نظمت حياة المجتمع .

٥- التبشير بهذه العقيدة بين شعوب العالم مما مهد طريق الحضارة لكل شعوب العالم فما من حضارة من الحضارات إلا واقتفى أثر الحضارة المصرية القديمة ، كل على قدر علمه وجهده .

٥- لغز بناء الهرم الأكبر ، وتوحيد مينا ، إخناتون ، وعبقرية ايمحوتب.

تحوت . وهرمس . وإدريس ثلاثة أسماء لمسمى واحد

لقد فجرت الحضارة المصرية القديمة أول ثورة ثقافية جمعت بين العقيدة والمعرفة أو بين الدين والعلوم منذ فجر التاريخ وتشابكت جذورها فلم ينفصل أحدهما عن الآخر . لذا فقد أطلقوا على العلوم اسم المعرفة

المقدسة نسبوا كل شيء إلى الخالق عندما كانوا أول من آمن بوجوده فارتبطت المعرفة وعلومها بالسماء فنبتت جذورها في المعابد وأصبحت ضمن مقدساتها . لم تخضع لمبدأ التجارب والخضوع لسنة النشوء والتطور بل خرجت إلى النور متكاملة يعززها البحث العلمي الذي فنسبوها إلى المعبود " تحوت " المعروف عند اليونان باسم هرمس المثلث بالنبوة والحكمة والملك ، وأكثر العلماء المسلمين يجمعون على أن هرمس هو سيدنا إدريس عليه السلام .

يقول الإمام المناوي " قال ابن فضل اللّه: كان إدريس يسمى هرمس المثلث كان نبياً وحكيماً وملكاً ووزيراً. قال أبو معشر: هو أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية وأول من عمل الكيمياء وأول من بنى الهياكل ومجد اللّه فيها وأول من نظر في الطب وتكلم فيه وأنذر بالطوفان وكان يسكن صعيد مصر فبنى هناك الأهرام والبرابي وصور فيها جميع الصناعات وأشار إلى صفات العلوم لمن بعده حرصاً منها على تخليدها بعده وخيفة أن يذهب رسمها من العالم وأنزل اللّه عليه ثلاثين صحيفة ثم رفعه مكاناً عليا "[١]

وهذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على كلام المؤرخين على تحوت .

يقول الشهرستاني في " الملل والنحل "

" حِكَم هرمس العظيم المحمودة آثاره، المرضية أقواله وأفعاله، الذي يعد من الأنبياء الكبار، ويقال : هو إدريس النبي عليه السلام، وهو الذي وضع أسامي البروج والكواكب السيارة، ورتبها في بيوتها، وأثبت لها الشرف والوبال ، والأوج، والحضيض."[٢]

---

(١) الإمام المناوي " فيض القدير شرح الجامع الصغير " الجزء الثالث تابع حرف الهمزة

(٢) الملل والنحل للشهرستاني الجزء الثاني الباب الأول الفصل الثاني أصحاب الروحانيات .

وقال القنوجي في كتابه أبجدية العلوم :

" إن آدم عليه السلام كان يرسم الخطوط بالبنان، وكان أولاده تتلقاها بوصيته منه، وبعضهم بالقوة القدسية القابلة، وكان أقرب عهد إليه إدريس عليه السلام، فكتب بالقلم واشتهر عنه من العلوم ما لم يشتهر عن غيره، ولقب بهرمس الهرامسة والمثلث بالنعمة لأنه كان نبيا ملكا حكيما.

وجميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عنه ، في قول كثير من العلماء، وهو هرمس الأول ، أعني إدريس بن يرد بن مهلايل بن أنوش بن شيث ابن آدم عليه السلام المتمكن بصعيد مصر الأعلى"(٢)

ويقول حاجي خليفة في " كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون "

وقالوا: إنه أول من تكلم في الأجرام العلوية، والحركات النجومية، وأول من بنى الهياكل، وعبد الله – تعالى – فيها، وأول من نظر في الطب، وألف لأهل زمانه قصائد في: البسائط، والمركبات، وأنذر بالطوفان، ورأى أن آفة سماوية تلحق الأرض، فخاف ذهاب العلم، فبنى الأهرام التي في صعيد مصر الأعلى، وصور فيها جميع الصناعات والآلات، ورسم صفات العلوم والكمالات، حرصا على تخليدها، ثم كان الطوفان، وانقرض الناس، فلم يبق علم ولا أثر، سوى من في السفينة من البشر، وذلك مذهب جميع الناس، إلا المجوس، فإنهم لا يقولون بعموم الطوفان، ثم أخذ يتدرج الاستئناف والإعادة، فعاد ما اندرس من

(٢) أبجد العلوم للقنوجي ج١ / ص ١٦٤

العلم إلى ما كان عليه من الفضل والزيادة، فأصبح مؤسس البنيان، مشيد الأركان،لا زال مؤيدا بالملة الإسلامية، إلى يوم الحشر والميزان.(١)

إذن " تحوت " الذي حيَّر كل المؤرخين بما جاء به من العلوم المقدسة والتي تعد أساس كل معرفة عرفها البشر ما هو إلا نبي الله إدريس المصري الأصل ، وما العلوم المعجزة التي جاء بها إلا عطاء الله تعالى للبشرية لتعينهم على إصلاح الأرض بالعلم النافع والعمل الصالح ، ويشكروا الله تعالى عليها وعلى نعمه التي لا تعد ولا تحصى ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾

[النحل ١٨– ٢٢]

وهذا ما يؤكده " ساونيرون " فيذكر في كتابه عن أسرار المعرفة المقدسة " أن تحوت ما هو إلا رمز عن الكهنة الذين نزلوا أرض مصر في عهد ما قبل الأسرات وأسسوا معبد آمون " عين شمس " بمعاهده ومرصده الذي أطلق عليه قدماء مؤرخي الإغريق " قلعة المعرفة المقدسة " .

فضل الحضارة المصرية على البشرية

من تلك القلعة خرجت جميع عناصر الحضارة المصرية مقوماتها ومنجزاتها في مختلف علوم الحياة وفنونها وآدابها ، وأسرار العقيدة وتشاريعها ونظمها .

([1]) الحاجي خليفة " كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون " ج١ ص ٢٧ .

في مجال الثقافة : أنزل " تحوت " (سيدنا إدريس) الحرف والكلمة والنطق وأسماء الأشياء جميعها وعلم الإنسان الكتابة والقراءة ليقرأ تعاليم الآلهة وينعم بالحكمة والمعرفة .

فكانت الكتابة الهيروغليفية (النقش المقدس) التي دونوا بها كتابهم المقدس ثم مختلف الخطوط الهيراطيقية والديموطيقية التي دونوا بها آدابهم وفنونهم ومختلف علوم الحياة .

وبنزول الكتابة ابتكر المصري القديم الورق ذلك الابتكار الحضاري الفذ قوام الحضارات جميعها ، ومازالت تنعم به الإنسانية إلى الآن . صنعوه من البردي (بابي أور) هو الاسم الذي احتفظ به العالم الحديث وأطلقه على الورق في جميع اللغات .

ومع اختراع الورق اخترع المصري القديم القلم الذي صنعه من غاب النيل والحبر من نبات النيلة والفرشاة من الريش لرسم الخطوط الزخرفية والحبر الأحمر والألوان وانتقلت كل منها لتترك بصمات مصر على جميع الحضارات وامتدادها .

وقرأ وسجل ودون .. أول من كتب التاريخ كتبه على الورق والألواح الارتواز والفخار والأحجار الصلبة لإيمانه بحق الأجيال القادمة في حمل رسالة الثقافة .

وأعظم تجربة في نشر الثقافة ومحو ألامية في عهد الفراعنة رسالة الإعجاز التي سجلها التاريخ لإخناتون عندما نادى :

" أول أركان الإيمان بالله هو العلم والجهل كفر " .

وقد ازدهرت جامعة " أون " القديمة بمختلف علوم اللاهوت والفلك والطب والهندسة والرياضيات والزراعة والفنون والآداب في وقت واحد

وفيها نشا أول مذهب ديني لتفسير نشأة الوجود والتوحيد ومنها تخَّرج ايمحوتب وإخناتون وانتسب إليها أكثر الأنبياء والفلاسفة والعلماء الذي وضعوا أسس الحضارة وأنظمة المجتمع للعالم أجمع .

ومنها خرج التقويم الشمسي المربع الذي قسم السنة إلى ٣٦٥ يوما وربع ، كما نسب إليها معجزات العلوم الرياضية الهندسية وعلوم ما وراء الطبيعة التي بنوا فيها الأهرام والتي وقفت تتحدى العصر الالكتروني الحديث الذي مازال يقف حائرا وعاجزا عن تفسير ألغازها أو حل رموز أسرارها .

ومن معبد " أون " خرجت بعثات الكهنة ابتداء من الأسرة الأولى لنشر عقيدة التوحيد في جميع أنحاء الوادي ، وإقامة المعابد ، والمعاهد العلمية التابعة لها لنشر العلم والمعرفة .

وقد استمر معهد " أون " يؤدي رسالته العلمية والحضارية تلك الفترة التي استمرت ما يقرب من ثمانية آلاف عام حتى بداية الغزو الفارسي عندما دخل " قمبيز " مصر عام ٥٢٥ ق.م فحرق معبد " أون " وهدم معاهده ومرصده وحرق وثائقه وأمر بتحطيم بوابات الشمس وجميع مسلات المدينة.

وآخر جامعة في تاريخ الفراعنة جامعة الإسكندرية ومكتبتها المشهورة والتي بنيت ٢٩٦ ق.م في عهد بطليموس ولعبت دورا كبيرا في نقل الحضارة المصرية وعلومها إلى الإغريق والرومان فكانت وسيلة الاتصال المباشر بين مصر وأوربا خصوصا أن التعليم بها كان باللغتين المصرية واليونانية .

ثمار إثبات توحيد المصريين القدماء

قد يسأل سائل : ما الفائدة من إثبات معرفة المصريين للتوحيد ؟

وإثبات نبوة تحوت ، ومينا ، وإخناتون ، وايمحوتب ؟

إن الثمار التي تجنى من إثبات توحيد المصريين القدماء كثيرة وجليلة أهمها :

أولا : إن إثبات توحيد المصريين القدماء لله ، وإثبات نبوة هؤلاء وغيرهم حجة دامغة لعلماء الأديان والآثار والمؤرخين في الغرب بصدق نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فما جاء به أنبياء المصريين من عقيدة وعبادة جاء بها سيدنا محمد في أروع صورها وأتمها و أكملها . (١)

ثانيا : إن إثبات نبوة تحوت ، وإخناتون ، ومينا ، وايمحوتب ، وغيرهم من أنبياء مصر الذين ظهروا إبان الحضارة المصرية القديمة يكشف لنا لغز هذه الحضارة التي عجز كل المؤرخين عن حله ووقفوا إزاءها وقوف قروي ساذج أمام طائرة تحلق بلا طيار . أو بمعنى أدق وقوف اليهود أمام خلق عيسى من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فكان طيراً بإذن الله .

ثالثا : إن إثبات نبوة أنبياء مصر دليل قاطع على أن عقيدة التوحيد هي دين الله الذي جاء به كل الأنبياء من لدن آدم إلى محمد رسول الله ومن أين يتأتى الاختلاف والمرسل واحد تبارك وتعالى .

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن

(١) للمؤلف كتاب مستقل حول هذا الموضوع اسمه " رؤية إسلامية للحضارة الفرعونية " تحت النشر

يُنِيبُ ، وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[الشورى : ١٣ ، ١٤]

أنظر إلى ختام الآية الكريمة التي تفضح أهل الكتاب الذين رفضوا الرسالة الخاتمة وفرقوا بين دعوة الأنبياء رغم أنها واحدة لا اختلاف فيها فكلها من عند الله الواحد الأحد .

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ {١٣٠} إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {١٣١} وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ {١٣٢} أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[البقرة : ١٣٠– ١٣٣]

نعم الإسلام هو دين الله الذي أنزل به كل الأنبياء هو دين آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ولوط ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى وداود وسليمان وأيوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين وعلى من لم يذكرهم الله تعالى في كتابه الكريم من الأنبياء والمرسلين .

وتوحيد المصرين القدماء هو ما يكشف لنا لغز الحضارة المصرية الذي حير كل المؤرخين .

يكشف لنا سر الهرم الأكبر ، والتحنيط ، التقدم المعجز في العلوم : الطب ، الرياضيات ، والهندسة ، والفلك .. والفنون والآداب ..

إذا عرفنا أن امحتب الذي جاء بمعجزات في الطب ، والهندسة ، والبناء ، ومشيد أول هرم " هرم زوسر " المدرج بسقارة . كان نبيّاً من الأنبياء وأن ما جاء به من معجزات كانت بإذن الله .

وأن مينا ما وحد القطرين إلا بتوحيد العقيدة ، وهناك صورة للملك " مينا " وهو عائد من الوضوء ، وخلفه الكاهن الموضِّئ يحمل النعل وإبريق الماء" (١)

كيف انهارت الحضارة المصرية القديمة ؟

لم يكن تاريخ مصر كله تاريخ توحيد لله وإعمار لكونه فقد تعرضت مصر لفترات ضعف للعقيدة وخروج على قانون " ماعت " مما نتج عنه الفوضى والاضطرار والضعف وللانهيار حدث هذا مع نهاية الأسرة السادسة – كما سبق أن ذكرنا – حين انفلت زمام الحكم من يد الفرعون ، وساد الانحلال والتفكك الاجتماعي ، وشبت نيران الحرب الأهلية حوالي ٢٢٠٠ ق.م إلى أن جاء منتوحتب الثاني أمير طيبة سنة ٢٠٦٥ ونجح في توطيد النظام واستتباب الأمن ، ثم وهب الله تعالى مصر رجلاً عظيماً هو امنمحات الأول صحاب الفضل الأكبر في بناء النهضة التي ظهرت في أيام العصور الوسطي ، ولقد أعلن نفسه مخلصاً بواسطة نبوءة ، وكان من أتباع " أمون " (الذي لا تدركه الأبصار) وتعاقب من بعد امنمحات الأول سبعة ملوك نهضت البلاد في أيامهم نهضة شاملة ، وتمتعت بقسط كبير من الرخاء والعمران ، وخاصة في عهدي سنوسرت الثالث ، امنمحات الثالث، وكانت نهاية الدولة الوسطى إلى حد كبير شبيهة بختام أيام الدولة القديمة ، إذ خلف

(١) انظر كتاب " ليسوا آلهة " ص ٢٦٨ .

امنمحات الثالث ملوك ضعاف تلاشى على أيديهم نفوذ فرعون مصر تماماً فكان ذلك نذيراً بانتهاء أيام تلك النهضة ، ودخول مصر مرة ثانية في عصر الفوضى والظلام .

وبسقوط عقيدة التوحيد مع نهاية الدولة الوسطى حوالي ١٧٧٥ ق.م كثر تطلع كبار الموظفين وقواد الجيش وكل ذي سطوة إلى العرش ، ما كاد يجلس أحدهم عليه قليلاً حتى يقتله أو يخلفه آخر ليحل محله ، ونتج عن ذلك أن تعددت المؤامرات ، واضطرب الأمن وتسرب الفساد إلى كل مرافق الحياة ، وكانت النتيجة الحتمية لاضطراب أحوال البلاد وتفككها وضعف حكومتها أن سقطت فريسة حوالي ١٧٢٥ ق.م في يد القبائل الرعوية التي كانت تسكن فلسطين والتي أطلق عليها الهكسوس ، وبعد قرن من احتلال الهكسوس مصر استطاع أحمس أن يطردهم من مصر ، ويعيد إلى مصر نهضتها ، ولكن ختمت الدولة الحديثة أيامها حين تلاشت سلطة الفرعون تماماً وولت أيام العظمة وتكالبت العلل على مصر وبدأ عهد مظلم طويل كان فصل الختام في التاريخ الفرعوني ، ويعِّرفه المؤرخون اصطلاحاً باسم العصر المتأخر ، الذي كان عصر ضعف واحتلال أجنبي .(١)

وبرغم عصور الظلام التي عاشتها مصر بعد سقوط العصر المصري القديم حتى أشرق عليها نور الإسلام إلا أن الحضارة المصرية التي قامت على أرضها تظل خالدة وشاهدة على أصالتها ، وعلى نشأتها الدينية السماوية ؛ فلم يكن قبل المصريين من ينقلوا عنه أو يقلدونه بل خلقوا تلك الحضارة خلقاً وأنشئوها معتمدين على الإيمان بالله الواحد

(١) د. على رضوان " مصر القديمة " مرجع سابق ص ١١، ١٢

الأحد ، وعلى ما جاء به أنبياؤهم من علوم مقدسة ، ولقد تميزت تلك الحضارة أيضاً باستمرارها عدة آلاف من السنين راسخة ثابتة الأركان والأوصال .

كما تميزت تلك الحضارة بتأثيرها على العالم القديم بما نشرته من نور المعرفة والعلم حتى نقل الإغريق عنها الكثير ، والذين قاموا بدورهم بالتأثير على النهضة الأوربية الحالية ، وأخيراً تميزت الحضارة المصرية بما تركته من آثار ، وبما احتفظت به من روائع الصناعات والفنون التي تملأ متاحف العالم شاهدة بما بلغه المصريون القدماء من تقدم وما أحرزوه من نجاح . (١)

ونخلص من دراستنا للحضارة المصرية القديمة إلى أنها قامت على أسس هي :

١- العقيدة الخالصة لله تعالى . هي مفتاح كل خير .

٢- وجوب الإيمان بأنبياء الله والعمل بما جاءوا به من هدى .

٣- لا حضارة بغير إيمان بدين الله الحق واتباع شرعه .

٤- مقياس العمل النافع يكون بمدى ملاءمته لطبيعة الإنسان ولنظام الكون .

٥- التعاون بين سائر المخلوقات ضرورة لصالح كل الكائنات .

٦- انتشار العدل والمحبة أعظم دافع للعمل المثمر البناء .

٧- إتقان العمل وإخلاصه يكون لوجه الله وليس غير .

---

(١) نفسه ص ١٢ .

٨- وجوب حب الطبيعة وما بها من كائنات ، والتعاون معها لا إفسادها .

٩- شريعة الله لا تتعارض مع نظام الكون ولا مع طبيعة الإنسان .

١٠- الحضارة المصرية القديمة بدأت كاملة لأنها بنيت على شرع الله.

***

حقيقة فرعون

عرفنا في الفصول السابقة أن المصريين كانوا موحدين بل أول الشعوب الموحدة ، وأنهم بنوا أول حضارة عرفتها البشرية بالعلوم المقدسة التي جاء بها أنبياء الله ورسله، ولكن بقي بيان السبب في هذا الخطأ الذي وقع فيه أصحاب الأديان السماوية وعلماء الحضارة والمؤرخون في وسم المصريين القدماء بميسم الكفر والطغيان إنه فرعون الطاغية المتأله الذي جاء ذكره في الأديان السماوية مقروناً بالكفر والطغيان .

ويكاد يجمع مؤرخو الحضارة المصريَّة القديمة والكتَّاب والمثقفون علي أن كلمة "فرعون" لقب لكلِّ ملوك مصر القدماء مثل الألقاب التي أطلقتها الأمم على حكامها: ملك ، إمبراطور ، نجاشي ، خليفة ، والي، سلطان ، أمير ، خديو ، رئيس ...

الفرق بين الاسم واللقب

من المعروف أنه إذا ذكر لقب لا بد من تحديد اسم صاحبه من بين من حملوا هذا اللقب حتى لا يلتبس على الإنسان أي ملك مقصود إلا إذا كان الإنسان معاصراً لهذا الملك فلا يذكر اسم الملك لمعرفة الناس باسمه ، أو إذا لم يشتهر من الملوك الذين حملوا هذا اللقب غير واحد منهم بحيث إذا أطلق اللقب قصد به شخص بعينه.

وعلى ذلك لا يصحُّ أن تقول فتح الوالي مصرَ في عهد الخليفة بعد انتهاء خلافة عمر بن الخطاب وتولِّي غيره إنما يجب عليك أن تقول فتح الوالي عمرو بن العاص مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب.

أما الاسم العَلَم : فهو كلُّ عَلَم وضع للدلالة على ذات معيَّنة ، سواء أكان مفرداً، أم مركباً . مثل : محمد ، فاطمة ، مكة ، سيبويه ، حضرموت ، صلاح الدين ...

فرعون اسم أم لقب ؟

نأتي بعد ذلك إلى كلمة فرعون لبيان ما إذا كانت اسماً عَلَماً أم لقباً .

جاء في المعجم الوسيط " فِرْعَوْنُ : لقبُ مَلِكِ مِصْرَ في التاريخ القديم، وأصله بالمصرية [يَرْعو] بغير نون ، ومعناه : البيتُ العظيم و : لَقَبُ كلِّ عاتٍ . والجمع : فراعِنَة .

وقيل : دُروعٌ فِرعونيَّة : نسبة إلى فرعون. (١)

ولقد جارَى المعجم الوسيط في معنى " فرعون " الشائع بين المؤرِّخين ، وتجاهل تماماً المعنى المستخدم في الكتب المقدَّسة ، كما أغفل ما جاء في معجم " لسان العرب " الذي يعتمد دائماً عليه في بيان معاني الكلمات .

جاء في لسان العرب لابن منظور : وفرعون الذي ذكره الله تعالى في كتابه تُرك صرفه في قول بعضهم لأَنه لا سَمِيَّ له كإِبليس فيمن أَخذه من أَبْلَسَ قال ابن سيده وعندي أَن فرعون هذا العَلَم أَعجميٌّ ولذلك لم يصرف.(٢)

---

(١) مجمع اللغة العربية " المعجم الوسيط " الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٣ ص ٧٠٩ ، ٧١٠

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ١٣ ص ٣٢٣ .

ولقد استخدمت الكتب المقدسة – كما سيأتي تفصيله – كلمة " فرعون " كما قال ابن سيده كعَلَم أعجمي وليس كلقب .

ومع الأسف أن كلمة " فرعون " قد شاع خطأً أنها لقب لكلِّ حكام مصر القديمة ومن كثرة تكرار هذه المعلومة – الخاطئة – تقررت وأصبحت من المسلَّمات التي لا يفكِّر أحد في مناقشتها أو التعرَّض لها ، ووُصِفَت الحضارة المصريَّة بالحضارة الفرعونيَّة ، ووُصِفَ المصريون بالفراعنة ، ولقد استضافني أحد المذيعين في لقاء تليفزيوني في قناة النيل الثقافيَّة ، وفوجئ المذيع بقولي الحضارة المصريَّة القديمة بدلاً من الحضارة الفرعونيَّة، واعترف أنه أوَّلُ مرَّة يعرف هذه المعلومة !

يقول العقاد : " " خَلَطَ العامةُ من المسلمين بين اسم الفراعنة واسم قدماء المصريين ، أو ظنهم أن كل فرعون هو فرعون موسى بالكفر والطغيان في سور القرآن . فأصبح اسم قدماء المصريين مرادفاً عندهم لاسم فرعون المنبوذ في كتاب الله ، وأصبحت سلالة هذا الجنس في وهمهم رجساً غير مستغرب فيه قدح قادح ولا منتظر فيه دفاع مدافع ، ومن ذا الذي يدافع عن فرعون وآل فرعون ؟ (١)

فرعون في القرآن الكريم

وجرياً على المنهج الذي اتَّبعناه – في كتبنا السابقة – في محاولة فهم الحضارة المصريَّة القديمة أننا ندرسها في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحية أولاً ثم الاسترشاد بالتوراة والإنجيل ثانياً ؛ فإننا نقول إن كلمة " فرعون " قد ذكرت (٧٤ مرة) في القرآن الكريم (٢) وجميعها تتكلَّم عن فرعون ملك مصر زمن موسى عليه السلام فقط ، ولم تذكر

(١) العقاد " سعد زغلول " دار الكتاب اللبناني بيروت ص ٢٠
(٢) محمد عبد الباقي " المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم " دار الحديث ص ٥١٥ ، ٥١٦.

قط كلمة فرعون في القرآن الكريم إلا قصد بها هذا الملك الطاغية المتألِّه ، كما أن كلمة " فرعون " لم تأت إلا مفردة "فرعون" ولم تجمع قط في القرآن الكريم "فراعنة" ، كما أنها لم تعرَّف أبداً بـ " أل ، أو الإضافة " كأيِّ لقب فلم يذكر ولو مرة واحدة " الفرعون " ، أو " فرعون مصر " أو " فرعون موسى " كما يقال مع أيِّ لقب آخر : الملك ، أو ملك مصر أو الملك فاروق ، أو الإمبراطور أو إمبراطور اليابان ، أو كسرى بن هرمز ، أو الخليفة عمر بن الخطاب ، أو الخديو إسماعيل ، أو الرئيس عبد الناصر ... وكذلك سائر ألقاب الملوك والحكام وكلُّ هذا يؤكِّد أن كلمة " فرعون " اسم عَلَمٌ على ملك مصر الذي عاصر سيدنا موسى .

وفي المرات الأربع والسبعين التي ذكرت فيها كلمة " فرعون " في القرآن الكريم ذكرت كعَلَمٍ وليس لقباً ، وقد تتبعتُها جميعاً ووضعتُ مكانها اسماً عَلَماً مثل : إبليس ، هتلر ، هولاكو فاستقام المعنى ، ووضعت مكانها جميعاً لقباً مثل : ملك ، إمبراطور ، سلطان ... ففسد المعنى ، ودونك هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر :

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾

[القصص : ٣٨]

فهنا الله تعالى يتكلَّم عن شخص معيَّن ادعى الألوهيَّة ولا يتكلَّم عن شخص ما أو ملك ما ، ومعلوم أنه ليس كلُّ الناس ادعوا الألوهيَّة ، ولا كلُّ ملك قال :" مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي " وأشهر من ادَّعى الألوهيَّة على الإطلاق " فرعون " ملك مصر أيام سيدنا موسى .

﴿ اذهب إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طغى ﴾ [طه : ٢٤]

والخطاب لسيدنا موسى ، والمعروف في كلِّ الديانات السماويَّة أن الله تعالى أرسل سيدنا موسى إلى فرعون ذلك الملك الطاغية المُتألِّه .

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم : ١١]

وامرأة فرعون معروفة بالاسم فقد صرَّح باسمها النبي ﷺ في أحاديث كثيرة منها : " أفضل نساء العالمين خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون "

[حديث صحيح رواه الحاكم في مستدركه]

ويقول تعالى : ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾[العنكبوت : ٣٩]

و" قارون " اسم عَلَم على رجل من قوم موسى قد خسف الله به وبداره الأرض، و" هامان " اسم عَلَم على وزير فرعون ، وكذلك " فرعون " اسم عَلَم على ملك مصر في زمن موسى ، وقارون ، وهامان.

لقد وقعت كلمة فرعون بين عَلَمَيْن ولا يصحُّ لغةً فيها إلا أن تكون عَلَماً مثلهما ولا يمكن بأي حال أن تكون لقباً .

فرعون في السنة النبويّة

فإذا جئنا إلى الأحاديث الشريفة نجد أنها تستخدم كلمة فرعون بمعنى اسم عَلَم على ملك مصر إبان سيدنا موسى كما استخدمها القرآن الكريم.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلاَةَ يَوْمًا فَقَالَ : مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا ؟ كَانَتْ لَهُ نُورًا ، وَبُرْهَانًا ، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ

يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ ، وَلاَ بُرْهَانٌ ، وَلاَ نَجَاةٌ ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ ، وَفِرْعَوْنَ ، وَهَامَانَ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ"

[حديث صحيح أخرجه أحمد]

وكلٌ من ذكرهم النبي ﷺ مع فرعون أسماء أعلام فَلِمَ يستثنى فرعون من أن يكون اسماً عَلَماً مثلهم ؟!!

ويقول النبي ﷺ : " خَلقَ الله يَحيى بنَ زَكريَّا في بَطنِ أُمِّهِ مُؤمِناً، وَخَلقَ فِرعونَ في بَطنِ أُمِّهِ كَافِراً "

[حديث حسن رواه الطبراني في المعجم الكبير]

ولمَّا أَغرقَ اللهُ فِرعونَ قالَ : " آمنتُ أَنَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ الَّذِى آمنتْ بهِ بَنُو إِسرائيلَ ، قالَ جِبريلُ يَا مُحمدُ ! لوْ رَأيتنى وأَنَا آخذٌ منْ حَالِ البَحرِ فأَدسُّهُ فِي فيهِ مَخافةَ أَنْ تُدركهُ الرَّحمةُ"[حديث حسن رواه الترمذي وصححه غيره]

ومن المعروف في التاريخ وفي الكتب السماويَّة أن الذي أغرقه الله من ملوك مصر هو فرعون فقط ، وليس كل ملوك مصر على اعتبار أن كلمة فرعون لقب لكل حكام مصر القديمة !!

عن أبي عثمان عن سلمان قال : " كانت امرأة فرعون تعذَّب بالشمس فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة " [حديث صحيح رواه الحاكم في مستدركه]

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ آسِيَةُ امْرَأَة فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ " [أخرجه البخاري]

وهذه الأحاديث – وغيرها – تؤكد أن فرعون اسم عَلَم وليس لقباً وهو الذي أرسل الله تعالى إليه موسى وهارون لهدايته بعد أن طغى .

﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾

[طه : ٤٢ – ٤٤]

وأن لفرعون هذا زوجة اسمها (آسية بنت مزاحم) وقد عُذِّبت بسبب إيمانها ، فهل كلُّ ملوك مصر كانت أسماء زوجاتهم " آسيا " وعذبن كما عذبت آسيا زوجة فرعون ، وأن الله تعالى أرسل لهم جميعاً سيدنا موسى ، وأنهم جميعاً كذَّبوه ، وطاردوه فضرب بعصاه البحر فنجا هو وبنو إسرائيل وأغرق الله تعالى حكام مصر جميعاً على فرض أن كلمة فرعون لقب لجميع حكام مصر !!

﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾[الشعراء : ٦١– ٦٦]

فهل أغرق الله تعالى كلَّ حكام مصر القدماء نكال الأولى وسوف يعذبهم بالنار نكال الآخرة ؟!!

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾ [النازعات : ٢٥]

أظن أنه لا داعي للإكثار من ضرب المزيد من الأمثلة فالأمر أضحى واضحاً كفلق الصبح .

ملكا مصر في عصر إبراهيم . ويوسف عليهما السلام

لقد ذكر الله تعالى كلمة " ملك " خمس مرات عند حديثه تعالى عن ملك مصر إبان زمن يوسف عليه السلام ، ولو كانت كلمة " فرعون "

لقباً لذكرها الله تعالى ولو مرة واحدة على هذا الملك أو غيره من الملوك الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز .

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ... ﴾ [يوسف : ٤٣]

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ... ﴾ [يوسف : ٥٠]

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ... ﴾ [يوسف : ٥٤]

﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ... ﴾

[يوسف : ٧٢]

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ... ﴾[يوسف : ٧٦]

كما أطلق النبي ﷺ على ملك مصر الذي أراد اغتصاب سارة زوجة إبراهيم عليه السلام لقب جبار ولم يطلق عليه لقب فرعون .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلام قَطُّ إِلا ثَلاثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ قَوْلُهُ ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ وَقَوْلُهُ {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا}وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ فَقَالَ لَهَا إِنَّ هَذَا **الْجَبَّارَ** إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الإِسْلامِ فَإِنِّي لا أَعْلَمُ فِي الأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ **أَهْلِ الْجَبَّارِ** أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلا لَكَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام إِلَى الصَّلاةِ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً فَقَالَ لَهَا ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلا أَضُرُّكِ فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنْ الْقَبْضَةِ الأُولَى فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ

أَشَدَّ مِنْ الْقَبْضَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ فَقَالَ ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكِ اللَّهَ أَنْ لا أَضُرَّكِ فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي وَأَعْطِهَا هَاجَرَ قَالَ فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام انْصَرَفَ فَقَالَ لَهَا مَهْيَمْ قَالَتْ خَيْرًا كَفَّ اللَّهُ **يَدَ الْفَاجِرِ** وَأَخْدَمَ خَادِمًا " [متفق عليه]

ولقد ذكر النبي ﷺ لقب جبار مرتين ، وفاجر مرة في هذا الحديث ولم يذكر لقب فرعون والتوراة تنص على أن هذه الحادثة وقعت في مصر ومع ملكها .

وفي رواية أخرى " عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ " أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ لَمْ يَكْذِبْ قَطُّ إِلاَّ ثَلاَثًا ثِنْتَانِ فِى ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى قَوْلُهُ (إِنِّى سَقِيمٌ) وَقَوْلُهُ (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) وَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ فِى أَرْضٍ **جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ** إِذْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَأُتِىَ **الْجَبَّارُ** فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ نَزَلَ هَا هُنَا رَجُلٌ مَعَهُ امْرَأَةٌ هِىَ أَحْسَنُ النَّاسِ قَالَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَقَالَ إِنَّهَا أُخْتِى. فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهَا قَالَ إِنَّ هَذَا سَأَلَنِى عَنْكِ فَأَنْبَأْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِى وَإِنَّهُ لَيْسَ الْيَوْمَ مُسْلِمٌ غَيْرِى وَغَيْرُكِ وَإِنَّكِ أُخْتِى فِى كِتَابِ اللَّهِ فَلاَ تُكَذِّبِينِى عِنْدَهُ " [صححه الألباني]

ولم يقل النبي ﷺ أن الذي أراد اغتصاب سارة فرعون من الفراعنة إنما قال جبار من الجبابرة .

رأي علماء المصريات في كلمة " فرعون "

وقد يقول قائل إن الذين كانوا يحكمون مصر في عهد سيدنا يوسف هم الهكسوس ، والهكسوس كان لقب حاكمهم " ملك " بعكس المصريين الذين كان لقب ملكهم " فرعون " ولبيان هذا الأمر لا بد من الاحتكام إلى رأي المتخصِّصين في علم المصريات .

يقول الدكتور زاهي حواس وزير الدولة لشئون الآثار المصرية ومدير آثار الجيزة الأسبق : " وهنا يجب أن نفسِّر معني كلمة " فرعون " لأننا نستخدمها في بعض الأحيان دون معرفة معناها بل ونحاول أن نشير إلي أن كلمة "فرعون" تعني الطاغي أو الظالم وذلك من خلال قراءة الكتب السماويَّة خاصة القرآن الكريم في قصة موسي عليه السلام، و" الفرعون " الذي طغي وقد جعلَنَا هذا نعتقد أن كلَّ الفراعنة طغاة وجعل البعض ينظر إلي الآثار كأنها أصنام لأنها من صنع الطغاة .

وهنا يجب أن نشير إلي أن اسم " فرعون " ينسب إلي الاسم المصري القديم (بر– عا) بمعني(المنزل العظيم) وهذا الاسم عرف فقط وارتبط بالفرعون منذ عصر الدولة الحديثة أي منذ حوالي١٥٥٠ ق.م. وقد حُرِّف الاسم بالعبريَّة إلي "فرعو" ثم بالعربيَّة إلي " فرعون " وبالتالي فإن الاسم يعني الملك الذي يعيش في القصر العظيم وقد عرف حكام مصر قبل الدولة الحديثة باسم " ملك " وبعد الدولة الحديثة باسم " فرعون ".

وتظهر عظمة القرآن الكريم في قصة سيدنا يوسف حيث لم تذكر القصة كلمة فرعون لأن الحادثة وقعت قبل الدولة الحديثة. أما قصة سيدنا موسي فقد حدثت عندما كان الملك يطلق عليه اسم فرعون ." ()

إذن ووفقاً لكلام علماء المصريات لم تظهر كلمة "فرعون" إلا في الدولة الحديثة ولم تكن كلمة "فرعون" معرفة في زمن الدولتين : القديمة والوسطى ، ولم تُعرف كلمة "فرعون" إلا زمن الدولة الحديثة فقط

---

(١) د. زاهي حواس في جريدة الأخبار الصادرة بتاريخ ٢٠٠٥/١٢/١٠م

أي منذ حوالي ١٥٥٠ ق.م بتقدير د.زاهي حواس وينزل أصحاب معجم الحضارة المصريَّة بظهور كلمة "فرعون" إلى ألف سنة قبل الميلاد فقط.

فقد جاء في معجم الحضارة المصريَّة " فرعون : لم يستعمل هذا اللقب الذي يوحي إلينا بشخصيَّة ذات عظمة ومجد من غابر الأزمنة ، إلا في الألف سنة الأولى ق. م كلقب للملك عندما أنجزت مصر ما أراده لها القَدَر ، ولم يعد ملوكها يبهرون الدنيا بأعمالهم كأسلافهم الذين حكموا أيام عظمتها نقلنا كلمة " فرعون " عن لفظ حقيقي رسمي في التوراة وهي مشتقة من اللفظ المصري " برعا " أي " البيت العالي " التي بعد استعمالها للقصر استعملت لصاحبه . غير أن لقب فرعون لم يستعمل في أي وقت من التاريخ كلقب حقيقي رسمي لملك . (١)

دراسة أثرية حديثة تكشف عن اسم فرعون موسي

وبعد أن توصلنا إلى ما ذكرناه حول حقيقة فرعون فوجئت بنشر جريدة الأهرام دراسة أثرية تؤكد ما توصلنا إليه .

" قال الباحث الأثري أحمد نور الدين، إن هناك العديد من الأدلة في القرآن الكريم والآثار التاريخية التي تؤكد أن كلمة "فرعون" في الحضارة المصرية القديمة هي اسم شخص بعينه وليس لقبًا، مشيرًا إلى اعتقاد علماء الآثار أن كلمة "برعا" التي ظهرت في عصر الأسرة الـ١٨ بداية من عصر الملك تحتمس الثالث وتعني البيت الكبير هي لقب وليس اسمًا.

وقال نور الدين – في تصريح لوكالة أنباء الشرق الأوسط اليوم – إنه تم العثور على كلمة (pr c3) وتعنى " برعا " أو " فرعون " داخل

(١) جورج بوزنر ، سيرج سونرون ، جان يويوت ، أ.أ.س إدواردز ، ف.ل. ليونيه ، جان دوريس " معجم الحضارة المصرية القديمة " مرجع سابق ص ٥١ ، ٥٢ .

الخرطوش الملكي في كثير من المعابد، مشيرًا إلى أن الاسم فقط في الحضارة المصرية القديمة هو الذي يكتب داخل الخرطوش، منوها بأنه قام بنشر كافة تلك الآراء والأدلة في كتابه " فرعون موسي وخروج بني إسرائيل " الذي صدر عام ٢٠١١.

وأرجع حدوث هذا الخلط في اعتقاد البعض بأن " فرعون" لقب الحاكم في مصر القديمة وليس اسما، إلى العادة في إطلاق الألقاب على ملوك العالم القديم فعلى سبيل المثال يطلق على ملوك الفرس لقب كسري على الرغم أن من تسمى بذلك هو ملك من ملوكهم ، ثم اعتادوا بعد ذلك على تسمية كل ملك فارس بكسري، كذلك قيصر وهو اللقب الذي أطلق على ملوك الرومان على الرغم من أن أحدهم وأشهرهم قد سمي قيصر « سيسر» ثم أطلق اللقب بعد ذلك على الملوك الرومان وأصبحوا (قياصرة) وهو نفس الأمر بالنسبة لملوك الحبشة الذين لقبوا بلقب النجاشي علماً بأن أحدهم تسمى بالاسم نفسه هو النجاشي.

وقال إن من الدلائل التي تؤكد أن فرعون اسم وليس لقباً هو أن ملوك مصر القديمة قد اتخذوا ثلاثة ألقاب منذ عهد بداية الأسرات، ثم أضافوا بعد ذلك لقبين آخرين لتصل إلى خمسة ألقاب ليس بينها "برعا"، والألقاب الثلاثة الأولى هي" الحوري" وكان يؤكد صلة الملك بالمعبود حور (حورس) ويجعله وريثاً له وحرص الملوك منذ البداية على كتابة اسمهم الحوري داخل صورة واجهة القصر يعلوه المعبود حورس.

وأضاف أن اللقب الثانى هو "النبتي" وكان يؤكد صلة الملك بالربتين الحاميتين القديمتين نخبت (نخابة) حامية الصعيد (مصر العليا)، والتي رمزوا إليها بأنثى العقاب، وواجة (واچت) حامية الوجه البحري والتي رمزوا إليها بالحية، واللقب الثالث هو "النسوبيتي" وكان يؤكد صلة

الملك بالشعارين المقدسين القديمين (سو) شعار مملكة مصر العليا (الصعيد) وهو نبات البوص أو الخيزران، و(بيتي) وهي النحلة شعار مملكة الوجه البحري أو الدلتا (مصر السفلي) .

وأوضح أن اللقبين الآخرين هما "سارع" وهو اسم أو لقب يعني أن الملك هو ابن لإله الشمس رع، و"حور الذهبي" وهو خامس الألقاب الملكية، مؤكدا أن تلك الألقاب الخمسة هي التي تلقب بها حكام مصر منذ بداية الأسرات وحتى نهاية التاريخ المصري القديم.

وأكد الباحث الأثري أن كلمة (برعا) أو فرعون هي تعريف اصطلاحي إداري كتب في صيغته المصرية بمعنى القصر العظيم أو البيت العالي أو الكبير وربما شاع استخدام لقب برعا فيما بعد ليدل على مكان صنع القرار وهو ما يمكن تشبيهه اليوم بلغة الصحافة مثلاً عن سياسة "البيت الأبيض" في الولايات المتحدة الأمريكية وتعني بها سياسة رئيس الدولة وجهازه الأعلى وإذا قبلنا بهذه المقارنة في المعنى الذي يتطابق تماما فلا يمكن أن نتصور أن من بين ألقاب الرئيس الأمريكي "البيت الأبيض"، موضحا أن "برعا" لم يكن لقبا للحاكم في مصر القديمة ولكن تعني "سياسة" البيت أو القصر العظيم والذي يصدر منه الحاكم أوامره.

وبالنسبة للدلائل في القرآن الكريم، قال إنها كثيرة ومنها أن كلمة فرعون في القرآن نجدها نكرة "غير معُرفة"، مما يدل أنه اسم علم وليس لقبا أو صفة أو منصبا "مثل الملك أو الإمبراطور"، ولقد تم ذكر اسم هذا الحاكم «فرعون» ٧٤ مرة في القرآن الكريم كلها نكرة بدون "أل" في دلالة واضحة على أنه اسم شخص بعينه، كما لم يرد مطلقاً في القرآن جمع فرعون على صيغة فراعنة أو فراعين، مما يؤكد أنه اسم وليس لقبًا.

وأشار إلى أن اسم فرعون جاء في القرآن مع أسماء أشخاص آخرين، فالنبي موسي عليه السلام توجه برسالته مخاطباً ثلاثة أشخاص أحدهم اسمه فرعون والثاني يسمي هامان والثالث اسمه قارون، وفى الآية ١٠٤ من سورة الأعراف ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ} فلو كان فرعون لقباً لقال موسى يا أيها الفرعون مثلما قال أخوة يوسف {يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ﴾ [يوسف:٨٨]

ولفت إلى أنه رغم مجيء الأنبياء إبراهيم ويعقوب ويوسف عليهم السلام لأرض مصر ومعاصرتهم لحكام في عصورهم إلا أنه لم يطلق على أي من هؤلاء الحكام لقب الفرعون، فالحاكم الذي عاصر إبراهيم عليه السلام أطلق عليه "الملك"، والحاكم الذي عاصر يوسف عليه السلام أطلق عليه "الملك" في خمسة مواضع، وهناك أيضاً العزيز، بينما الحاكم الذي عاصر موسي عليه السلام أطلق عليه " فرعون" (٧٤ مرة في القرآن) بدون – ال – التعريف في إشارة واضحة إلى أنه اسمه المجرد «فرعون» وليس لقباً.

وأوضح أنه حتى في التوراة التي خلطت كثيرا بين ملك مصر وفرعون، تقول فرعون ملك مصر، أو فرعون المتربع على العرش، " قل لفرعون ملك مصر أن يطلق بني إسرائيل من أرضه " (الخروج٦) ، والمقصود هنا هو شخص اسمه «فرعون» المتربع على عرش مصر، لافتًا إلى أن التوراة قد ذكرت ملكًا مصريًا آخر وهو " شيشق " (شاشانق) وهو أقل من فرعون موسى أهمية فكيف للتوراة أن تغفل ذكر اسم من ساماهم سوء العذاب وتذكره بلقبه وليس باسمه. " [١]

(١) الباحث الأثري أحمد نور الدين " فرعون اسم وليس لقباً " جريدة الأهرام ١٧ أغسطس ٢٠١٦ .

وعلى ذلك فالمتَّفق عليه بين علماء المصريات أن كلمة فرعون " لم تظهر إلا في الدولة الحديثة ، واختلفوا في زمن ظهورها ما بين ١٥٥٠ ق.م ، وألف ق.م والراجح عند علماء المصريات الغربيين والمصريين أن ملك مصر زمن سيدنا موسى كان " رعمسيس الثاني " الذي ادَّعى الإلوهية وأهلكه الله غرقاً.

وعلى ذلك فهناك اتفاق تام بأن كلمة " فرعون " ليست لقباً لكلِّ حكام مصر القديمة ، ولم تظهر إلا في عهد الرعامسة في الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين في النصف الثاني من الدولة الحديثة والراجح إنها لم تظهر إلا في عهد " رمسيس الثاني " لأن رمسيس الأول تبوأ العرش وهو شيخ هرم وترك مقاليد الحكم لابنه "سيتي" ، الذي صار " سيتي الأول " (١) الذي لم يحكم سوى اثني عشر عاماً فقط (١٣١٢- ١٣٠٠ ق.م) وكانت فترة حكمه مليئة بالحروب والمعارك لتوطيد السلطة المصرية في فلسطين ومقاومة الحيثيين والليبيين والأموريين في قادش (٢) أما "رمسيس الثاني" فهو " ابن سيتي الأول " وقد استمرَّ حكمه ٦٧ عاماً (١٣٠١- ١٢٣٥ ق.م) (٣) على حسب حولية دريتون وفانديه ، أو من (١٢٩٠ إلى ١٢٢٤ ق. م) على حسب حولية روتون . (٤) كما أنه شارك أباه سيتى الأوَّل في الحكم ، وبناء على ذلك فهو أطول الحكام الرعامسة حُكْماً .

يقول موريس بكاي : " إن المعطيات التي سبقت تسمح إذن بإثبات ما يلي :

---

(١)جورج بوزنر ، سيرج سونرون ، جان يويوت ، أ.أ.س إدواردز ، ف.ل. ليونيه ، جان دوريس " معجم الحضارة المصرية القديمة " مرجع سابق . ص ١٧٣ .
(٢) نفسه ص ١٩٤ .
(٣) نفسه ص ١٧٣ .
(٤) موريس بوكاي " القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم " مكتبة مدبولي ص ٤٦٧ .

١- إن الخروج لا يمكن أن يُتَصوَّر قبل وصوله أحد الرعامسة إلى الحكم في مصر .

٢- أن موسى قد ولد في حكم باني مدينتي : رمسيس وبيتون . أي في عهد رمسيس الثاني . (١)

فرعون في التوراة

والتوراة تؤكد بجلاء أن فرعون اسم عَلَم وليس لقباً فقد جاء في التوراة :

" ١٠ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: ١١«اُدْخُلْ قُلْ لِفِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ أَنْ يُطْلِقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِهِ». ١٢فَتَكَلَّمَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ قَائِلاً: «هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَسْمَعُوا لِي، فَكَيْفَ يَسْمَعُنِي فِرْعَوْنُ وَأَنَا أَغْلَفُ الشَّفَتَيْنِ؟» ١٣فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ، وَأَوْصَى مَعَهُمَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَإِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ فِي إِخْرَاجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.(الخروج:٦)

ووصف فرعون بملك مصر يقطع بأن كلمة فرعون اسم عَلَم وليست لقباً وأن حاكم مصر إبان زمن سيدنا موسى كان يلقَّب بالملك أو ملك مصر ، وليس هذا هو النص الوحيد الذي وصفت فيه التوراة فرعون بملك مصر إنما هناك نصوص كثيرة منها :

" ٢٧هُمَا اللَّذَانِ كَلَّمَا فِرْعَوْنَ مَلِكَ مِصْرَ فِي إِخْرَاجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ. هذَانِ هُمَا مُوسَى وَهَارُونُ.
٢٨وَكَانَ يَوْمَ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي أَرْضِ مِصْرَ ٢٩أَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَهُ قَائِلاً: «أَنَا الرَّبُّ. كَلِّمْ فِرْعَوْنَ مَلِكَ مِصْرَ بِكُلِّ مَا أَنَا أُكَلِّمُكَ بِهِ» (الخروج : ٦)

" ٨وَشَدَّدَ الرَّبُّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ حَتَّى سَعَى وَرَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ خَارِجُونَ بِيَدٍ رَفِيعَةٍ. " (الخروج : ١٤)

(١) نفسه ص ٢٦٤

" [٩]وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ " (التثنية : ٧)

" [٣]وَآيَاتِهِ وَصَنَائِعَهُ الَّتِي عَمِلَهَا فِي مِصْرَ بِفِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ وَبِكُلِّ أَرْضِهِ " (التثنية : ١١)

" [١٩]وَفِرْعَوْنَ مَلِكَ مِصْرَ وَعَبِيدَهُ وَرُؤَسَاءَهُ وَكُلَّ شَعْبِهِ " (إرميا : ٢٥)

فإن قيل إن التوراة قد أطلقت اسم فرعون على ملك مصر إبان إبراهيم ويوسف عليهما السلام أيضاً " [١٤]فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ وَدَعَا يُوسُفَ، فَأَسْرَعُوا بِهِ مِنَ السِّجْنِ. فَحَلَقَ وَأَبْدَلَ ثِيَابَهُ وَدَخَلَ عَلَى فِرْعَوْنَ. [١٥]فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «حَلُمْتُ حُلْمًا وَلَيْسَ مَنْ يُعَبِّرُهُ. وَأَنَا سَمِعْتُ عَنْكَ قَوْلاً، إِنَّكَ تَسْمَعُ أَحْلاَمًا لِتُعَبِّرَهَا». [١٦]فَأَجَابَ يُوسُفُ فِرْعَوْنَ: «لَيْسَ لِي. اَللهُ يُجِيبُ بِسَلاَمَةِ فِرْعَوْنَ»." (التكوين : ٤١)

" [٤٦]وَكَانَ يُوسُفُ ابْنَ ثَلاَثِينَ سَنَةً لَمَّا وَقَفَ قُدَّامَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ."

(التكوين : ٤١)

" [١٤]فَحَدَثَ لَمَّا دَخَلَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ رَأَوْا الْمَرْأَةَ أَنَّهَا حَسَنَةٌ جِدًّا. [١٥]وَرَآهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لَدَى فِرْعَوْنَ، فَأُخِذَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ، [١٦]فَصَنَعَ إِلَى أَبْرَامَ خَيْرًا بِسَبَبِهَا، وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَالٌ. [١٧]فَضَرَبَ الرَّبُّ فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرَبَاتٍ عَظِيمَةً بِسَبَبِ سَارَايَ امْرَأَةِ أَبْرَامَ. [١٨]فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَبْرَامَ وَقَالَ: «مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا امْرَأَتُكَ؟ [١٩]لِمَاذَا قُلْتَ: هِيَ أُخْتِي، حَتَّى أَخَذْتُهَا لِي لِتَكُونَ زَوْجَتِي؟ وَالآنَ هُوَذَا امْرَأَتُكَ! خُذْهَا وَاذْهَبْ!». [٢٠]فَأَوْصَى عَلَيْهِ فِرْعَوْنُ رِجَالاً فَشَيَّعُوهُ وَامْرَأَتَهُ وَكُلَّ مَا كَانَ لَهُ. " (التكوين : ١٢)

وقد بينَّا أن القرآن الكريم قد ذكر خمس مرات كلمة " ملك " – وليس فرعون – لقباً على حاكم مصر إبان سيدنا يوسف ، كما أكد علماء الحضارة المصريَّة القديمة أن كلمة " فرعون " لم تكن معروفة قبل الألف الأولى قبل الميلاد وعلى أقصى تقدير قبل الميلاد بألف وخمسمائة عام زمن الدولة الحديثة وسيدنا يوسف كان في الدولة الوسطى ، وكذلك كان سيدنا إبراهيم .

والأمر لا يعدو أن يكون اجتهاداً ممن ترجموا التوراة عن العبريَّة القديمة فاستبدلوا اسم " فرعون " بلقب " ملك " .

يقول قاموس الكتاب المقدَّس : " وابتداء من الأسرة الثانية والعشرين، بدأ المصريون في إضافة الاسم الشخصي لفرعون إلى لقبه "فرعون". فقد وُجد اسم " فرعون شوشنق" منقوشًا على لوح حجري في الواحات الداخلة، لعله يرجع إلى عصر "شوشنق" الأوَّل مؤسس الأسرة الثانية والعشرين، والمذكور في الكتاب المقدس باسم" شيشق "(فرعون شيشق) (مل ١١: ٤٠، ١٤: ٢٥، ٢أخ ١٢: ٢، ٥و٧و٩). ونجد هذا واضحًا في ذكر العهد القديم لأسماء ملوك مصر في الألف الأخيرة قبل الميلاد، مثل: "فرعون نخو" (٢مل ٢٣: ٢٩، إرميا ٤٦: ٢" (..وفرعون حفرع" (إرميا ٤٤: ٣٠) (١)

ويمكن أن يكون حكام مصر في العصر المتأخر قد اتخذوا من فرعون لقباً ، ولكنهم كانوا يحرصون على ذكر اسم الملك بعد كلمة فرعون " فرعون شيشق" .. و" فرعون حفرع" و "فرعون نخو" حتى لا يلتبس بفرعون ، ويبقى اسم فرعون عَلَماً على حاكم مصر زمن موسى عليه السلام .

(١) كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس – الإسكندرية " قاموس الكتاب المقدس دائرة المعارف الكتابية المسيحية " .

فرعون ذو الأوتاد

والذي يؤكِّد أن فرعون هو " رمسيس الثاني " وصف القرآن له بذي الأوتاد .

﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴾ [الفجر: ٩،١٠]

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ ﴾ [ص : ١٢]

وقوله تعالى : ﴿ ذُو الأوتاد ﴾ صفة لفرعون ، وجاء في لسان العرب : " وَتَدَ الوَتِدُ وَتْداً وتِدَةً وَوَتَّدَ كلاهما ثَبَتَ ، وَتَّدَ فلان رِجلَه في الأَرض إِذا ثَبَّتَها ،ووَتِدٌ واتِدٌ ثابت، وأَوتاد البلاد رُؤساؤها ، وَوَتَّدَ في بيته أَقام وثبت " (١)

إذن فرعون ذو الأوتاد أي الذي ثبَّت أركان دولته ووطَّدها ، وحماها من أعدائها في الداخل والخارج بفضل قوته وقوة جنده الذين ينفِّذون أمره ويدعِّمون أركان مملكته كما فسَّر العلماء قوله تعالى ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴾.

فعن ابن عباس: " الأوتاد: الجنود الذين يشدُّون له أمره." (٢)

وقال القرطبي " الجنود والعساكر والجموع والجيوش التي تشدُّ ملكه " (٣)

وقال الألوسي " ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى الأوتاد ﴾ وُصِفَ بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربون أوتادها في منازلهم " (٤)

وبهذا قال أغلب المفسرين مثل : البيضاوي والفخر الرازي والنسفي وغيرهم .

---

(١) ابن منظور " لسان العرب " ج ٣ ص ٤٤٤ .
(٢) تفسير بن كثير ج ٨ ص ٣٩٧ .
(٣) تفسير القرطبي ج ٢٠ ص ٤٨ .
(٤) الألوسي " روح المعاني " ج ٢٢ ص ٤١٧

فرعون وجنوده

لقد قرن الله تعالى بين فرعون وجنوده في تسع آيات .

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص : ٣٩ ، ٤٠]

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اليم مَا غَشِيَهُمْ ﴾ (طه : ٧٨)

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا ﴾

[يونس : ٩٠]

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات : ٤٠]

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص : ٦]

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص : ٨]

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴾ [الدخان : ٢٤]

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ [البروج : ١٧ ، ١٨]

فإذا أضفانا إلى الآيات التسع التي قرن الله تعالى فيهن بين فرعون وجنوده صراحة ، وبين الآيتين اللتين وصف الله تعالى فيهما فرعون بذي الأوتاد وفسَّر أغلب المفسرين الأوتاد بالجنود كما بينَّا كان المجموع إحدى عشرة آية.

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا قرن الله تعالى في إحدى عشرة آية بين فرعون وجنوده ؟

والإجابة لأن فرعون كان له جيش كبير قاتَل به أعداءه في الخارج واستطال به على المعارضين له في الداخل فسخَّر به الناس ليذعنوا لأوامره بالقوة .

ورمسيس الثاني من أشهر الملوك المحاربين فقد كان له جيش كبير عرمرم خاض به حروباً كثيرة مع أعدائه الخارجيين .

فقد قاد رمسيس الثاني عدة حملات شمالاً إلى بلاد الشام. وفي معركة قادش الثانية في العام الرابع من حكمه ١٢٧٤ ق.م – على حسب حولية روتون – قامت القوات المصريَّة تحت قيادته بالاشتباك مع قوات مُواتالّيس ملك الحيثيين، وعلى مر السنين التالية لم يتمكَّن أي من الطرفين هزيمة الطرف الآخر، ولذلك أبرم رمسيس الثاني في العام الحادي والعشرين من حكمه ١٢٥٨ ق.م معاهدة مع حاتّوسيليس الثالث، وهي أقدم معاهدة سلام في التاريخ .

قاد رمسيس أيضاً عدة حملات جنوب الشلال الأول إلى بلاد النوبة .(١)

لقد أمضى رمسيس الثاني أغلب حياته في حروب في الشرق والغرب والجنوب أمضى نحو ثمانين عاماً أميراً في جيوش أبيه أو قائداً لجيوشه لذا قرن الله تعالى بينه وبين جنوده في حوالي إحدى عشرة آية ، ولم ينافسه في كثرة حروبه إلا أحمس الأول محرِّر مصر من الهكسوس الذي حكم مصر ٢٥ عاماً من ١٥٥٠ حتى ١٥٢٥ ق.م ، وتحتمس الثالث الذي حكم ٥٤ عاماً من ١٤٧٩ حتى ١٤٢٥ ق.م وأقام أقدم إمبراطورية في التاريخ وهي أقصى حدود لمصر في تاريخها حيث وصلت حدود مصر إلى نهر الفرات وسوريا شرقاً وإلى ليبيا غرباً وإلى

(١) الهيئة العامة للاستعلامات .

سواحل فينيقيا وقبرص شمالاً وإلى منابع النيل جنوباً حتى الجندل الرابع أو الشلال الرابع .

ولقد ذكر بعض المؤرخين أن هذا هو فرعون خروج بنى إسرائيل من مصر وذلك استناداً إلى فقرة فى التوراة تقول إن الملك سليمان قد بنى بيت الرب فى العام ٤٨٠ من خروج بنى إسرائيل من مصر والعام الرابع لحكمه وبتحديد العام الرابع لحكم سليمان وإضافة ٤٨٠ سنة سيقودنا هذا إلى نهاية تاريخ حكم تحتمس الثالث، ولكن هذا الافتراض مشكوك فى صحته نظراً لاختلاف هذا الرقم فى نسخ ترجمات التوراة حتى إن بعضها يجعل هذه الفترة ٥٠٠ عام مما يدل على أن هذا الرقم كان تخميناً من كتبة التوراة .ومن المعروف أن الملك سليمان حكم فى فلسطين بين ٩٧٠ و ٩٢٨ قبل الميلاد. كما أن الأدلة على أن رمسيس الثانى هو فرعون ميلاد موسى وخروج بنى إسرائيل أكثر وآكد .

المعني الآخر لفرعون ذي الأوتاد

وبعض المفسرين وعلماء المصريات فسَّروا " الأوتاد " بالمنشآت الضخمة الخالدة على مر الزمان التي لم يخلق مثلها في البلاد .

يقول الشيخ الشعراوي في تفسير " الأوتاد " : " المسلات المصريَّة القديمة والمعابد . وغيرها من العجائب التي بهرت الناس في مختلف العصور . [١]

ورمسيس الثاني من أكثر ملوك مصر تشييداً للمعابد ونحتاً للمسلات فقد شيَّد معبدي : أبو سمبل ، ومعبد الرمسيوم إضافة إلى بهو الأعمدة في معبد الكرنك ، كما أقام ٣٥ مسلَّة في حين أقام الملوك العشرة الذين سبقوه ٣٣ مسلَّة فقط " [٢]

---

(١) تفسير الشعراوي ص ٢١٠٧ .
(٢) محمد الشافعي مقدمة كتاب " مرنبتاح فرعون الخروج " سلسلة تاريخ المصريين للشباب دار الهلال ص ٦ .

ولقد اشتهر " رمسيس الثاني " بنحته للمسلات التي كان يذكر د. سيد كريم عالم المصريات الكبير لنا – نحن رواد ندوته الأسبوعيَّة في بيته في المعادي – دائماً أن " الأوتاد " المذكورة في القرآن الكريم هي المسلات .

يقول د.سليم حسن : " أقام رعمسيس الثاني العمائر الدينيَّة التي أصبحت مضرب الأمثال في الضخامة والعظمة والأبهة ، مما يدلُّ على الرخاء ووفرة المال. فأقام لنفسه ولإلهه " آمون " معبداً جنائزيّاً يحتوي قصراً فاخراً له يطلق عليه المحدثون الآن اسم " الرمسيوم " وهو في ضخامته واتساع رقعته وحسن تنسيقه لا يدانى ، حتى إنه أصبح فيما بعد يعدُّ من العجائب التي تحدَّث بها الكتَّاب اليونان .

ولا تزال بعض بقاياه الضخمة تنطق بما كان عليه من أُبَّهة وبهاء . وقد أوقف عليه الضياع وأمدَّه بالموظفين والكهنة من كلِّ صنف . وكذلك حفر مقبرة عظيمة في أعماق صخور " طيبة " الغربيَّة ، وأقام المعابد للآلهة ولنفسه – لأنه كان مؤلَّهاً – في جميع أنحاء القطر ، في أمهات المدن مثل " منف " و "هليوبوليس" و" طيبة " و " العرابة " و" تانيس " ، وزيَّنها بالتماثيل والمسلات التي يخطئها العدُّ، وقطع لها الأحجار من محاجر سيناء والجبل الأحمر القريب من القاهرة ، ومن جبال أسوان ؛ هذا فضلاً عن أنه لم يترك مكاناً أثريّاً من الأمكنة التي أقامها أجداده الفراعنة الذين سبقوه إلا جدَّده أو زاد في مبانيه ؛ اعترافاً منه بجميل آلهته الذين آزروه في ساعة العسرة ، وحبوه النصر والقوَّة – وتفاخراً بقوته وعظيم سلطانه ، ولذلك نجد أن مبانيه – على الرغم مما أصابها من تهديم وتخريب – لا تزال بقاياها في كلِّ أنحاء القطر .

غير أنه مما يؤسف له جدَّ الأسف أنه في كثير من الأحيان كان ينتحل آثار أسلافه بصورة ظاهرة ، وكان هذا سبباً في تحقير أعماله العظيمة في نظر المؤرخين . الواقع أن ما اغتصبه لا يكاد يعدُّ شيئاً بالنسبة لما أنجزه من أعمال ضخمة في فني النحت والبناء ، وبخاصة ما أقامه من المعابد الهائلة الحجم في بلاد " النوبة " فقد بنى فيها عدَّة عمائر للآلهة كانت في الواقع فريدة في بابها ؛ فقد نحتها كلها في الصخر بدلاً من إقامتها بالحجر ، وبخاصة معبد " بو سمبل " الذي يعد مفخرة الزمان ، ومعبد " بيت الوالي" ومعبد " السبوع " ومعبد " جرف حسين " ومعبد " الدر " وغيرها مما لا تزال بقاياه موجودة حتى الآن . (١)

وبهذا جمع رمسيس الثاني بين المعنيين اللذين فسَّر بهما المفسرون كلمة "الأوتاد" قوة الجيش ، وضخامة المباني والمعابد والتماثيل والمسلات .

وإذا صدَّقنا ما تركه لنا " رعمسيس الثاني " ووالده " سيتي الأول " من نقوش عن معاملتهما لأولئك العمال الذين نحتوا من الجبال تلك البيوت المقدَّسة ، وقطعوا تلك التماثيل الهائلة للآلهة – لسقط ما ينسب إليهم من أعمال " السخرة " والعسف ؛ لعلمنا أن العمال كانوا ينعمون برغد العيش ، وبالتشجيع الأدبي الذي كان يلقيه الفرعون على عماله بنفسه . (٢)

إن التاريخ عندما يُكْتَب في عصر الطغاة يُكْتَب حسب هواهم ، وتزلفاً لنيل عطاياهم والإفلات من نقمتهم ؛ لذا نجد المنافقين من

(١) د. سليم حسن " موسوعة مصر القديمة ، عصر رعمسيس الثانى " ج ٦صفحة ي ، ك .
(٢) نفسه صفحة ك .

الكتَّاب يستبدلون الباطل بالحق، والأكاذيب بالصدق ، ويتحوَّل طغيان الحكام على يد أولئك الكتَّاب إلى عين الرحمة ، والفقر المدقع الذي عاش فيه الشعب إلى غنى فاحش تدل عليه آثار الطغاة الباهرة .

والحقيقة أن الذين كانوا يعيشون في رغد هم فرعون وجنوده وكهنته فقط دون سائر الشعب المصري .

يقول د. سليم حسن : " فنرى الجندي في ساحة القتال ، وبعد أن تضع الحرب أزارها ، يرتع في بحبوحة العيش الناعم . ولا أدل على ذلك مما جاء على لسان "رعمسيس الثاني" نفسه عندما تخلَّى عنه جنوده في ساحة القتال في موقعة " قادش" عند منازلة مملكة " خيتا " إذ يقول : " ألم أقم فيكم سيداً حين كنتم من البائسين ، ومع ذلك رضيت عن طيب خاطر أن تصبحوا عظماء بواسطة حضرتي كل الأيام، فقد ورَّثت الابن متاع الوالد ، وأبعدت كل الظلم الذي كان في الأرض ، ونزلت لكم عن جزية أرضكم ، ومنحتكم أخرى إذا اغْتُصِبَتْ منكم ، وأنصفتُ من استنصفني . وكنت أقول له (أي آمون) كل يوم ليس هناك سيد عمل لجنوده ما عمل جلالتي وذلك على حسب ما تهوى قلوبكم : وسمحت لكم أن تبقوا في مدنكم دون القيام بمهام الجنديَّة ، وجعلت لخَيَّالتي طريقاً إلى مدنهم (أي سمحت لهم بالعودة إلى مدنهم) على شرط أن أستدعيهم لمثل هذا اليوم وقت خوض المعارك .. إلخ "[١]

والمتأمل في سورة الفجر الآيات من ٦: ١٠ يجد أن جميع الصفات التي وصف الله بها تعالى الطغاة والجبابرة تنطبق أكثر ما تنطبق على فرعون ، وإن شاركه غيره في بعضها . يقول تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ *

(١) د. سليم حسن " موسوعة مصر القديمة ، عصر رعمسيس الثاني " ج ٦صفحة ك .

وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ٦- ١٤]

ففرعون أقام العمائر الدينيَّة على الأعمدة الشاهقة " ورمسيس الثاني هو الذي أقام بهو الأعمدة في معبد الكرنك " (١) التي أصبحت مضرب الأمثال في الضخامة والعظمة والأبهة ، وفرعون جاب الصخر ببلاد " النوبة " فقد بنى فيها عدَّة عمائر للآلهة كانت في الواقع فريدة في بابها ؛ فقد نحتها كلها في الصخر بدلاً من إقامتها بالحجر ، وبخاصة معبد " بو سمبل " الذي يعد مفخرة الزمان ، ومعبد " بيت الوالي" ومعبد " السبوع " ومعبد " جرف حسين " ومعبد " الدر " وغيرها مما لا تزال بقاياه موجودة حتى الآن.(٢)

"وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ" الذي كوَّن الجيوش الكبيرة وأقام المسلات الكثيرة ، وفرعون أفسد في الأرض وقهر الناس ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٤] واستعبد الناس ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات : ٢٤] لذا استحق أن يصبَّ الله تعالى عليه سوط عذاب.

وتأمل قوله تعالى ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ تجد أنها تنطبق تماماً على فرعون ؛ فعندما أوحى الله تعالى إلى موسى { أَنِ اضرب بِّعَصَاكَ البحر فانفلق فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كالطود العظيم } [الشعراء : ٦٣] وصار البحر طريقاً يبساً يمشون فيه ﴿ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٠] فلما دخل فرعون الطريق

(١) محمد الشافعي مقدمة كتاب " مرنبتاح فرعون الخروج " مرجع سابق ص ٦ .
(٢) د. سليم حسن " موسوعة مصر القديمة ، عصر رعمسيس الثاني " ج ٦صفحة ي ، ك .

اليبس صبَّ عليهم سياط أمواج البحر ضرباً وتعذيباً حتى غرقوا ، وتحيَّر العلماء وتضاربت أقوالهم عند تفسير قوله تعالى" فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ " فـ " صبُّ " الرجل في الوادي صبيباً انحدر والماء انسكب والماء ونحوه صبّاً سكبه . " والسوط " ما يضرب به من جلد سواء أكان مضفوراً أم لم يكن ، وهذه الآية العجيبة تبيِّن كيف أغرق الله فرعون وجنده بأن صبَّ عليهم ماء البحر صباً شديداً كأنه السياط " الكرابيج " التي تلذع أجسامهم .

قال قتادة : فكان "سَوْطَ عَذَابٍ " هو الغرق .

فرعون وهامان

الفئة الثانية التي كانت ترفل في النعيم في عصر رمسيس الثاني هم الكهنة فقد كانوا أصحاب نفوذ وحَوْل وطَوْل حتى أنهم أصبحوا كما يقول د. سليم حسن : دولة داخل دولة .

يقول سليم حسن : " وتدل شواهد الأحوال على أنه (أي رعمسيس الثاني) كان هناك اتصال أسري بين كهنة " أوزير " وكهنة الإله " آمون " بالكرنك . وقد عمل هؤلاء الكهنة مجتمعين على جعل كل وظائف الدولة الهامة في أيدي أفراد أسرتهم بما كان لهم من سلطان روحي على الشعب في تلك الفترة . وتدلُّ الأحوال على أن " رعمسيس الثاني " نفسه لم يعارض في ذلك ، فنقرأ في الآثار التي تركوها لنا أنه كان من بينهم الوزير ، والقائد ، ورئيس الشرطة ، وحاكم السودان ، ورئيس الماليَّة ، وكانت نساؤهم يشغلن أهمَّ الوظائف الدينيَّة في مختلف المعابد المصريَّة ؛ وبذلك أصبح " رعمسيس " مسيطراً على داخليَّة

البلاد من الوجهة الدينيَّة والإداريَّة، بتلك البطانة المخلصة لعرشه ، مما سهَّل له تنفيذ كل مآربه على حسب نظام " ماعت " . (١)

وادعاء نظام رمسيس الثاني القمعي المستبد العمل بنظام " ماعت " شريعة الحق والعدل والعدالة الاجتماعيَّة ادعاءٌ كاذبٌ وخداع للشعب الطيب ، ويبدو أن الاستعانة برجال الدين الذين باعوا دينهم بدنياهم لإيهام الناس بقبول طغيان الحاكم قديم في مصر فا هو رمسيس يستعين بسوط جنوده وضلال كهانه لتعبيد الشعب المصري .

يقول د. سليم حسن : " وقد بلغ من شأن رجال الدين ونفوذهم في البلاد وقتئذ أن أصبحوا أصحاب ثروة عظيمة ومكانة قوية ، مما مهَّد لهم السبيل فيما بعد إلى قيام أسرة منهم قبضت على زمام الملك ، وأصبحوا فراعنة في نهاية الأمر .

الواقع أن " رعمسيس الثاني " كان من الممهِّدين لهذا الانقلاب حينما ضعف أمام كهنة " آمون " وألقى في أيديهم رياسة الكهانة في " الكرنك " وفي " العرابة " وقد زاد الطين بلة أن " رعمسيس " اعترف لهذه الطائفة بأن تنصيب الكاهن الأكبر "لآمون" قد جاء من وحي الإله وبإذنه ، وأنه لا دخل له فيه . ومن ثمَّ أصبحت سلطاتهم جارفة ، حتى أصبحوا يؤلِّفون في الواقع مملكة داخل مملكة ليس للفرعون عليها سلطان إلا بالاسم . (٢)

وهناك إجماع من المفسرين على أن " هامان " هو وزير فرعون ، ومن هؤلاء المفسرين : ابن كثير ، الفخر الرازي ، القرطبي ، النسفي ، الألوسي ، أبو حيان ، رشيد رضا ، الشعراوي ، سيد قطب ، وسيد طنطاوي ...

---

(١) د. سليم حسن " موسوعة مصر القديمة ، عصر رعمسيس الثانى " ج ٦صفحة ي .
(٢) نفسه صفحة ن .

وإني أرى أن " هامان " قد جمع بين رئاسته للكهنة ورئاسته للوزارة ؛ فقد كان الكهنة في عهد رمسيس – كما ذكر د. سليم حسن – يتولَّون الوزارة ويكونون دولة داخل الدولة ، وإني أعتقد أن هامان قد كان رئيساً لدولة تشبه دولة " مدينة الفاتيكان" غير أن لها جيشاً يدافع عنهم ويأتمرون بأمرهم .

ولقد ذكر الله تعالى في آيتين من الآيات الست التي جاء ذكر هامان فيها جنود هامان .

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص:٥، ٦]

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾[القصص : ٨]

﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾[العنكبوت : ٣٩]

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر : ٢٣-٢٤]

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾

[غافر: ٣٦]

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) [القصص:٣٨]

ولكن التوراة والإنجيل لم يذكرا اسم رجل يُدْعى " هامان " زمن موسى وفرعون مما جعل بعض أهل الكتاب يتَّخذون هذا الأمر دليلاً للطعن في صحة القرآن الذي ذكر اسم " هامان " ست مرات .

قال فخر الرازي : " قالت اليهود أطبق الباحثون عن تواريخ بني إسرائيل وفرعون أن هامان ما كان موجوداً البتة في زمان موسى وفرعون وإنما جاء بعدهما بزمان مديد ودهر داهر . (١)

وقال رشيد رضا في مجلة المنار : " في رد الشبهات التي يوردها الإفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز المسألة الرابعةَ عَشْرَةَ (هامان وزير فرعون) قال الله تعالى حكاية عن فرعون : { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا المَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا } [القصص : ٣٨] وقالوا : إن هامان كان وزيرًا لأحشويروش ملك فارس ، وهو متأخر عن فرعون بسنين " (٢)

وهذه الشبهة التي أراد المغرضون الطعن بها في القرآن الكريم جعلها الله تعالى معجزة تؤكِّد أن القرآن الكريم كلام الله الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]

ذكر الدكتور موريس بوكاي في كتابه " موسى وفرعون " ما ملخَّصه: " لقد جاء ذكر هامان في القرآن كرئيس المعماريين والبنّائين، ولكن الكتاب المقدس لا يذكر أي شيء عن هامان في عهد فرعون، وقد قمت بكتابة كلمة "هامان" باللغة الهيروغليفية وعرضتها على أحد المختصِّين في تاريخ مصر القديمة، ولكي لا أَدَعْهُ تحت أيِّ تأثير، فإنني لم أذكر له أنها وردت في القرآن، بل قلت له أنها وردت في وثيقة

(١) تفسير فخر الرازي ج ١٣ ص ٣٣٦ .
(٢) محمد رشيد رضا " مجلة المنار " ج ١١ ص ٤٤١ .

عربيَّة قديمة يرجع تاريخها إلى القرن السابع الميلادي، فقال لي المختص: "يستحيل أن ترد هذه الكلمة في أي وثيقة عربيَّة في القرن السابع؛ لأن رموز الكتابة باللغة الهيروغليفيَّة لم تكن قد حُلَّت آنذاك". ولكي أتحقق من هذا الأمر فقد أوصاني بمراجعة قاموس" أسماء الأشخاص في الإمبراطورية الجديدة " ورجعت إلى القاموس فوجدت أن هذا الاسم موجود هناك ومكتوب باللغة الهيروغليفيَّة وباللغة الألمانيَّة كذلك، كما كانت هناك ترجمة لمعنى هذا الاسم وهو: رئيس عمال مقالع الحجر، وكان يطلق هذا الاسم أو اللقب آنذاك على الرئيس الذي يتولَّى إدارة المشاريع الإنشائيَّة الكبيرة .فنقلت تلك الصفحة من ذلك القاموس، وذهبت إلى المختص الذي أوصاني بقراءة هذا القاموس، ثم فتحت ترجمة القرآن بالألمانيَّة وأريته ورود اسم هامان فيه، فدهش كثيراً وصمت .

لو جاء ذكر اسم هامان فرعون في أي كتاب قبل القرآن، أو لو جاء ذكره في الكتاب المقدَّس لكان المعترضون علينا على حق، ولكن لم يرد هذا الاسم حتى نزول القرآن في أي نص، بل ورد فقط على الأحجار الأثريَّة لمصر القديمة وبالخط الهيروغليفي .

إن ورود هذا الاسم في القرآن بهذا الشكل المذهل لا يمكن تفسيره إلا بأنه معجزة، فلا سبب آخر لهذا، ولا تعليل آخر . "

وفي هذا السياق لابد من سرد بعض الحقائق :

بعد فك رموز الكتابة الهيروغليفيَّة زادت معلوماتنا حول تاريخ مصر القديم زيادة كبيرة، وعلمنا من الكتابات الموجودة على عدد من الأحجار الأثرية العائدة للتاريخ المصري القديم، وجود شخص مقرَّب من فرعون

مصر في عهد موسى – عليه السلام – كان مسئولاً عن البناء اسمه "هامان". وهناك حجر من هذه الأحجار المصريَّة القديمة ورد فيه هذا الاسم وهو موجود في متحف "هوف" في فينا عاصمة النمسا . (١)

أوصاف فرعون الشكليَّة عند المفسرين

جاء في التفاسير أن بعض بني إسرائيل قد كذَّبوا بموت فرعون وقالوا أنه لا يموت .. فألقي علي ساحل البحر حتى رآه بنو إسرائيل أحمر قصير كأنه ثور (٢) وهناك روايات أخري كثيرة وصفت فرعون بعد غرقه فعن ابن عباس قال: فلما خرج موسى وأصحابه قال من تخلَّف من قوم فرعون: ما غرق فرعون وقومه، ولكنهم في جزائر البحر يتصيدون، فأوحى الله إلى البحر أن الفظ فرعون عرياناً، فلفظه عرياناً أصلع أخنس قصيراً، فهو قوله: {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ} (٣)

والخنس : ذو أنف مرتفع ومتأخِّر عن الوجه قليلاً .

وأخرج ابن المنذر والطبراني في الأوسط عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال :" أخبرت أن فرعون كان أثرم ."

وهناك رواية لأبي بكر أنه قال : أخبرت أن فرعون كان أثرم ، والثَّرَمُ :انْكسارُ السِّنِّ من أصْلِها، أو سِنٍّ من الثَّنايا والرَّباعِياتِ، أو خاصٌّ بالثَّنِيَّةِ. (٤)

وبهذا نستطيع أن نجمع صفات فرعون موسى كما وصفه المفسِّرون أنه كان قصيراً وأصلع وأثرم وأخنس .

---

(١) نقلا عن موقع " المختار الإسلام " .
(٢) جلال السيوطي " التفسير بالمأثور " ج ٥ ص ٢٦٥ .
(٣)عبد المجيد الشيخ عبد الباري " الروايات التفسيرية في فتح الباري " رسالة دكتوراه منشورة على موقع مكتبة المدينة الرقمية ص ٥٥٤ .
(٤) القاموس المحيط مادة " ثرم " .

بمقارنة هذه الصفات بمومياء رمسيس الثاني الموجودة بالمتحف المصري نجد أن رأسه صلعاء مع وجود بعض الشعر علي جانبي الرأس وخلفه وأن أنفه بارز قليلاً ومرتفع عن الفم قليل مع بروز أرنبه بأعلى أنفه كما أنه كانت هناك فحوص طبية أجريت علي مومياء رمسيس الثاني في فرنسا في أواخر السبعينيات في رحلة علاج مومياءه ذكر فيها د. سميث أن هناك كسوراً بأسنانه وخراريج بها خاصة في أسنان مقدمة الفم ، وبهذا نجد أن كل الصفات التي ذكرت في الروايات عن فرعون موسى الغريق تكاد تطابق مومياء رمسيس الثاني .

ونحن وان كنا نبحث عن الفرعون الذي جمع في بدنه هذه الأوصاف (قصير – أصلع – أثرم – أخينس) من بين ما يقرب من ٢٠٠ ملك وملكة (تقريباً) حكموا مصر خلال تاريخها القديم في ٣٠ أسرة ملكيَّة فان هذا الأمر يبدو صعباً للغاية لأننا في الواقع لم نتوصَّل حتى الآن إلا لعدد قليل من مومياواتهم ولكننا إذا ركَّزنا البحث في مومياوات ملوك الأسرتين الـ ١٨ والـ ١٩ التي اتَّفق غالبيَّة الباحثين أن فرعون موسى فيهم وهم . الأسرة الـ ١٨: أحمس الأول – أمنحتب الأول – تحتمس الأول – تحتمس الثاني – حتشبسوت – تحتمس الثالث – أمنحتب الثاني – تحتمس الرابع –أمنحتب الثالث – اخناتون – سمنخ كارع – توت عنخ آمون– أي– حور محب. الأسرة الـ ١٩ :رمسيس الأول – سيتي الأول– رمسيس الثاني– مرنبتاح– آمون مس– سيتي الثاني– رمسيس سابتاح . مع العلم بأن أغلبهم قد توصَّلنا إلى مومياواتهم . فأنه من السهل أنْ تجد أنَّ هذه الأوصاف (قصير – أصلع– أثرم – أخينس) لا تنطبق إلا على رمسيس الثاني كما بينا. (١)

(١) محمد عبد الرازق جويلي " أوصاف فرعون موسى تكشف رمسيس الثاني " موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة مقال بتاريخ ٤/ ٤/ ٢٠١١ .

فرعون الاضطهاد والخروج

ذكرنا الأدلة التي تؤكد أن فرعون عَلَم على ملك مصر في عصر موسى عليه السلام ، كما أكدنا أنه رمسيس الثاني ، ولكن بعض الباحثين والمؤرخين ذكروا أن هناك فرعونين : فرعون الاضطهاد وهو " سيتي الأول" أو" رمسيس الثاني " وفرعون الخروج وهو " رمسيس الثاني " أو " مرنبتاح " ابنه .

والرأي الذي نطمئن إليه هو أن فرعون الاضطهاد هو نفسه فرعون الخروج وهو " رمسيس الثاني " وأن القرآن الكريم لم يحدِّثنا إلا عن فرعون واحد عاصر ميلاد موسى كما عاصر خروج بني إسرائيل وإليك الأدلة على ذلك .

كان بنو إسرائيل يقيمون في دلتا النيل في أرض جاسان بمحافظة الشرقيَّة بالقرب من عاصمة " رمسيس الثاني " الجديدة " برعمسيس " التي تقول التوراة إن فرعون سخَّر اليهود في بنائها .

وعندما أخبر الكهنةُ فرعونَ ، بأن مولوداً سيولد في بني إسرائيل ، يكون ذهاب ملكه على يده بدأ يذبح مواليد بني إسرائيل الذكور ويترك الإناث .

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

[القصص : ٤]

وذكر المفسِّرون أن فرعون كان يذبح الذكور من بني إسرائيل دون الإناث . لأن الكهنة أخبروه ، بأن مولوداً سيولد من بني إسرائيل ، يكون ذهاب ملك فرعون على يده .

ومن الطبيعي عندما تلقى أم موسى الصندوق الذي يحوي طفلها الذي خافت عليه من فتك فرعون أن يتجه الصندوق شمالاً في اتجاه تيار النهر حيث قصر فرعون ، وبما أن الصندوق قد ألقي قريباً من قصر فرعون ، فهذا يؤكِّد أن الأحداث قد حدثت في عصر " فرعون " الذي عاش في عاصمة آخر ملوك الأسرة التاسعة عشرة أي إما في عصر " رعمسيس الثاني " الذي بنى عاصمته "بررعمسيس" بالقرب من فاقوس بالشرقيَّة الآن أو ابنه " مرنبتاح " ويؤدي ذلك تلقائيّاً إلى استبعاد كل النظريات الأخرى القائلة بأن " فرعون " ليس " رعمسيس الثاني " أو ابنه " مرنبتاح " لأن ملوك مصر قبل " رعمسيس الثاني " كانوا يعيشون جنوباً في طيبة ، ومن المستحيل أن يتجه الصندوق جنوباً عكس التيار .. وتذهب أغلب اجتهادات العلماء إلى أن فرعون الخروج هو " رمسيس الثاني " أشهر ملوك الأسرة التاسعة عشرة والذي حكم لمدة ٦٧ سنة كاملة ، شهدت نهضة عمرانيَّة كبيرة حيث شيَّد معبدي أبو سمبل ومعبد الرمسيوم إضافة إلى بهو الأعمدة في معبد الكرنك ، كما أقام ٣٥ مسلة في حين أقام الملوك العشرة الذين سبقوه ٣٣ مسلة فقط ، وتؤكد العديد من الآثار بأن "رمسيس الثاني" هو " فرعون " الذي ألَّه نفسه حال حياته . (١)

والقرآن الكريم في حديثه عن فرعون ملك مصر إبَّان سيدنا موسى لم يتحدث إلا عن فرعون واحد هو الذي ربَّى موسى صغيراً واستعبد بني إسرائيل وأخرجهم من مصر ، وأغرقه الله في البحر ، ونجاه ببدنه .

ويذكر الله تعالى لنا الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون بعد عودة موسى من أرض مدين: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا

(١) محمد الشافعي مقدمة كتاب " مرنبتاح فرعون الخروج " مرجع سابق ص ٦ .

وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء : ١٨-٢٢]

قال فرعون لموسى بعد أن عرفه ، وبعد أن طلب منه موسى أن يرسل معه بنو إسرائيل : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً ﴾ أي : ألم يسبق لك أنك عشت في منزلنا ، ورعيناك وأنت طفل صغير عندما قالت امرأتي ﴿ لاَ تَقْتُلُوهُ عسى أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً . . ﴾ { وَلَبِثْتَ فِينَا } أي : في كنفنا وتحت سقف بيتنا { مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ } عدداً ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التي فَعَلْتَ ﴾ وهى قتلك لرجل من شيعتي ﴿ وَأَنتَ مِنَ الكافرين ﴾ أي : وأنت من الجاحدين بعد ذلك لنعمتي التي أنعمتها عليك ، في حال طفولتك ، وفى حال صباك ، وفى حال شبابك .

لأنك جئتني أنت وأخوك بما يخالف ديني ، وطلبتما مني أن أرسل معكما بني إسرائيل . فهل هذا جزاء إحساني إليك ؟

وهكذا نرى فرعون يوجِّه إلى موسى عليه السلام تلك الأسئلة على سبيل الإنكار عليه لما جاء به ، متوهِّماً أنه قد قطع عليه طريق الإجابة .

ولكن موسى عليه السلام وقد استجاب الله تعالى دعاءه ، وأزال عقدة لسانه ، رد عليه رداً حكيماً ، فقال كما حكى القرآن عنه : ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذاً وَأَنَاْ مِنَ الضالين ﴾ .

أي قال موسى في جوابه على فرعون : أنا لا أنكر أنى قد فعلت هذه الفعلة التي تذكِّرني بها ، ولكنى فعلتها وأنا في ذلك الوقت من

الضالين ، أي : فعلت ذلك قبل أن يشرفني الله بوحيه ، ويكلِّفني بحمل رسالته ، وفضلاً عن ذلك فأنا كنت أجهل أن هذه الوكزة تؤدى إلى قتل ذلك الرجل من شيعتك ، لأني ما قصدت قتله ، وإنما قصدت تأديبه ومنعه من الظلم لغيره ، وبعد هذه الفعلة التي فعلتها وأنا من الضالين، توقَّعت الشر منكم ، ففرت من وجوهكم حين خشيت منكم على نفسي فكانت النتيجة أن وهبني ﴿ رَبِّي حُكْماً ﴾ أي : علماً نافعاً ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ المرسلين ﴾ الذين اصطفاهم الله تعالى لحمل رسالته والتشرف بنبوته .

ثم أضاف موسى عليه السلام إلى هذا الرد الملزم فرعون ، رداً آخر أشد إلزاماً وتوبيخاً فقال : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾(١)

والقرآن الكريم يتحدث عن فرعون واحد عاصر موسى من الميلاد حتى الخروج وهذا لا خلاف فيه عند العلماء المسلمين ، لكن يستوحي من نصوص التوراة أن موسى عاصر فرعونين وليس فرعوناً واحداً .

وهاك ما جاء في التوراة : " ١١وَحَدَثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمَّا كَبِرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَثْقَالِهِمْ، فَرَأَى رَجُلاً مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رجُلاً عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ، ١٢فَالْتَفَتَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ. ١٣ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلاَنِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَخَاصَمَانِ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: «لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟» ١٤فَقَالَ: «مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟ أَمُفْتَكِرٌ أَنْتَ بِقَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ؟». فَخَافَ مُوسَى وَقَالَ: «حَقًّا قَدْ عُرِفَ الأَمْرُ». ١٥فَسَمِعَ

(١) د. محمد سيد طنطاوي " التفسير الوسيط " ص ٣١٥٤

فِرْعَوْنُ هذَا الأَمْرَ، فَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى. فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ، وَجَلَسَ عِنْدَ الْبِئْرِ.

١٦وَكَانَ لِكَاهِنِ مِدْيَانَ سَبْعُ بَنَاتٍ، فَأَتَيْنَ وَاسْتَقَيْنَ وَمَلأْنَ الأَجْرَانَ لِيَسْقِينَ غَنَمَ أَبِيهِنَّ. ١٧فَأَتَى الرُّعَاةُ وَطَرَدُوهُنَّ. فَنَهَضَ مُوسَى وَأَنْجَدَهُنَّ وَسَقَى غَنَمَهُنَّ. ١٨فَلَمَّا أَتَيْنَ إِلَى رَعُوئِيلَ أَبِيهِنَّ قَالَ: «مَا بَالُكُنَّ أَسْرَعْتُنَّ فِي الْمَجِيءِ الْيَوْمَ؟» ١٩فَقُلْنَ: «رَجُلٌ مِصْرِيٌّ أَنْقَذَنَا مِنْ أَيْدِي الرُّعَاةِ، وَإِنَّهُ اسْتَقَى لَنَا أَيْضًا وَسَقَى الْغَنَمَ». ٢٠فَقَالَ لِبَنَاتِهِ: «وَأَيْنَ هُوَ؟ لِمَاذَا تَرَكْتُنَّ الرَّجُلَ؟ ادْعُونَهُ لِيَأْكُلَ طَعَامًا». ٢١فَارْتَضَى مُوسَى أَنْ يَسْكُنَ مَعَ الرَّجُلِ، فَأَعْطَى مُوسَى صَفُّورَةَ ابْنَتَهُ. ٢٢فَوَلَدَتِ ابْنًا فَدَعَا اسْمَهُ «جَرْشُومَ»، لأَنَّهُ قَالَ: «كُنْتُ نَزِيلاً فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ».

٢٣وَحَدَثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ الْكَثِيرَةِ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ مَاتَ. وَتَنَهَّدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وَصَرَخُوا، فَصَعِدَ صُرَاخُهُمْ إِلَى اللهِ مِنْ أَجْلِ الْعُبُودِيَّةِ. ٢٤فَسَمِعَ اللهُ أَنِينَهُمْ، فَتَذَكَّرَ اللهُ مِيثَاقَهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. ٢٥وَنَظَرَ اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلِمَ اللهُ.(الخروج : ٢)

ورواية التوراة – في المرحلة الأولى من حياة موسى – لا تختلف كثيراً عما جاء في القرآن إلا في موت فرعون ، وتستمر رواية التوراة فتذكر اختيار الله موسى للذهاب إلى فرعون لتحرير بني إسرائيل من عبوديته .

" ٩وَالآنَ هُوَذَا صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا الضِّيقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ، ١٠فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ». (الخروج :٣)

ولا تفرِّق التوراة بين شخصيَّة " الفرعونين " ولا تميِّز بين اسميهما بأي تمييز كأنهما شخص واحد لا شخصين . فكلاهما قد اضطهد بني إسرائيل وسخَّرهم في بناء مدينته ، ومعروف تاريخيّاً أن الذي سخَّر بني إسرائيل في بناء عاصمته الجديدة " بررعمسيس " هو " رمسيس الثاني " ومعروف عند اليهود أن فرعون الخروج هو " رمسيس الثاني " ونص موت فرعون مُقْحَم على نص التوراة الأصلي.

ويشك الأب " ديفو " مدير المدرسة الفرنسيَّة للدراسات التوراتيَّة بالقدس في مصدر هذه الآية " ٢٣وَحَدَثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ الْكَثِيرَةِ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ مَاتَ. وَتَنَهَّدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ" (الخروج : ٢). وأكثر ما يثير الدهشة هو أن الأب ديفو ، يعتقد أن فرعون قد مات وهو يطارد الهاربين ، وتلك تفصيلة تجعل من المستحيل أن يكون خروج بني إسرائيل قد وقع في زمن آخر سوى نهاية حكم ما (١)

واليهود المعاصرون يصرُّون على أن " رمسيس الثاني " هو فرعون الخروج مما دفع وزير الدفاع الصهيوني " موشى ديان " إلى الذهاب وراء مومياء رمسيس الثاني ولكزه بعصا المارشاليَّة في قدمه قائلاً : " أخرجتنا من مصر وأخرجناك من مصر ميتاً " وكان الطبيب الفرنسي "موريس بوكاي" قد أقنع مسئولي الآثار في مصر بخروج مومياء رمسيس الثاني إلى فرنسا لإخضاعه لكثير من الدراسات والتحاليل ، ولموريس بوكاي كتاب بعنوان (موسى وفرعون) (٢)

وقال باحثون آخرون إن " رمسيس الثاني " هو فرعون الاضطهاد وأن ابنه "مرنبتاح " هو فرعون الخروج ، و" مرنبتاح " عاش حتى وصل

(١) موريس بوكاي " القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم " مكتبة مدبولي ص ٢٦٤
(٢) محمد الشافعي مقدمة كتاب " مرنبتاح فرعون الخروج " مرجع سابق ص ٩ .

سن الستين وهو قائد لجيش أبيه " رمسيس الثاني " ، وفي هذه السن تولَّى الحكم لمدة تتراوح بين ثماني وعشر سنوات ، واصل خلالها معاركه ضد الأغراب من اللوبيين والحيثيين ومن يعاونهم من قبائل بني إسرائيل ، ويذهب المدافعون عن كون مرنبتاح هو فرعون الخروج إلى أن أكبر الأدلة على ذلك مومياءه المحفوظة بالمتحف المصري فهي المومياء الوحيدة التي تتسم باللون الشاحب أو الأبيض وليست سوداء مثل كل المومياوات ويرجعون ذلك إلى تشبع المومياء بالماء والملح بعد الغرق في خليج السويس .

ويؤكد بعض العلماء إلى أن (لوح الانتصارات) الذي سجَّله مرنبتاح يؤكد على أنه فرعون الخروج لأنه ينص على مطاردته لبني إسرائيل ، وفى المقابل يذهب بعض العلماء على أن لوح الانتصارات دليل نفي وليس دليل إثبات على أن مرنبتاح هو فرعون الخروج حيث حدَّدوا تاريخ كتابة هذا اللوح فى العام الخامس من حكم مرنبتاح بينما كانت حملته على سوريا في العام الثالث لحكمه ، وبما أن فرعون قد غرق أثناء مطاردته لبنى إسرائيل فإن هذا يعنى أنه لو كان مرنبتاح هو فرعون الخروج فإن هذا اللوح قد كتبه من جاء بعده وكتب " بذرة إسرائيل قد أبيدت " كنوع من الافتخار الكاذب فإن مرنبتاح هو كاتب اللوح بينما والده رمسيس الثاني هو فرعون الخروج الذي غرق أثناء مطاردته لبنى إسرائيل ، ورغم أن معظم الأدلة تميل إلى كون " رمسيس الثاني " هو فرعون الخروج إلا أن بعض العلماء عمدوا إلى ليِّ الحقائق لإثبات أن " مرنبتاح " هو فرعون الخروج . (١)

والحقيقة أن الدارس لتاريخ " رمسيس الثاني " في التاريخ المصري القديم يطمئن تماماً إلى كونه هو وحده الذي استعبد بني إسرائيل في

(١) نفسه ص ٧، ٨ بتصرف يسير .

بناء عاصمته الجديدة " بررعمسيس " بالقرب من فاقوس بالشرقية حالياً ، وكان من سبقه من ملوك مصر يسكنون في طيبة ، وكان بنو إسرائيل يسكنون قريباً من هذه المدينة والذي يؤكد ذلك أن أم موسى عندما أمرها الله تعالى بوضع موسى في صندوق وإلقائه في اليم، لم يلبث الصندوق طويلاً حتى رسا عند قصر " فرعون " والتقطه آل فرعون .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص : ٧- ١٣]

والقرآن يبيِّن بجلاء سكنى بني إسرائيل قريباً من قصر فرعون فبعد أن ألقت أم موسى ابنها في اليم أمرت ابنتها أن تتبع أثره، وتعرف خبره، ولما استقرَّ موسى، عليه السلام، بدار فرعون، وأحبته امرأة الملك، عرضوا عليه المراضع التي في دارهم، فلم يقبل منها ثديًا، وأبى أن يقبل شيئًا من ذلك . فلما رأتهم أخته حائرين فيمن يرضعه قالت: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ ﴾ فذهبوا معها إلى منزلهم، فدخلوا به على أمه، فأعطته ثديها فالتقمه، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا. وذهب

البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى، وأحسنت إليها، وأعطتها عطاءً جزيلا وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة . (١)

يقول د. سليم حسن " كان اليهود يسكنون في بقعة من بقاع الجزء الشرقي من الدلتا وكان " رعمسيس الثاني " قد سخَّرهم في إقامة عاصمة ملكه التي جاء ذكرها في التوراة باسم " رعمسيس " ودلَّت الكشوف الحديثة على أنها "بررعمسيس" (قنتير حالياً) وهي التي أُخْرجوا منها مولِّين وجوههم شطر فلسطين ومن أجل ذلك أصبح من المرجَّح أن خروج بني إسرائيل من مصر قد وقع في عهد " رعمسيس الثاني " أو في عهد ابنه " مرنبتاح " غير أن الرأي الأوَّل هو الأرجح . " (٢)

وهاهو عالم المصريات الكبير د. سليم حسن يرجِّح أن " رعمسيس الثاني " هو فرعون الميلاد والاضطهاد والخروج وأنه فرعون واحد وليس فرعونين كما زعمت "التوراة" والذي يؤكد ذلك أن " رعمسيس الثاني " عاش طويلاً "وعندما مات كان عمره أكثر من مائة عام " (٣) وقد استمر حكمه ٦٧ عاماً (١٣٠١- ١٢٣٥ ق.م) (٤) وهو أطول الحكام الرعامسة حُكْماً .

و" سيتي الأول " أبو " رمسيس " لم يحكم سوى اثني عشر عاماً فقط (١٣١٢- ١٣٠٠ ق.م) ، " مرنبتاح " ابن " رمسيس الثاني " لم يحكم سوى بضع سنوات ، ولمَّا كان القرآن الكريم لم يذكر في قصة موسى من ميلاده إلى خروجه من مصر إلا اسم " فرعون " فإنه من المنطقي أن يكون هو " رمسيس الثاني " .

---

(١) راجع تفسير بن كثير ج ٦ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
(٢) د. سليم حسن " موسوعة مصر القديمة " مرجع سابق ج ٧ ص (ي) .
(٣) معجم الحضارة المصرية القديمة " مرجع سابق ص ١٧٤ .
(٤) نفسه ص ١٧٣ .

فرعون وعبادة الشيطان

يقول د. سليم حسن عن أسرة " رمسيس " : " تنتمي إلى شمال " الدلتا " ونسلت من أصول كانت في خدمة الإله " ست " إلههم المحلي ذي السمعة السيئة في سائر البلاد الذي قتل أخاه " أوزير " صاحب الخلق الرفيع والسمات الفاضلة.

وما عهدنا من قبل أن تجيء فراعين (يقصد ملوك) البلاد من هذه الطريق بل كانوا ينحدرون من أصل " منفى " أو من أرومة " طيبة " أو يترعرعون في مقاطعات مصر الوسطى بين " فقط " و " اليوم " . (١)

والإله " ست " الذي كانت تعبده أسرة رمسيس الثانى هو إله الشر أو هو الشيطان الرجيم ولم يكن ملوك مصر يعبدون هذا الإله حتى جاءت الدولة الحديثة التى أنشأها الرعامسة فكانوا يستعينون به كإله الجبروت والبطش والانتصار. ويقدِّمون له القرابين بغرض مساعدتهم في محاربة أعدائهم . وأعزيت إليه انتصارات كبيرة " وكان " سيتى الأول " ابنه الإلهي " ، **ورمسيس عابده الوفي** .. بيد أن تماثيله واسمه حطِّمت من على الآثار القديمة . وحُرِّمت عبادته فى مدنه . وهكذا صار شيطاناً رجيماً بعد أن كان إلهاً باسلاً . " (٢)

وعابد الشيطان الوفى " رمسيس الثانى " يعتقد أن " ست " إله الجبروت والبطش والانتصار كان وراء انتصاراته التي حقَّقها على أعدائه .

والمصريون الأبطال هم أصحاب الانتصارات لا " ست " ولا أتباعه؛ فالشيطان وحزبه أعجز عن نفع أنفسهم فضلاً عن أتباعهم فلا يملكون إلا تزيين الشر لأتباعهم ولا يعدون الناس إلا غروراً .

---

(١) د. سليم حسن " موسوعة مصر القديمة " ج ٦ عصر رمسيس الثاني " صفحة ح .
(٢) " معجم الحضارة المصرية القديمة " مرجع سابق . ص ١٨٦ ، ١٨٧

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٤٨]

إن من تلبيس إبليس على أوليائه إدعاءه القدرة على نصرهم من دون الله وما يعدهم إلا غروراً .

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ * فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [الشعراء: ٩٢- ٩٥]

والله تعالى يقول لأتباع الشيطان الذين يزعمون أنه هو الذي ينصرهم من دون الله أين آلهتكم التي كنتم تعبدونها مِن دون الله، وتزعمون أنها تشفع لكم اليوم ؟ هل ينصرونكم، فيدفعون العذاب عنكم، أو ينتصرون بدفع العذاب عن أنفسهم؟ لا شيء من ذلك. فجُمِعوا وألقُوا في جهنم، هم والذين أضلوهم وأعوان إبليس الذين زيَّنوا لهم الشر، لم يُفْلِت منهم أحد.

ولقد أخذ الله تعالى على بني آدم العهد منذ البدء ألا يعبدوا الشيطان فهو العدو الحقيقي الواضح ، وأن يعبدوا الله تعالى وحده شريك له .

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[يس: ٦٠، ٦١]

وعبادة الشيطان عبادة قديمة متجددة ، وقد اختفت تلك العبادة لزمن طويل ، ولكنها بدأت تعود في العصر الحديث بقوة حتى وجدت منظمات شيطانيه لعبدة الشيطان كمنظمة (ONA) في بريطانيا ،

و (OSV)في أيرلندا ، و(**معبد ست**) في أمريكا ، و(كنيسة الشيطان) وهى أكبر وأخطر هذه المنظمات جميعاً وقد أسسها الكاهن اليهودي الساحر (أنطون لافي) سنه ١٩٦٦ ، ويقدَّر عدد المنتمين إليها ٥٠ ألف عضو .

برغم أننا لم نسمع عنهم كثيراً في السابق إلا أنهم بدءوا في الظهور في مصر في سنة ١٩٩٦ و١٩٩٧حيث تم القبض على أكثر من ١٤٠ شخص من ذكور وإناث وأغلبهم من الطبقة الغنيَّة ، وأبناء نجوم المجتمع .

وأهم أفكار عبدة الشيطان تأليه أنفسهم فهم يقولون : " إن الإنسان ما هو إلا صورة مصغَّرة للكون، فهو كون مصغر يشبه تماماً ذلك الكون الكبير ينادون بأن ذلك الكون الكبير أزلي .. أبدى وعليه فالإنسان أزلي .. أبدى، أنه إله ، لا بداية له ولا نهاية ،إننا جميعاً آلهة ، يقولون أنه يجب على الإنسان أن يتخلَّص من خوفه من الموت ، فالموت ليس النهاية ، لكنه نقطة الانطلاق إلى حلقة جديدة ينادون بأن الخطيَّة ليست إلا بدعة بشريَّة أخترعها الإنسان وصار لها عبداً يخاف منها، فلا يوجد ما يسمى خطيَّة أو شر وبما أنه لا خوف من الموت ولا وجود لمعنى الخطيَّة إذاً فالانتحار ليس خطيَّة ولا يعتبر تقديم الذبائح البشريَّة جريمة أو قتلاً ، غاية الصلاة في عبادة الشيطان هي الوصول إلى ما يسمونه (النور) وذلك عن طريق الدخول في حالة النشوة والكمال أو الصفاء الذهني ، وللوصول إلى هذه الحالة يستخدمون الموسيقى أو الخمور أو المخدرات والعقاقير وبالطبع الممارسات الجنسيَّة الطبيعي منها والشاذ أيضاً ، الفردي والجماعي. (١)

(١) الشيخ محمد العوضي .

ومن بين الشعائر التي يمارسها عبدة الشيطان غير تأليه أنفسهم ذبح الأطفال والقطط ، ولقد ذبَّح رمسيس الثاني الأطفال ، وألَّه نفسه لأنه كان من عبدة الشيطان فهو من نسل الإله ست لذا كانت آية الله تعالى أن نجَّاه ببدنه ليكون لمن خلفه آية دالة على أنه ليس إلهاً ، وأنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الضر ولا الموت .

ادعاء فرعون الإلوهية

القرآن الكريم يقطع بتأليه " فرعون " نفسه .

والتوراة تذكر أن فرعون كان يستعبد بني إسرائيل ليس في بناء مدينته فحسب،وإنما يأمرهم بعبادته وأن سبب اشتداد غضب " فرعون " على بني إسرائيل حدث بعدما أعلمه موسى بأن رب آبائه يريد أن يخلِّص شعبه من العبوديَّة في مصر ويخرج به إلى فلسطين .

"١وَبَعْدَ ذلِكَ دَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ وَقَالاَ لِفِرْعَوْنَ: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيُعَيِّدُوا لِي فِي الْبَرِّيَّةِ». ٢فَقَالَ فِرْعَوْنُ: «مَنْ هُوَ الرَّبُّ حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ فَأُطْلِقَ إِسْرَائِيلَ؟ لاَ أَعْرِفُ الرَّبَّ، وَإِسْرَائِيلَ لاَ أُطْلِقُهُ». ٣فَقَالاَ: «إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ قَدِ الْتَقَانَا، فَنَذْهَبُ سَفَرَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا، لِئَلاَّ يُصِيبَنَا بِالْوَبَإِ أَوْ بِالسَّيْفِ». ٤فَقَالَ لَهُمَا مَلِكُ مِصْرَ: «لِمَاذَا يَا مُوسَى وَهَارُونُ تُبَطِّلاَنِ الشَّعْبَ مِنْ أَعْمَالِهِ؟ اِذْهَبَا إِلَى أَثْقَالِكُمَا». ٥وَقَالَ فِرْعَوْنُ: «هُوَذَا الآنَ شَعْبُ الأَرْضِ كَثِيرٌ وَأَنْتُمَا تُرِيحَانِهِمْ مِنْ أَثْقَالِهِمْ». (الخروج : ٥)

ويتَّضح من النص الآتي اشتداد غضب " فرعون " على بني إسرائيل ليس فقط أن موسى يريد أن يخرج بهم إلى فلسطين ويعطِّلون العمل في

مدينته التي سخَّرهم للعمل فيها إنما لأنهم كانوا عبيده من قبل وهاهم يعبدون رباً آخر ويريدون أن يخرجوا للبريَّة لعبادته والذبح له .

" ١٥فَأَتَى مُدَبِّرُو بَنِي إِسْرَائِيلَ وَصَرَخُوا إِلَى فِرْعَوْنَ قَائِلِينَ: «لِمَاذَا تَفْعَلُ هكَذَا بِعَبِيدِكَ؟ ١٦اَلتِّبْنُ لَيْسَ يُعْطَى لِعَبِيدِكَ، وَاللِّبْنُ يَقُولُونَ لَنَا: اصْنَعُوهُ! وَهُوَذَا عَبِيدُكَ مَضْرُوبُونَ، وَقَدْ أَخْطَأَ شَعْبُكَ». ١٧فَقَالَ: «مُتَكَاسِلُونَ أَنْتُمْ، مُتَكَاسِلُونَ! لِذلِكَ تَقُولُونَ: نَذْهَبُ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ. ١٨فَالآنَ اذْهَبُوا اعْمَلُوا. وَتِبْنٌ لاَ يُعْطَى لَكُمْ وَمِقْدَارَ اللِّبْنِ تُقَدِّمُونَهُ» (الخروج : ٥)

وواضح من حوار فرعون مع بني إسرائيل إقرارهم له بالألوهيَّة حيث إنهم لم يقولوا عمالك أو حتى خدامك إنما قالوا " عبيدك " وتأكيد لفظ العبودية ثلاث مرات.

" ٦لِذلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاع مَمْدُودَةٍ وَبِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ، ٧وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهًا. " (الخروج : ٦)

وفي خطاب " يهوه " لموسى يطلب منه أن يعلِّم بني إسرائيل أنه هو الرب وليس "فرعون " وأنه ينقذهم من تسخير المصريين لهم ، كما يحررهم من تعبيد فرعون لهم ، وانه سيتخذهم شعباً وسيكون لهم إلهاً من دون فرعون المتألِّه .

" ٤وَلاَ يَسْمَعُ لَكُمَا فِرْعَوْنُ حَتَّى أَجْعَلَ يَدِي عَلَى مِصْرَ، فَأُخْرِجَ أَجْنَادِي، شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ. ٥فَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَمَا أَمُدُّ يَدِي عَلَى مِصْرَ وَأُخْرِجُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْنِهِمْ».(الخروج : ٧)

وفي حديث " يهوه " مع موسى وهارون بيَّن لهم أنه سيعاقب المصريين جميعاً لكي يثبت لهم أنه هو الرب وليس فرعون لأن فرعون سيعجز عن إنقاذهم من العقوبات التي ستنزل بهم .

"٢٠ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «بَكِّرْ فِي الصَّبَاحِ وَقِفْ أَمَامَ فِرْعَوْنَ. إِنَّهُ يَخْرُجُ إِلَى الْمَاءِ. وَقُلْ لَهُ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. ٢١فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ لاَ تُطْلِقُ شَعْبِي، هَا أَنَا أُرْسِلُ عَلَيْكَ وَعَلَى عَبِيدِكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى بُيُوتِكَ الذُّبَّانَ، فَتَمْتَلِئُ بُيُوتُ الْمِصْرِيِّينَ ذُبَّانًا. وَأَيْضًا الأَرْضُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا. ٢٢وَلكِنْ أُمَيِّزُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ شَعْبِي مُقِيمٌ حَتَّى لاَ يَكُونُ هُنَاكَ ذُبَّانٌ. لِكَيْ تَعْلَمَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ فِي الأَرْضِ. ٢٣وَأَجْعَلُ فَرْقًا بَيْنَ شَعْبِي وَشَعْبِكَ. غَدًا تَكُونُ هذِهِ الآيَةُ».(الخروج:٨)

ومثل هذا النص قد تكرر عشر مرات فقد ضرب الله فرعون بعشر ضربات حسب رواية التوراة ، وخمس فقط في القرآن الكريم وهي { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ } (الأعراف : ١٣٣) وبعد أن يضرب الله تعالى فرعون والشعب المصري ببلاء لا يقدر فرعون على دفعه ، ولا يستطيع سحرته فعل مثله ولا إبطاله ؛ لذا يطلب فرعون من موسى في كل مرة أن يدعو ربه أن يرفع عنهم هذا البلاء ويعده بأنه سيطلقهم من مصر ويحرِّرهم ، وعندما يرفع الله بلاءه ينقض فرعون وعده ويعود إلى كبره وتألهه ، فيضربه الله ببلاء آخر حدث هذا عشر مرات .

" ١٣ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «بَكِّرْ فِي الصَّبَاحِ وَقِفْ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. ١٤لأَنِّي هذِهِ الْمَرَّةَ أُرْسِلُ جَمِيعَ ضَرَبَاتِي إِلَى قَلْبِكَ وَعَلَى عَبِيدِكَ وَشَعْبِكَ، لِكَيْ تَعْرِفَ

أَنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي كُلِّ الأَرْضِ. ١٥فَإِنَّهُ الآنَ لَوْ كُنْتُ أَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُكَ وَشَعْبَكَ بِالْوَبَإِ، لَكُنْتَ تُبَادُ مِنَ الأَرْضِ. ١٦وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا أَقَمْتُكَ، لِكَيْ أُرِيَكَ قُوَّتِي، وَلِكَيْ يُخْبَرَ بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ." (الخروج : ٩)

هذا النص يبين لماذا لم يهلك الله فرعون إنما كان يضربه وشعبه الذين عبدوه من دون الله لكي يثبت الله تعالى لمن عبد فرعون أن فرعون ليس إلهاً إنما بشر مثلهم لا يقدر أن يجلب لنفسه – فضلاً عن غيره – نفعاً ولا يقدر أن يدفع ضراً ؛ لأن النافع هو الله والضار هو الله.

وبالفعل ضجَّ المصريون من هذه البلايا وطلبوا من فرعون أن يترك بني إسرائيل يخرجون ليعبدوا إلههم ، لكي يرتاحوا هم من البلاء .

" ٧فَقَالَ عَبِيدُ فِرْعَوْنَ لَهُ: «إِلَى مَتَى يَكُونُ هذَا لَنَا فَخًّا؟ أَطْلِقِ الرِّجَالَ لِيَعْبُدُوا الرَّبَّ إِلهَهُمْ. أَلَمْ تَعْلَمْ بَعْدُ أَنَّ مِصْرَ قَدْ خَرِبَتْ؟». "

(الخروج: ١٠)

أما القرآن الكريم فيصرّح بكل وضوح وجلاء بتأليه فرعون نفسه .

﴿فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النازعات : ٢٣ – ٢٦]

وقال تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص : ٣٨]

وتؤكد العديد من الآثار المصريَّة القديمة أن "رمسيس الثاني" هو " فرعون " الذي ألَّه نفسه حال حياته وفرض على الناس عبادته وتقديم القرابين لتماثيله ، فعلى جدران المعابد رسوم لقارع الطبل وهو يتعبد

لرمسيس الثاني ، وتصور الرسوم أيضاً الوزير "رع حتب " وهو يتعبد للملك قائلاً : " رمسيس حاكم الحكام والإله الأكبر وسيد السماء " (١)

وذكر القرآن والتوراة ادعاء " فرعون الألوهيَّة " معروف ولكن أن يقيم علماء المصريات الأدلة على أن " رمسيس الثاني " ألَّه نفسه وعبده الناس من دون الله تعالى هو ما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن فرعون هو نفسه " رمسيس الثاني " .

يقول د. سليم حسن : " ونجد منقوشاً على التمثال الذي في القسم الأعلى ما يأتي " رعمسيس " حاكم الحكام والإله الأكبر وسيد السماء مخلداً " . وقد ظهر في الصورة في الجزء الأعلى ملك يخطو إلى الأمام وفي الجهة الأخرى مائدة القربان ونشاهد فرعون "رعمسيس الثاني" لابساً قبعة الحرب وهو يقدِّم البخور ويصب الماء لتمثاله وقد نقش فوق صورته اسمه ولقبه وعلى يمينه قرص الشمس يتدلَّى منه صلان وكذلك النقش التالي : " بحدتي الإله الأكبر " والواقع أن ما جاء على هذه اللوحة برهان على عبادة " رعمسيس الثاني " لنفسه بوصفه إلهاً في مدة حياته والحث على هذه العبادة في صورة تمثاله كالتماثيل التي كانت تنحت للآلهة . " (٢)

وبهذه المناسبة نضع أمام القارئ بعض الأمثلة عن صور التضرُّع للملك المؤلَّه دون أن ندخل في تفاصيل موضوع عبادة الملك " رعمسيس الثاني " بوصفه إلهاً وهو ...

١- ففي معابد بلاد النوبة يظهر أمامنا " رعمسيس الثاني " نفسه مؤلَّهاً وهو في كل حالة منها تكون صورته ممثلة كأي إله آخر غير أنه

(١) محمد الشافعي مقدمة كتاب " مرنبتاح فرعون الخروج " مرجع سابق ص ٦ .
(٢) د. سليم حسن " موسوعة مصر القديمة " ج ٦ ص ٤٦٨ .

لم يظهر قط وهو مؤله في صورة تمثال بل في صورة إله ، فمثلاً في معبد " بوسمبل " نراه في هيئة إله برأس صقر أي أنه في هذه الحالة يمثل إله الشمس ويسمى " رعمسيس الإله الأكبر " وكذلك يظهر في صورة إنسان ولكن على رأسه قرص الشمس ويسمى "رعمسيس الإله الأكبر رب السماء" وفي معبد " أكشه " ببلاد النوبة مُثِّل في صورة إنسان ولكن النقوش التي تتبعه تقول عنه " وسر ماعت رع **ستبن** رع الإله الأعظم رب النوبة " أي أنه في كل هذه الحالات كان يُعَدُّ إلهاً خاصاً لبلاد النوبة ، (وهو الإله ست) وعلى ذلك نفهم من كل الأمثلة التي ضربناها أنها تتناول العلاقة التي كانت بين "رعمسيس الثاني" الملك وبين صوره الخاصة بوصفة إلهاً .

٢- والواقع أن الصور التي على لوحة " رع محب " تقرب من الصورة التي ذكرناها لأننا نشاهد هذا الوزير في هذه اللوحة يتعبد " لرعمسيس " كما يتعبد أي موظف لأي إله ، وكما يتعبد لروح الملك (كا) غير أن الروح كان لا يُرسم قط بل يستدل عليه من النقوش التي كانت تدوَّن خلف الآلهة مثال ذلك ما نجده في نقوش " السلسلة " في تعبيرات صيغ القربان فيقال مثلاً " قربان يقدمه الملك والإله " حوراختي " الخ والنيل والد الآلهة وروح الملك " مرنبتاح " حتى يمكنهم أن يعطوا الخ لفلان وكذلك نجد بالعكس أن الآلهة كان يتضرع إليهم ليهبوا إلى روح الملك الحياة وفي مثل هذه الحالة قد يخالج الإنسان الشك فيما إذا كان روح الملك هنا يمثل بكل بساطة الملك العائش أو أن الآلهة قد وهبوا الملك المؤله – في صورة روح ملكي – الحياة الأبدية ، ولكن لدينا نقش في " السلسلة " يقرب من النقش الذي على لوحة " رع حتب "

وهو على الجدار الخارجي لمقصورة " حور محب " إذ نرى في هذا المنظر وزيراً يصلي لروح الإله " بتاح " ، ولروح الملك " رعمسيس الثاني " ويرى هنا الملك " رعمسيس الثاني " واقفاً بين الوزير المتضرع والإله " بتاح " ، ولكن هذا الإله الذي يصلي له الوزير قد ولاه ظهره وقد عرف الملك هنا بأنه : " الإله ابن الإله " بتاح " " رعمسيس الثاني " وبذلك لم يكن يقوم بدور إله أو بدور الروح الملكي . والتفسير المعقول لهذا المنظر هو أن الوزير كان يوجه تضرعه بواسطة الروح الملكية إلى الإله " بتاح " وبهذه الكيفية يصبح هذا التضرع له قيمته عندما ينقل الملك الحي للإله تضرع وزيره .

وعلى ذلك نعلم من هذه المجموعة أن تمثال الملك المؤله كان يلعب دوراً بجوار الملك الحي ، ولدينا تمثال آخر يمكن الإدلاء به غير لوحة الوزير " رع حتب " وهو لوحة عثر عليه في " هربيط " وهي في نقوشها وتوزيع أشكالها تشبه لوحتنا وصاحبها يدعى " موسى " .

ومن ثم يمكننا أن نقرر هنا أن الصلاة التي على لوحة " رع حتب " كانت موجَّهة للروح " كا " وللتمثال الملكي معاً ، أي أن الروح يتقمص أو يسكن الملك المؤلَّه ... وإذا نظرنا بعين فاحصة وجدنا أن تقسيم اللوحة بهذه الكيفية قسمين له مدلوله المنطقي المتناسق ، ففي القسم الأسفل من اللوحة من جهة اليمين نجد الوزير راكعاً يقرأ التضرع لأذني تمثال الروح ، وفي أعلى اللوحة نشاهد صورة الملك الحي يحقق رجاء الوزير كما نشاهد مثل هذا على لوحة "موسى" (١)

(١) د. سليم حسن " موسوعة مصر القديمة " ج ٦ ص ٤٦٩- ٤٧١ بتصرف .

ويقول طارق عبد المعطي : " إن خرطوش فرعون – رعمسيس الثاني – قد تغيَّر علي مر حياة فرعون أربع مرات هكذا ثم هكذا ثم هكذا ثم هكذا

فبعد السنة السادسة من حكم "فرعون" أي بعد معركة قادش بدأ الخرطوش يتطوَّر ووضع مكانه خرطوش آخر (رع مر مس س سو الذي هو "بنا" و "رع" ق إله طبقاً لترجمتي) أي أن"فرعون" قائد للإلهين " بنا " و"رع " وذلك بعد انتصاره في معركة قادش ، ولكن بعد حكم " فرعون " بـ (٣٥ عاماً) تقريبا حذف حرف (ق) فأصبح الخرطوش (رع مس س سو ويعنى بترجمتي بنا، رع إله) أي أن " فرعون" لم يعترف بأي " إله " من " آلهة " مصر كلها إلا الإلهين (بنا و رع) ونصَّب " فرعون" نفسه إلهاً مثلهم يحمل صفات الآلهة . وقبل هلاك " فرعون " بـ(عشر سنوات) غيَّر الخرطوش للمرة الرابعة (رع مس س سأي "لله فرعون") ومعنى ذلك أن " فرعون " نصَّب نفسه إلهاً على كل الآلهة الموجودين بما فيهم الإلهين " بنا " و " رع " وأثار " فرعون " في آخر حياته تشهد على ذلك .(١)

لم يبق لنا لتأكِّيد أن فرعون هو " رمسيس الثاني " سوى قصة غرق فرعون وتنجية الله تعالى بدنه ؛ ليبقى هذا البدن إلى يومنا هذا شاهداً على كذب ادعاء رمسيس الإلوهية .

(١) نقلاً عن موقع طارق عبد المعطي " إحياء علوم مصر القديمة " .

" فاليوم ننجيك ببدنك " والإعجاز العلمي

اشتهر عن فرنسا أنها من أكثر الدول اهتماما بالآثار والتراث ، وعندما تسلَّم الرئيس الفرنسي "فرانسوا ميتران زمام الحكم في البلاد عام ١٩٨١ طلبت فرنسا من مصر في نهاية الثمانينات استضافة مومياء (رمسيس الثاني) إلى فرنسا لإجراء اختبارات وفحوصات أثرية ومعالجة لها .

تمَّ نقل جثمان أشهر طاغوت عرفته مصر .. وفي فرنسا وعلى أرض المطار اصطف الرئيس الفرنسي منحنياً هو ووزراؤه وكبار المسئولين في البلد عند سلم الطائرة ليستقبلوا فرعون مصر استقبال الملوك وكأنه مازال حياً..!

عندما انتهت مراسم الاستقبال الملكي لفرعون مصر على أرض فرنسا ، حُمِلَت مومياء الطاغوت بموكب لا يقلُّ حفاوة عن استقباله وتمَّ نقله إلى جناح خاص في مركز الآثار الفرنسي ، ليبدأ بعدها أكبر علماء الآثار في فرنسا وأطباء الجراحة والتشريح دراسة تلك المومياء واكتشاف أسرارها، وكان رئيس الجراحين والمسئول الأول عن دراسة هذه المومياء الفرعونيَّة هو البروفيسور موريس بوكاي . (١)

كان المعالجون مهتمِّين بترميم المومياء، بينما كان اهتمام رئيسهم (موريس بوكاي) عنهم مختلفاً للغاية ، كان يحاول أن يكتشف كيف مات هذا الملك الفرعوني، وفي ساعة متأخرة من الليل.. ظهرت نتائج تحليله النهائيَّة ..

لقد كانت بقايا الملح العالق في جسده أكبر دليل على أنه مات غريقاً..!

---

(١) موريس بوكاي رئيس قسم الجراحة بجامعة باريس ، أشهر وأمهر جراح عرفته فرنسا الحديثة .

وأن جثته استخرجت من البحر بعد غرقه فوراً ، ثم أسرعوا بتحنيط جثته لينجو بدنه !

لكن ثمة أمراً غريباً مازال يحيره وهو كيف بقيت هذه الجثة دون باقي الجثث الفرعونيَّة المحنطَّة أكثر سلامة من غيرها رغم أنها استخرجت من البحر.. ! كان موريس بوكاي يعدُّ تقريراً نهائيّاً عما كان يعدُّه اكتشافاً جديداً في انتشال جثة فرعون من البحر وتحنيطها بعد غرقه مباشرة ، حتى همس أحدهم في أذنه قائلاً لا تتعجَّل فإن المسلمين يتحدَّثون عن غرق هذه المومياء ..

ولكن بوكاي استنكر بشدَّة هذا الخبر ، واستغربه ، فمثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلا بتطوِّر العلم الحديث وعبر أجهزة حاسوبية حديثة بالغة الدقة ، فقال له أحدهم إن قرآنهم الذي يؤمنون به يروي قصة عن غرقه وعن سلامة جثته بعد الغرق ..!

فازداد بوكاي ذهولاً وأخذ يتساءل .. كيف يكون هذا وهذه المومياء لم تكتشف أصلاً إلا في عام ١٨٩٨ م أي قبل مائتي عام تقريباً ، بينما قرآنهم موجود قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام ؟!

وكيف يستقيم في العقل هذا ، والبشريَّة جمعاء وليس العرب فقط لم يكونوا يعلمون شيئا عن قيام قدماء المصريين بتحنيط جثث فراعنتهم إلا قبل عقود قليلة من الزمان فقط ؟

جلس " موريس بوكاي " ليلته محدِّقاً في جثمان فرعون ، يفكر بإمعان عما همس به صاحبه له من أن قرآن المسلمين يتحدَّث عن نجاة هذه الجثَّة بعد الغرق بينما كتابهم المقدس (إنجيل متى ولوقا) يتحَّدث عن غرق فرعون أثناء مطاردته لسيدنا موسى عليه السلام دون

أن يتعرَّض لمصير جثمانه البتَّة .. وأخذ يقول في نفسه : هل يعقل أن يكون هذا المحنَّط أمامي هو فرعون مصر الذي كان يطارد موسى ؟!

وهل يعقل أن يعرف محمدهم هذا قبل أكثر من ألف عام وأنا للتوِّ أعرفه ؟!

لم يستطع (موريس) أن ينام ، وطلب أن يأتوا له بالتوراة، فأخذ يقرأ في (سفر الخروج) من التوراة قوله " ٢٨ فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ . " (الخروج:١٤)

بقي موريس بوكاي حائراً حتى الإنجيل لم يتحدَّث عن نجاة هذه الجثَّة وبقائها سليمة !

بعد أن تمَّت معالجة جثمان فرعون وترميمه ، أعادت فرنسا لمصر المومياء بتابوت زجاجي فاخر يليق بمقام فرعون ! ولكن .. بوكاي لم يهدأ له بال ، منذ أن هزَّه الخبر الذي يتناقله المسلمون عن سلامة هذه الجثة !

فحزم أمتعته وقرر أن يسافر إلى المملكة السعوديَّة لحضور مؤتمر طبي يتواجد فيه جمع من علماء التشريح المسلمين ..

وهناك كان أول حديث تحدَّثه معهم عما اكتشفه من نجاة جثة فرعون بعد الغرق.. فقام أحدهم وفتح له المصحف وأخذ يقرأ له قوله تعالى ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس :٩٢]

لقد كان وقع الآية على بوكاي شديداً ، ورُجَّت له نفسه رجَّة جعلته يقف أمام الحضور ويصرخ بأعلى صوته : " لقد دخلت الإسلام وآمنت بهذا القرآن " .

رجع موريس بوكاي إلى فرنسا بغير الوجه الذي ذهب به .. وهناك مكث عشر سنوات ليس لديه شغل يشغله سوى دراسة مدى تطابق الحقائق العلميَّة والمكتشفة حديثاً مع القرآن الكريم ، والبحث عن تناقض علمي واحد مما يتحدَّث به القرآن ليخرج بعدها بنتيجة قوله تعالى عن القرآن الكريم : ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت :٤٣]

كان من ثمرة هذه السنوات التي قضاها الفرنسي بوكاي أن خرج بتأليف كتاب عن القرآن الكريم هزَّ الدول الغربيَّة قاطبة ورجَّ علماءها رجّاً ، لقد كان عنوان الكتاب (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة).. فماذا فعل هذا الكتاب ؟

من أول طبعة له نفد من جميع المكتبات ! ثم أعيدت طباعته بمئات الآلاف بعد أن ترجم من لغته الأصلية (الفرنسيَّة) إلى العربيَّة والإنجليزيَّة والإندونيسيَّة والفارسيَّة والصربكرواتيَّة والتركية والأوردويَّة والكجوراتيَّة والألمانيَّة ..!

نعم والله لو كان من عند غير الله لما تحقَّق قوله تعالى في فرعون { فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية } كانت حقاً آية إلهيَّة في جسد فرعون البالي.. تلك الآية التي أحيت الإسلام في قلب موريس بكاي ... ! (١)

الإشكالية الأخيرة في قصة فرعون

والإشكالية الأخيرة في قصة فرعون " رمسيس الثاني " لماذا لم يسجِّل المصريون قصة موسى مع فرعون على أهميَّتها ، وقصة غرق فرعون

(١) من مقال بقلم د.محمد يوسف المليفي .

على خطورتها البالغة وهم الذين لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة في حياة ملوكهم إلا سجَّلوها ؟!

والحقيقة أن تاريخ المصريين كان يكتب بأمر من الملوك ووفق هواهم ، ومن الطبيعي وقد تولَّى " مرنبتاح " الحكم بعد أبيه " رمسيس الثاني " الهالك أن يتجاهل ذكر قصة بني إسرائيل مع أبيه فضلاً عن غرق أبيه وخروج بني إسرائيل من مصر رغماً عنه بمعجزة إلهيَّة ، لم يسجَّل " مرنبتاح " في لوحة انتصاراته " سوى أنه قضى على بذرة إسرائيل في مصر ؛ ليؤكِّد أنه هو الذي طردهم وقضى عليهم لا أن الله تعالى هو الذي أنقذهم من فرعون وعمله .

وهاك جزء من أنشودة انتصار " مرنبتاح " على أعدائه والمنقوشة على لوحة تذكارية من الجرانيت الأسود وهي المسماة " لوحة إسرائيل ".

" ولقد وجهه " رع " إلى مصر ثانية وقد ولد مقدَّرا له حمايتها ، هو الملك "مرنبتاح" .

ويقول الرؤساء مطروحين أرضاً : السلام .

ولم يعد يرفع واحد من بين قبائل البدو تسعة الأقواس رأسه (اسم لجيران المعادين لها) .

التحتو قد خربت .

وبلاد " خاتي " أصبحت مسالمة .

" وكنعان " أُسرت مع كل خبيث .

وأُزلت " عسقلان " .

" وجيزر " قُبض عليها .

" وبنوم " أصبحت لا شيء .

وإسرائيل خُربت وليس بها بذر " [١]

ويعلِّق سليم حسن على العبارة الأخيرة الخاصة ببني إسرائيل فيقول " هذا هو أوَّل عهدنا باسم إسرائيل ، بل هي المرَّة الأولى التي ذكر فيها الاسم في نص مصري ، وبموازنته بأسماء أخرى نجد أن كلمة إسرائيل كتبت لتدل على شعب لا على بلد " [٢] ويقول في موضع آخر " هذه اللوحة قد ذكرت لنا إسرائيل للمرَّة الأولى والأخيرة أيضاً وعلى ذلك تكون الإشارة إلى هؤلاء القوم هنا تشير إلى حادثة الخروج وعدم وجودهم في مصر " إني لا أزال مُسَلِّماً بوجهة النظر التي أدلى بها " لبسيوس " عن موضوع خروج بني إسرائيل – وهي التي يقتفيها معظم الأثريين – أن مضطهد اليهود هو " رعمسيس الثاني " الذي كان حكمه الطويل بداية انحلال الإمبراطوريَّة المصريَّة ، وأن الفرعون الذي ينسب إليه خروج بني إسرائيل ابنه "مرنبتاح"[٣]

والذي جعل د. سليم حسن يعود فيذكر أن مرنبتاح هو فرعون الخروج بعد ترجيحه – كما ذكرنا من قبل – بأن رمسيس الثاني هو فرعون الميلاد والخروج هو ما كتبه مرنبتاح فى لوحة انتصاراتها ، ولقد قاده هذا الخطأ إلى ادعاء أن فرعون موسى لم يغرق وأن قوله تعالى { فاليوم ننجِّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية} أن فرعون " نفد بجلده " كما يقول المثل المصري .

والذي دعا سليم حسن إلى القول بعد عدم غرق مرنبتاح هو أن زمن كتابة لوحة انتصاراته يعود إلى العام الخامس من توليه الحكم بينما

---

(1) نقلا عن سليم حسن " موسوعة مصر القديمة " الجزء السابع مرجع سابق . ص ١٠٠ ، ١٠١ .
(2) نفسه ص ١٠١
(3) نفسه ص ١٠٩

كانت حملته على سوريا في العام الثالث لحكمه .(١) وبما أن فرعون قد غرق أثناء مطاردته لبني إسرائيل فإن هذا يعني أنه لو كان مرنبتاح هو فرعون الخروج فإن هذا اللوح قد كتبه من جاء بعده وكتب " بذرة إسرائيل قد أبيدت " كنوع من الافتخار الكاذب ، ولما كانت اللوحة تنص على أن مرنبتاح هو الذي كتبها في العام الخامس من حكمه فإن هذا يعد دليلاً قاطعاً على أن " رمسيس الثاني " هو فرعون الخروج ، وليس مرنبتاح أو غيره . وأن مرنبتاح في هذه اللوحة يحاول أن يدَّعي أنه هو الذي أخرج بين إسرائيل من مصر وقضى على بذرتها ؛ ليغطي على فشل أبيه في إدراكهم وغرقه دون ذلك .

يقول " سميث" إن سكوت الآثار المصرية عن قصة خروج بني إسرائيل من مصر من وجهة النظر المصريَّة الفرعونيَّة لا تزيد عن كونها فرار مجموعة من العبيد من سادتهم المصريين وما كانت هذه بالحادثة التي تسجِّل على جدران المعابد أو التي تقام لها الآثار لتسجيلها كما أنه من المؤكَّد أن هذه التسجيلات لم تكن – كما نقول بلغة عصرنا – صحافة حرَّة تسجِّل الأحداث كما وقعت – بل لا بد كانت تحت رقابة صارمة من الفراعنة فلا تسجَّل إلا ما يسمح به الفراعين أنفسهم ويكون فيه تمجيد لهم ولمَّا كان الفراعنة يدَّعون أنهم من نسل الآلهة فليس من المُتصوَّر أن تسجَّل على المعابد دعوة موسى لإله أكبر هو رب العالمين، كما أنه من غير المعقول تسجيل فشل الفرعون في منع خروج بني إسرائيل فضلاً عن غرقه أثناء مطاردتهم، إذ أنها أحداث يجب فرض تعتيم إعلامي كامل عليها وعلى كل ما يتعلَّق بها والعمل على محوها من ذاكرة الأمَّة وهو أمر غير مستغرب..

(١) محمد الشافعي مقدمة كتاب " مرنبتاح فرعون الخروج " مرجع سابق ص ٧.

بل ويحدث في أيامنا هذه وكم من حقائق عملت الرقابة والمخابرات على إخفائها عن الشعوب !

ولكن يجب أن نعرف أن من المؤكد في وقتنا هذا حسب رأي العلماء والمؤرخين والمفكرين الإسلاميين أن فرعون موسى هو رمسيس الثاني.[١]

وبناء على كل ما سبق ذكره يكون فرعون اسم عَلَم على حاكم مصر زمن موسى عليه السلام وهو رمسيس الثاني الذي اضطهد بني إسرائيل وأغرقه الله تعالى في اليم ونجَّاه بعد موته ببدنه ليكون لمن خلفه آية ، وعليه فإننا لسنا فراعنة ولا من نسل الفراعنة كما زعم الجاهلون بالتاريخ المصري وبحقيقة أصل المصريين .

***

(١) د. رشدي البدراوي " من هو فرعون موسى؟ " نقلاً عن مدونة " عالم المعرفة " .

كتب للمؤلف

كتب دينية

١- ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي

٢- الدين والسياسة والنبوءة . دار الكتاب العربي

٣- المدارس السلفية،جدليَّة النقل والعقل والمصلحة. دار زهور المعرفة والبركة

٤- الفوائد الجمة في تفسير جزء عمَّ . " " " " " " " "

٥- عبقرية محمد للعقاد ، مع ضبط وتخريج الأحاديث النبوية ، ومناقشة آراء العقاد الدينية وذكر مفتاح شخصية خير البرية . " " " " " " " "

٦- ضبط وتخريج الأحاديث النبوية لكتاب " على هامش السيرة لطه حسين" مع مناقشة أفكار الكاتب واتجاهاته الدينية. " " " " " " " "

٧- أخلاق الإسلام وتنمية المجتمع. " " " " " " " "

٨- في العقيدة والشريعة والأخلاق . " " " " " " " "

٨- أبو بكر الصديق ، ومنزلة الصديقية دار نوبل للنشر والتوزيع

٩- العرب والإسلام . " " " " " " " "

١٠- حضارة مصر الإسلامية " " " " " " " "

١١- عقيدة المصريين القدماء بين الحقيقة والافتراء " " " " " " " "

سلسلة فصول من تاريخ مصر المعاصر

١- آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

٢- العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو . دار زهور المعرفة والبركة

٣- هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية

سلسلة كتب نحو فهم صحيح للصراع العربي الإسرائيلي

١- الإستراتيجية الصهيونية تجاه العرب ، والمنهج الإلهي لميراث الأرض .

دار هبة النيل العربية

٢- اليهود والصليبيون الجدد ، الدجل الديني والسياسي . دار الإبداع للصحافة والنشر

٣- إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن.

٤- فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة

٥-اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية .

كتب عن الثورة

١- متى يثور المصريون ، دراسة في الشخصية المصرية والثورة عبر التاريخ .

دار زهور المعرفة والبركة

٢- دروس من ثورة يوليو لثورة يناير .

كتب عن الحضارة المصريّة

١- حضارات مصر ونهضاتها . دار زهور المعرفة والبركة

٢- لسنا فراعنة ولا عرباً ولا أورمتوسطين فمن نكون ؟

٣- البحث عن شخصية مصر الحقيقية دار نوبل للنشر والتوزيع

المؤلفات الأدبية

١- مهاجرون (قصص قصيرة) دار زهور المعرفة والبركة

٢- الحرف التاسع والعشرون (قصص قصيرة)

٣- ليت قومي يعلمون . (قصص قصيرة)

٤- القاهرة ، يناير ٢٠١١ (رواية)

٥- شهادات رموز ومعالم مصرية حديثة على بطولات مصرية مجيدة . (قصص مصورة للنشء والشباب) دار زهور المعرفة والبركة

٦- طرائف ونوادر مدرسين معاصرين .

مذكرات أديب مغمور (رواية)

٧- أحلام مواطن متفائل .

كتب أطفال

* سلسلة أصدقاء البيئة (٨ قصص) دار زهور المعرفة والبركة

* سلسلة لغز الحضارة المصرية القديمة (٨ قصص)

* سلسلة منجزات الحضارة المصرية القديمة (٦ قصص)

- قررت دولة قطر قصة " وردة المدرسة " على الصف الثالث الابتدائي .

التليفون المحمول: 01226406489

البريد الالكتروني: yuness2005@hotmail.com

موقع المؤلف على الإنترنت www.albab.hooxs.com

***

محتوى الكتاب

المقدمة ٥

لغز نشأة الحضارة المصرية القديمة

الحضارة المصرية أصل الحضارات ٩

نظرية اليوت سميث في نشأة الحضارة المصرية ١٠

تعليق جمال حمدان على نظرية سميث ١٤

علماء الحضارة ومعرفة المصريين القدماء فكرة البعث ١٦

رأي " ول ديورانت " في نشأة الديانة المصرية ١٦

رأي جمال حمدان في نشأة الديانة المصرية ١٧

المناهج الدراسية والحياة الدينية عند المصريين القدماء ١٨

تأخر المصريين في دراسة التاريخ المصري القديم ٢١

عقيدة المصريين القدماء عند أصحاب الرسالات السماوية

هل بنو إسرائيل أول الموحدين ؟ ٢٣

طغيان المصريين على بني إسرائيل ٢٦

رأي المسيحيين في عقيدة المصريين القدماء ٢٧

رأي المسلمين في المصريين القدماء ٢٧

المصريون القدماء والتوحيد

بداية التوحيد ٢٩

رأي علماء المصريات في عقيدة المصريين القدماء ٣١

هذا هو اللغز الذي دوَّخ علماء الحضارة والمؤرِّخين ٣٢

الأدلة على توحيد المصريين القدماء ٣٤

أنبياء الله في مصر

أول الأنبياء المصريين ٣٧

موقف الإسلام من توحيد المصريين القدماء ٤٠

المؤمنون في عصر فرعون ٤٢

الفرق بين أسماء الصفات واسم الله الأعظم ٤٥

هل يعرف المسلمون اسم الله الأعظم؟ ٤٧

لماذا أخفى الله تعالى اسمه الأعظم ؟ ٤٨

نظرية المصريين القدماء في نشأة الكون ٤٩

أسماء آلهة المصريين القدماء وأسماء الله الحسنى ٥١

المصريون القدماء وبيضاوية الأرض والانفجار العظيم ٥٥
المصريون القدماء والكتب المقدسة ٥٨
حل اللغز الذي دوخ علماء العلماء والمؤرخين ٦٢
حيرة العلماء في ترجمة لفظ " نيثر" ٦٣
الخطأ في الترجمة لفظ " نيثر" ٦٧
الخطأ في ترجمة كلمة " دُوا " ٦٧
المصريون القدماء وصور الحيوانات والطيور ٦٨
هل عبد المصريون القدماء الحيوانات والطيور ؟ ٦٩

شريعة المصريين القدماء وشريعة الإسلام

النبي إدريس المثلث بالعظمة ٧٣
نظام الحكم عند المصريين القدماء ٧٥
حاكم مصر زمن يوسف عليه السلام ٧٧
قانون ماعت وشريعة العدل الإلهي ٧٨
ميزان العدل في القرآن الكريم ٨٢

سر نشأة الحضارة المصرية

خطأ العلمانيين في تفسير نشأة الكون ٩١

الوثائق المصرية تبوح بسر نشأة حضارتهم ٩٣
المصريون أصحاب أقدم تكنولوجيا عرفها التاريخ ٩٤
هل نصدق معجزات الأنبياء إن لم تذكر في الدين ؟! ٩٧
بم وحَّد مينا القطرين ؟ ١٠٢
أيمحوتب إله أم نبي ؟ ١٠٣
معنى ابن الله عند المصريين القدماء ١٠٤
سر بناء الهرم الأكبر ١٠٥
الهرم الأكبر مقبرة أم مرصد ؟ ١٠٦
طريقة بناء الهرم ١٠٩
سحر أم تكنولوجيا ؟ ١١١
لعنة الفراعنة ١١٣
بناء الهرم الأكبر والسخرة ١١٣

المصريون القدماء والطب ١١٧

فوائد صحية للعبادة ١٢٠

الحياة الاجتماعية للمصريين القدماء ١٢١

رؤية إسلامية للحضارة المصرية ١٢٣

تحوت ، وهرمس ، وإدريس ثلاثة أسماء لمسمى واحد ١٢٣

فضل الحضارة المصرية على البشرية ١٢٦

ثمار إثبات توحيد المصريين القدماء ١٢٨

كيف انهارت الحضارة المصرية القديمة ؟ ١٣١

حقيقة فرعون

الفرق بين الاسم واللقب ١٣٥

فرعون اسم أم لقب ؟ ١٣٦

فرعون في القرآن الكريم ١٣٧

فرعون في السنَّة النبويَّة ١٣٩

ملكا مصر في عصر إبراهيم ، ويوسف عليهما السلام ١٤١

رأي علماء المصريات في كلمة " فرعون " ١٤٣

دراسة أثرية حديثة تكشف عن اسم فرعون موسي	١٤٥
فرعون في التوراة	١٥٠
فرعون ذو الأوتاد	١٥٣
فرعون وجنوده	١٥٤
المعني الآخر لفرعون ذي الأوتاد	١٥٦
فرعون وهامان	١٦١
فرعون الاضطهاد والخروج	١٦٨
فرعون وعبادة الشيطان	١٧٧
ادعاء فرعون الإلوهية	١٨٠
" فاليوم ننجِّيك ببدنك " والإعجاز العلمي	١٨٨
الإشكالية الأخيرة في قصة فرعون	١٩١
كتب للمؤلف	١٩٧
محتوى الكتاب	٢٠١

***